مصطفى عربوش

من تاريخ منطقة
إقليم تادلة و بني ملال



مصطفى عربوش

من تاريخ منطقة
إقليم تادلة و بني ملال

مكتبة الطالب

1989/1409



الطبعة الأولى أبريل 1989

الإهـــداء

إلى الرُّوحَيْن العزيزتين.... اللَّتَيْن انتظرتا طويلا، وتَحَرَّقتا شوقاً لهذا الكتاب.... والدتي، ووالدي، تغمدهما الله برحمته الواسعة.

اعْتِرافاً...، واسترضاء.....

الابن مصطفى

تقديم

بقلم :
الدكتور عباس الجراري
أستاذ كرسي الأدب المغربي
بكلية آداب الرباط
عضو أكاديمية المملكة المغربية

يتميز المغرب بتنوع بيئاته وتعدد أقاليمه وكثرة حواضره وامتداد بواديه. وهو يكتسب بذلك غنى على صعيد المناخ والطبيعة والإنتاج، وكذا على مستوى الحضارة والثقافة والتاريخ، تنعم به جميع أطرافه ونواحيه، لا يتفرد بعضها عن البعض الآخر إلا بما يتسم به من ملامح ومعالم، وما له من دور فعال في مرحلة زمنية ما أتيح له فيها أن يضطلع بهذا الدور وينهض به.

ومن ثم كان التعرف إلى المغرب في شتى حقائقه، رهيناً بمدى معرفة ما لمختلف مناطقه ومراكزه القريبة والبعيدة من وجود في كافة المجالات والميادين، وما لها من إيجابيات أسدتها لنفسها وأفادت بها المجموع.

وعلى الرغم من أن جهوداً غير قليلة بذلت وتبذل في هذا السياق الإقليمي الهادف إلى إرفاد الوطن، فإن كثيراً من الأطراف مازالت بكراً لم يقتحمها الدارسون، ما أحوجها إلى من يعرف بها، ولاسيما من المنتمين إليها، لأنهم أقرب من غيرهم إليها وإلى سكانها وتراثها، وأقدر على إدراك واقعها وفهم حركة تطورها.

من هنا كانت قيمة هذه الكتابة المستفيضة التي أنجزها عن بني ملال الأستاذ الباحث الأخ مصطفى عربوش، وهو من أبناء هذا الإقليم المنتسبين إليه. وفيها حاول أن يلم بجميع الجوانب التي يقتضيها إعطاء صورة متكاملة عن هذه المنطقة

المشهورة بغناها الخصيب وجمالها الساحر، في تركيز على المعالم الطبيعية والمعلومات التاريخية والظواهر الاجتماعية وما يرتبط بها من تراث شعبي سجل بعض أنواعه وأنماطه.

ولعلي في هذه الدراسة أو ما يماثلها مما يدخل في المضمار الإقليمي أن أنبه إلى أمرين :

الأول : ضرورة البحث عن مكامن الخصوصيات المحلية لإبرازها، ومن خلالها استخلاص المميزات التي ينفرد بها الإقليم وما قد يكون له من إضافة.

الثاني : عدم الانسياق — في محاولة إبراز هذه الخصوصيات — وراء الظن بأن كل ما يتوافر عليه الإقليم هو من قبيل ما يتميز به عن غيره، لأن الكثير من ذلك غالباً ما يكون مشتركاً ومتشابهاً مع ما هو موجود في غيره مما يؤكد منظور الشمولية ويقوي أواصر الوحدة.

وقد بذل المؤلف في هذا الصدد جهداً مضنياً لاشك في أنه تطلب منه زمناً طويلاً استغرقه البحث والتنقيب والاستطلاع، وإن كنت آخذ عليه بعض التقصير في الكشف عن الجانب العلمي والأدبي ؛ ولعله احتفظ به لسفر ثان أو أسفار أخرى، ولاسيما لرسالتِهِ الجامعية التي يحضرها بإشرافي عن زاوية الصومعة ببني ملال ومؤسسها أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي، وكأنه أراد من كتابِهِ أن يضع تعريفًا مُيَسَّرًا يتداوله الجمهور، وأن يجعله في نفس الوقت كمقدمة لبحثه الجامعي أو غيره من الدراسات التي آمل أن ينجزها، وقد وعد ببعض ذلك.

ولست أخفي — وأنا أقدم هذا السفر — ما يغمرني من مشاعر البهجة والسعادة، لأنه سيملأ فراغاً هائلاً تعانيه المكتبة المغربية، ولأنه بحق إضافة غنية سيفيد منها الدارسون وعموم القراء.

وإني لأهنئه على هذه الباكورة الجيدة، وأحثه على مزيد من الإنتاج لمتابعة ما بدأه، وأدعو له بالعون والتوفيق والسداد.

الرباط 10 جمادى الثانية 1409
الموافق 18 يناير 1989

عباس الجراري

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين،وبعد هذا بحث عن إقليم تادلة كما كان معروفا تاريخيا، أو إقليم بني ملال كما يعرف حاليا.

قد يسأل سائل لماذا كتبت هذا البحث عن إقليم بني ملال، وليس عن غيره، والجواب يتضمن عدة أسباب.

1 – **اعلاء شأن الاقليم** : لقد كنت وأنا صغير ابن الفلاح أقضي كل أوقات الفراغ إلى جانب والدي بالحقل، أو بين البساتين، بل كنت أقوم بمساعدته على قدر طاقتي في أعمال الحقل والبستنة، فتفتحت عيناي منذ الطفولة المبكرة على الطبيعة الجميلة بكل معاني الجمال، فعشقت ذلك الجمال الطبيعي الساحر، الذي كان يحيط بي في كل أيام فصول العام، من عبير الازهار وشذاها في الربيع، إلى رائحة الفواكه والبطيخ في الصيف، إلى أصوات تساقط القطرات الكبيرة من حبات المطر في الخريف على الأوراق المتهالكة في الأشجار، إلى منظر الجليد «اجريحة» والبرد القارس الذي يكون في الصباح الباكر محاولا الاعتراض لنشاط الفلاح أيام يقصر النهار، ويطول الليل.... بسحره وغموضه وخيالاته أمام طفل صغير في الحقل، يلتمس طريقه بين الأشجار والاجمات بعد مغيب الشمس، محاولا دفع لذعات البعوض عن ذراعيه وخديه.

لقد كان لذلك الجمال الطبيعي الأخاذ الذي عشته منذ النشأة الأولى الأثر الفعال في أن تتفتح عيناي على الجمال الساحر الذي يحتضن المدينة الصغيرة الهادئة عند سفح الأطلس المتوسط، عيون ماء في كل مكان، سهول منبسطة خضراء، جبال بيضاء شماء تتلون بألوان الفصول الأربعة، كل ذلك ينسج رابطة قوية، ربطتني بحب قوي لبني ملال، فكنت أعشقها وأتعشق من يعشقها، وأفتح عيني وأذني على كل سطر، أقرأ فيه عنها، على كل كلمة أسمعها عنها... فكان حبي لها يدفعني إلى أن أبحث عن أي سبيل لاعلاء شأنها بين المدن لاستمرار ذكرها على الدوام، جعلني

أعشق وأتعجل في أن تتحول إلى مدينة ذات مكانة خاصة بين المدن، أن ترتفع رايتها إلى مصاف المدن المغربية الشهيرة، لذلك كنت أفرح لكل شارع يفتح، لكل مدرسة تشيد، لكل مقهى جميل يقام، لكل فندق فخم تحتضنه.. وكنت أرغب لشبابها أن يصبح كذلك مسايرا للتطور في كل المجالات أن يحتل أسمى المناصب وأرقاها في الدولة، لأسمع اسم مدينتي يذكر، لأرى مدينتي تتطور.

2 – انعدام أي مصدر يتناول المدينة أو الاقليم :

كانت والدتي رحمها الله تحكي لي الحكايات عن قبيلة بني ملال، مما اختزنته في ذاكرتها عن عين أسردون، عن الأسر والعائلات الملالية، عن التراث الفكري في بعض الازجال – عرفت فيما بعد أنها من الزاوية الشرقاوية –، عن سيدي عبد العزيز التباع، عن سيدي أحمد بلقاسم، عن كل شيء تعرفه في مختلف المناسبات، وفي فترات متباعدة، فكان كل ذلك يلهب خيالي، ويشدني إلى أرض بني ملال، وعندما اهتممت للموضوع لم أجد مصدرا يذكر بني ملال، أو يشيد بها، أو يجمع أخبارها، أو يسجل تاريخها، فعرفت أن لمدينتي حقا على أبنائها في ذكرها. من أجل ذلك شرعت في جمع المعلومات عنها منذ سنة 1970، لا لغاية محدودة بالذات، فأنا في وقتها لم أفكر في طبع كتاب وإنما كنت أفكر في أن أحاول جمع ما أتمكن من جمعه عنها من معلومات... ولكن الموقف تغير عندما اكتسبت بعض التجربة في ميدان البحث العلمي، واحتككت بعض الاحتكاك بمكتبة الوثائق، وطالعت مجموعة من بعض كتب تاريخ المغرب القديمة والتي أخذت تظهر في السوق مطبوعة بفضل جهود آخرين يعملون لاظهار الكنوز الثقافية للمغرب الحبيب.

3 – اعتماد المنهج الاقليمي

تعرفت على أستاذي الكريم الدكتور عباس الجراري في مدارج كلية الآداب بالرباط، في مادة الأدب المغربي، وهو الاختصاص الذي سلكته فيما بعد.. وكان مما علمني إياه الاهتمام بالمنهج الاقليمي، وهو المنهج الذي لاقى هوى في نفسي، وانسجاما مع حبي لاقليمي ووطني، لأنه من جهة أخرى كنت أحس كغيري، ونلمس أن صوت المغرب ضائع في الخارج وأن الثقافة والفكر حكر على الخارج، وأننا مازلنا نقرأ ونحفظ شعر الجاهلية ولصوصها، ولا نعرف شيئا عن أبطال بلدنا المغرب، ولانحفظ بيتا لفحول شعراء وطننا. لذلك كان للمنهج الاقليمي وقعه الأكيد في كل وجداني، وكل ما أريد قوله، قد قاله الدكتور عباس الجراري من قبلي منذ سنوات قال عن الاطار

الذي يراه لهذا المنهج الاقليمي : «أما الاطار فيتمثل في الاقليمية التي تعتمد البيئة ومقوماتها ومؤثراتها أساسا للدراسة، وأؤكد انني حين أقول الاقليمية وتأثير البيئة في الأدب لا أنسى الشخصية الذاتية والمَوْهِبَةَ الفردية، ولا أعني تضييق الأفق والانحصار في إطار المحلية، ولكني أعتبرها الوسيلة الوحيدة لِلَمِّ شتات الادب العربي في كل الاقطار التي أبدعته والوسيلة كذلك للعالمية، والانسانية بل إني أرى أنه كلما قسم نطاق الاقليم في الدراسة إلى بيئات صغيرة، كانت دارسة الاقليم مكتملة ومستوفاة، وهذا ما يجعلني أحبذ الابحاث والتواريخ التي الفت وتؤلف – ولو بطريقة قديمة – عن مدن مراكش وسوس وتطوان والرباط وفاس، فإنه من مجموع هذه الْكِتَابَاتِ يمكن تهييء المادة التي تساعد على استخراج الصورة الحقيقية للمغرب سواء في تاريخه السياسي أو الفكري) (1)

وفي إطار المنهج الاقليمي سلكت منهجية جمع النصوص واستخدامها للدليل كما وردت في مصادرها، وكان بإمكاني ايراد المعلومات بأسلوبي دون اللجوء إلى ذكر هذه النصوص بصيغتها الكاملة غير أنني راعيت في ذلك ثلاثة عوامل :

أولها : عندما أقدم النص كما ذكره صاحبه فإنني أعتبره شاهدا شخصيا على ما أقدمه من معلوماته وأردت أن ينطق الشاهد بما قال بنفسه من غير أن أنوب عنه في ذكر ما قاله سابقا عن الموضوع.

غير أنني أحيانا كنت أمهد لكلامه بتبسيط الموضوع أو التعقيب عليه بالشرح والتوضيح أو لربط معلوماته بمعلومات أخرى وردت في نفس الموضوع من شاهد آخر أقدمه هو الآخر ليتكلم عن نفسه.

ثانيها : الامانة العلمية : أردت أن أنسب كل معلومة مهما كانت صغيرة أو كبيرة إلى صاحبها، أو المصدر الذي استقيتها منه بما فيها المعلومات الشفوية التي كان بإمكاني ادعاء معرفتها، ولكن الامانة تقتضي ذكر صاحبها ونسبتها إليه، وليتحمل مسؤولية صحتها أو خطئها.

ثالثها : أردت أن أجمع في الكتاب كل المعلومات التي عثرت عليها بشأن الاقليم وأن تكون هذه المعلومات كما هي في مصادرها حتى يتمكن من يريد تحليل

---

(1) الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ص : 08.

هذه المعلومات، التعرف على صيغتها الأصلية كما رسمها أصحابها، وليكون الكتاب مجمعا للمعلومات الضرورية عن الاقليم من مصادرها الأصلية، في انتظار وضع أسس ولبنات أخرى تتجسد في غيره.

وبخصوص عملية جمع النصوص وترتيبها يقول الأستاذ عباس الجراري في مقدمته لكتاب «شعر عبد العزيز الفشتالي» من جمع وتحقيق ودراسة الأستاذة نجاة لمريني «... لعل أحدا لا ينكر الأهمية القصوى التي يكتسبها صنع النصوص وتحقيقها، وما يترتب عن ذلك من إبراز كشف جديد هو من دون شك إضافة حقيقية تغني التراث الأدبي بما يزيد في معرفته والتعرف إليه، ولعل أحدا لا ينكر كذلك الفائدة الجلى التي يكتسبها الباحث الذي يخوض غمار هذا النوع من الدرس، وهي فائدة تتجلى في الرجوع إلى المصادر المختلفة مهما كانت كبيرة أو صغيرة، معروفة أو مجهولة، بل مهما كانت تلك المصادر مجرد تقاييد أو خروم طالما أنها مظنة للعثور على نص أو جزء منه، وإن يكن ناقصا أو مبتورا، وتتجلى الفائدة أيضا في عملية إعادة بناء النص وتشكيله من لبنات تلتقط هنا، وهناك، كما لو كان الأمر يتعلق بتمثال مكسور تناثرت أجزاؤه، فضاع بعضها وبقي البعض الآخر مبعثرا ليس من اليسير الاهتداء إليه، وإن اهتدى إليه فليس من السهل التقاطه، فضلا عن ربطه مع غيره وضمه إليه وإلحامه معه». (2).

ويعتبر المنهج الاقليمي – في نظري – انسب المناهج التي يمكن اعتمادها في الاكاديميات المغربية المحدثة أخيرا، وبذلك يمكن لكل أكاديمية البحث في الخصائص الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها للاقليم أو الجهة التي تنتمي إليها.

ففي إطار المنهج الاقليمي يمكن لاكاديمية بني ملال كما يمكن لغيرها البحث في الخصائص اللغوية المحلية وكيفية نشوئها والعوامل المتفاعلة فيها إلخ .. كما يمكن البحث في تاريخ البلدة السياسي والعوامل المؤثرة فيه، والعلاقات الاجتماعية انطلاقا من النظام الأسروي القديم إلى النظام القبلي في إطار القبيلة الواحدة إلى نظام التجمع القبلي المتوحد في إطار وحدة الجنس واللغة، إلى النظام القبلي المتعدد المختلف لغة وجنسا ودينا... وتطور هذه الأشكال إلى نظام المجتمع المتوحد في جميع أشكال الجنس واللغة والدين، والثقافة، والفكر والتوجه الروحي والوجداني.

---

(2) مقدمة عباس الجراري لكتاب شعر عبد العزيز الفشتالي ص 08.

كما يمكن في مرحلة أخرى بعد مرحلة جمع المعلومات الضرورية عن كل ماله علاقة بالجهة أو الاقليم، يمكن للاكاديمية القيام بتحليلات دقيقة وواسعة لهذه المعلومات، يمكن انذاك وعلى ضوئها رسم التوجه الصحيح الذي يمكن للاكاديمية أن تتوجه إليه في رسم الملامح الوجدانية والفكرية المستمدة من جذور علاقاته التاريخية والاجتماعية بالمنطقة للانسان المراد التعامل معه مستقبلا.

4 – البحث نواة لبحوث متعددة.

لا أدعي بأنني أحطت بكل ما يمكن الاحاطة به داخل البحث لأنه لا يدعي ذلك إلا مغرور، أو جاهل، أما البحث فهو نواة لبحوث متعددة، فهو يضم عدة عناوين رئيسة، وعناوين فرعية، ويمكن أن يتحول كل عنوان إلى كتاب مستقل بذاته، ولا يتأتى هذا إلا بفضل جهود أخرى كبيرة وكثيرة ومتواصلة، من أجل تشكيل البناء / المعمار المتكامل المتقارب الملامح لصورة تاريخ وجغرافية ومجتمعات الاقليم بقبائله، وعاداته ولغاته.

لقد حاولت رسم بعض الملامح، وعلى من يأتي من بعدي أن يبرز هذه الملامح ويضع الالوان.

كما أوضحت بعض الغموض في قضية وفاة المول الحسن الأول بإقليم تادلة، حيث أنه من الشائع أن مولاي الحسن الأول قد مات بتادلة ويتوهم البعض من العامة كما قد يصر بعضهم على أن مولاي الحسن الأول مات مقتولا بالاقليم، إما محاولة للتمويه، أو للتشويه، ومهما يكن من أمر فإنه لا يعدو عن كونه تفسيرا مغرضا، يقصد منه تشويه سمعة الاقليم، ومحاولة المس بالسلطان الجليل، لذلك فقد أوردت حقيقة الأمر من مصادرها، وهي أن مولاي الحسن الأول مرض بتافيلالت ودخل مراكش مريضا، وخرج منها وقد اشتد عليه المرض، فقضى رحمه الله بصورة عادية عند وادي العبيدي من الاقليم.

وحاولت في البحث أن أدفع عن الاقليم تهمة الثورات والفتن وعن أهله صفة الفوضوية والقطيعة مع الحكم المركزي، لأوضح بأن الثورات التي كانت تحدث لم تكن لأهل الاقليم يد فيها، وإنما كانت من أشخاص غرباء عن الاقليم، يحاولون الوصول إلى الحكم. وأما المعارك الشهيرة التي كان الاقليم مسرحا لها، فلم تكن أبدا بسبب أهل الاقليم، وإنما كانت بسبب الصراع الذي ينشأ بين العاصمتين فاس ومراكش، إما عند بداية نشوء دولة، أو عند بداية انهيار أخرى، أو بتحريض أحد أفراد الوزراء من غير المنتمين للاقليم أو أحد أفراد الأسرة المالكة، والحالة الوحيدة التي

يمكن تسجيلها عليهم في هذا الباب، هي القيام ضد الظلم المتجسد في تصرفات بعض الولاة الذين كانوا يبالغون في استعمال سلطتهم بصورة تفوق قدرة تحملهم، أو بقتل أحد زعماء إحدى القبائل، الشيء الذي يذكي النعرة القبلية فتضطرب القبائل مهتاجة متضامنة مع بعضها.

وفي مقابل كل ذلك لم تسجل على الاقليم أية ثورة يقصد منها الوثوب على الحكم أو ادعاء الشرعية فيه.

ومن خلال مُرَاقَبة ودراسة التحركات العربية في المغرب العربي تتبين بوضوح عضوية وحدة شعوب هذا الجزء من الوطن العربي، فهي وحدة قوامها العرق والدم، قبل اللغة والحضارة والتراب، ذلك العرق الذي يمتد منذ السنوات الأولى لتاريخ الانسان البشري بالمنطقة إلى اليوم عبر طريق طويل تطبعه عدة محطات، منها ما كان قبل الاسلام متمثلا في مقاومة الغزو الاجنبي، ومنها ما كان منذ وصول الاسلام إلى اليوم متجسدا في الوفود العربية المسلمة القادمة من الشرق في مختلف الحملات المنظمة من أجل الفتح الاسلامي، وفي الوفود العربية القادمة بعد ذلك في مختلف مراحل تاريخ المنطقة، خاصة الوفود العربية التي قدمت أيام الدولة الموحدية، ونعني بها قبائل بني هلال، وبني سليم، وبني جشم، والتي كانت تعيش – بعد خروجها من الحجاز – بما يسمى اليوم تونس والجزائر، وقام المنصور الموحدي – كما هو معلوم في العديد من المصادر التاريخية – بتوزيع جزء من هذه القبائل في مختلف أنحاء المغرب (الأقصى) وهو ما أعطى للمغرب العربي الكبير – بالاضافة إلى التفاعلات التاريخية السابقة – وحدة عضوية كاملة امتزج فيها الدم بالدم ليس في المغرب العربي الكبير وحده، ولكن من المغرب إلى الحجاز. وقد استمر الشعور بوحدوية هذا الوطن لدى المغاربة إلى اليوم ليس عند المثقف و المفكر والمؤرخ، ولكن عند رجل الشارع كذلك، وإلا فكيف يفسر الحماس الشعبي المغربي أثناء الحماية الفرنسية من أجل تحرير الجزائر ؟ وإلا كيف يفسر الحبل العاطفي الذي شد المغاربة إلى الجزائر حتى بعد التحرير ؟ ! وهو نفس الحبل الذي ما يزال يشدنا إليهم إلى اليوم رغم كل النرفزات العصبية المفتعلة في المنطقة ؟ ! إنه حبل الدم، عرق الدم الذي يربطنا وإياهم إلى العروبة في ظل الاسلام.

5 – غياب بعض الجوانب في البحث.

سيلاحظ القارئ الكريم غياب بعض الجوانب في البحث يمكن اعتبارها حيوية ومهمة بالنسبة للمنطقة إنهما :

1 – حي الصومعة إلى جوار بني ملال.

2 – زاوية أبي الجعد إلى جوار مدينة قصبة تادلة الحالية.
الأول له علاقة ببحث خاص مايزال في إطار البحث والتنقيب.
والثاني ستكون له علاقة بالجزء الثاني من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

أتمنى بهذا المجهود المتواضع أن أكون قد أسهمت بسهم بسيط للغاية في تقديم خدمة لمدينتي بني ملال التي هي جزء صغير من الوطن العزيز وخدمة صغيرة لمن يهمه الاطلاع على بعض ما يتعلق بهذه المدينة من جوانب معرفية أو فكرية.

وفي الختام، أقول : وما توفيقي إلا بالله «والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»

صدق الله العظيم وهو ولي الهدى والتوفيق.

مصطفى عربوش
قصبة تادلة في يوم الأربعاء
25 شعبان 1408 الموافق 13 أبريل 1988

الوصف الطبيعي للمنطقة

* الاسم
* جغرافية الاقليم
* جبل سكّيم
* نهر أم رْبيع
* وادي العبيد
* عيون بني ملال

الاسم

اسم المنطقة عموما هو «تادلا» وقد اختلف الناس في تحديد مصدر هذه التسمية، فمنهم من قال : إن اصلها هو «تاذرا» كلمة أمازيغية بمعنى الغمرة من سنابل القمح بعد حصادها، وهي الغمرة التي يجمعها الحصّاد في يده ويلفها على بعضها قبل أن يرمي بها خلفه... والخلفية المقصودة هي الاشارة إلى ثراء الأرض وخصوبتها وقوة انتاجها.

وهناك من يشير إلى أن أصلها «تافغا» وهي أصل أمازيغي يعني النبات الشوكي الذي ينتجه نبات «الشَّدِّير» الذي يزرعه الفلاحون عادة كحد فاصل بين بستان وآخر وكمعلمة للحدود، وحاجز يقي البستان من عبث العابثين، والخلفية في هذه التسمية أيضا هي الاشارة إلى كثرة البساتين وتزاحمها مع بعضها البعض، ونفاسة مايوجد بها، وهي أصل الحرص على غرس نبات الشدير لحياطة البساتين.

وهناك من يشير إلى أن أصل تادلا، هو «تفزة» وتفزة هي مدينة كانت حاضرة الاقليم في مطلع القرن العاشر، وقد ذهب أحمد بوكاري في كتابه الزاوية الشرقاوية إلى الاعتقاد بأن قصبة تادلة الحالية كانت فيما سبق هي مدينة «تفزة» ورسمها في الخريطة التي وضعها للمنطقة على ضفة أم رْبِيع في موقع قصبة تادلا الحالية. وهو خلاف ما سنقوم بتوضيحه في هذا البحث.

ووجدت في كتاب «الاعلام بمن حل مراكش» [3] اسم «تادولا» وهو ما يمكن أن يكون له علاقة بالاسم الذي نحن بصدده، قال عندما كان يتكلم عن كرامات السيد أحمد بن الولي الصالح أبي محمد صالح «ومنها ما حدثني به الحاج الأكرم عبد الرحمان ابن عبد الكريم الكلاوي خديم الفقراء بموضع تادولا، وكنت معه بموضع تماسينت من وادي ورززات ونحن في صحن الجامع».

غير أنه بالنظر إلى أن الاسم قديم جدا يعود إلى ماقبل الأيام الأولى للأدارسة، فإنه يمكن اعتبار أن الاسم مستنبط محليا مما قد يشير إلى وصف المنطقة كمثل ما وصفتها به كلمة «تاذرا» بمعنى الغمرة من السنابل رمزا للخصوبة والعطاء.

---

(3) ج : 2. ص : 186. للعباس بن ابراهيم.

أما عبد العزيز الفشتالي في كتابه مناهل الصفا(*) فَسمَّى المنطقة «دِلاَ» حيث أكَّد أن يعقوب المنصور الذهبي عقد للمولى زيدان أصغرهم على الدِّلا.

وأميل إلى هذا إذْ أن التاء قبل الدِلَا تكون في صيغة الشَّلْحَة المحلية، وبذلك تحول الاسم من «دِلَا» إلى «تَادِلَا» ويزيد في صواب هذا الرأي أن تادلا. تُقْرأ بفتح التاء الممدودة وكسر الدَّال بعدها اللام المفتوحة الممدودة، وبها كانت ترسم في الكتب السابقة وعليه يكون أصل الاسم هو «دِلَا» بإضافة «تا» في اللهجة الشلحية فتحول إلى «تَادِلَا» ومنه عُرِفَت زاوية الدِّلا» بالمنطقة.

---

* ص : 191.

جغرافية الاقليم

الحدود الجغرافية للاقليم

كانت كلمة تادلا تعني منطقة واسعة بمعنى الاقليم بمفهوم العصر، أما اليوم فإنها تعني مدينة تادلا، أو مدينة قصبة تادلا.

أما حدود الاقليم سابقا كما حددها الأستاذ مولاي هاشم العلوي (4) «اقليم تادلا يمتد جغرافيا ليشمل السهل الهضبي الممتد بين وادي العبيد وأم الربيع حيث المنطقة الواقعة بين جبال الأطلس الوسطى والكبرى (جبال درن) (5)».

وبالرجوع إلى الحسن بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي) في وصف افريقيا (6) : «تادلا اقليم غير شاسع، يبتدىء، من نهر العبيد، وينتهي عند نهر أم الربيع عند منبعه، كما ينتهي جنوبا بين جبال الأطلس، وشمالا في المكان الذي يلتقي فيه نهر العبيد ونهر أم الربيع، وتمثل هذه الناحية تقريبا شكل مثلث، لأن النهرين اللذين ينبعان من الأطلس يجريان نحو الشمال ويقرب أحدهما من الآخر إلى أن يلتقيا» انظر الخريطة التي وضعها الحسن الوزان.

وفي هذا التعريف نجد أن الحسن الوزان قد أدخل منبع أمْ رْبيع في اقليم تادلا بينما هو من ضمن اقليم بلاد فازاز (خنيفرة حاليا). كما أنه وهم أيضا في اتجاه مجرى نهر أمْ رْبيع ووادي العبيد وقد استدرك محققا (7) الكتاب هذا الوهم (8) «الواقع أن أم ربيع يجري من الشمال إلى الجنوب الغربي، ووادي العبيد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتدل الأماكن التي سيتحدث عنها المؤلف هنا أنه كان يدخل في

---

(4) محقق كتاب الدرر ص : 37. هامش : 2.

(5) اعتمد في ذلك على

1) L'éon l'afriquain : Diserihtioh de l'Afrique — T. I : P : 141

2) Les seurces inédites 2ème Série t.I.P : 268.

(6) الطبعة العربية ص : 139.

(7) السيد محمد حجي، والسيد محمد الأخضر.

(8) وصف افريقيا، ص : 139.

تادلا الكتلة الجبلية غرب دادس العليا، وكتلة مَكُّونة أيضا التي يتجاوز ارتفاعها 4000 م، والتي يسكن الامكرانيون في سفوحها الجنوبية» (9).

وأما دائرة المعارف الاسلامية (10) فقد اختارت لاقليم تادلا التعريف الآتي «تادلا أو تادلة وقد عرفها الحسن بن محمد الوزان الزياتي باسم «تَدِله» : ناحية بمراكش تشمل الهضاب التي تمتد إلى الغرب من وادي أم الربيع المرتفع كما تشمل المنحدرات الغربية لجبال الأطلس الوسطى، من وادي العبيد إلى منابع ملوية وكان ينسب إلى تادلا في العصور القديمة فيقال تادلي، غير أن هذا الاسم لا يطلق الآن إلا على شرفاء الناحية، والتسمية الشائعة هي تادلاوي».

وصف إقليم تادلة

كتاب المنجد في اللغة والأدب (11) يصف تادلة كما يلي :

«تادلا : سهل جنوبي المملكة المغربية، يخترقه نهر أم الربيع. وتادلا : منطقة كانت على مدى العصور مسرحا للفتن، وهي شهيرة بزاوية أبي الجعد».

وأما المنجد في اللغة (12) والاعلام فيصفها : «تادلة سهل في المملكة المغربية يقع بين الأطلس الأعلى والمحيط الأطلسي يخترقه نهر أم الربيع، مشاريع ري، زراعة قطن، وقمح، وزيتون، فيه زاوية أبو الجعد الشهيرة».

ومن المعاصرين الذين وصفوها، الأستاذ أحمد التوفيق محقق كتاب التشوف (13) لابن الزيات التادلي حيث وصفها بالأهمية والغنى، وَجَعَلَ قاعدتها هي مدينة داي معتمدا في ذلك على البكري قال : «.. تادلا من أهم المناطق وأغناها في ذلك العصر (14). وهي التي يخترقها وادي وانسيفن (أم الربيع) ويلتقي فيها بِرَافِدِهِ درنة، وقاعدتها مدينة داي مذكورة في كتب أوصاف البلدان، والمسالك على أنها مستخرج معدن النحاس ومزرعة القطن، وملتقى الرفاق الحاملين للسلع من جميع الآفاق».

---

(9) ص : 139. هامش : 93.

(10) ص : 457. مادة : تادلة.

(11) ص : 123.

(12) طبعة 27 سنة 1984 ص : 181 من الاعلام.

(13) ص : 18.

(14) عصر أبي يوسف يحي ابن الزيات المتوفى سنة 627 هـ أو 628 هـ.

وفي الوقت التي تعرض لوصفها كثير من المؤرخين فقد أغفلها صاحب الروض المعطار في خبر الأقطار رغم نقله عن البكري والادريسي كما أغفل الحديث عن مدينة داي، وتناول الحديث عن أمْ رْبيع (وادي وانسيفن) رغم مروره في إقليم تادلا...

أما الكتب المقررة في جغرافية المغرب فإنها تصف المنطقة وخاصة بني ملال وضواحيها ومنطقة الدير التابعة لها بما يلي : «تعتبر ناحية بني ملال أحسن نموذج لمنطقة الدير، وهي تمتد عند اتصال الأطلس المتوسط بسهل تادلا، وتسقى أراضي الدير بواسطة السواقي (15) التي تنطلق من الأنهار الدائمة أو من العيون الغزيرة (16)» (17).

فلاحة الأقليم

كانت الفلاحة في الاقليم التادلي تعتمد على الزراعة البورية للحبوب، في كل سهول بني عمير وبني موسى وباقي سهل تادلة، إلا ما كان يسقى من ماء العيون في السهول المجاورة لقدم جبال الأطلس، وهو ما كان يعرف ب «لَغْرَاس» أي منطقة الأغراس المجاورة للجبل وهي المصطلح عليها جغرافيا بمنطقة الدير.. وباستثناء هذه المنطقة فإن باقي السهول المعبر عنها ب «لُوطَا» أي الأرض الواطئة : السهلة المنخفضة فإنها كانت تعتمد في عمومها على ماء الأمطار، لذلك يمكن اعتبار سهل تادلة سهلا قاحلا «يغلب عليه طابع الجفاف حيث لا تتعدى كمية الأمطار المتساقطة فيه 300 مم سنويا، وهي تتبخر بسرعة نتيجة لارتفاع الحرارة وهبوب الرياح المجففة» (18)

أما الفلاحة السقوية بالاقليم فإنها لم تظهر إلا بعد سنة 1929 حيث تم إنشاء سد قصبة تادلة وإنشاء الساقية التي تربط بين السد وبين سهل بني عمير «شمال نهر أم الربيع، وهو يسقى بمياه النهر وتحمل إليه بواسطة قناة تنبعث من سد قصبة تادلا وتبلغ مساحة الأراضي المسقية 23.500 هـ» (19).

وأما سهول بني موسى فإنها لم تعرف الري بالقنوات إلَّا بعد سنة 1956 أي في السنوات الأولى لاستقلال المغرب وذلك بعد تشغيل مياه «نهر العبيد التي تتجمع في

(15) ساقية بني عمير المحمولة من سد قصبة تادلة على نهر أم ربيع.

(16) انظر البحث المتعلق بالماء في المنطقة من هذا الكتاب.

(17) جغرافية افريقيا السنة الثانية اعدادي ص : 56.

(18) مقرر الجغرافيا للسنة الثانية اعدادي ص : 59.

(19) مقرر الجغرافيا للسنة الثانية اعدادي ص : 61.

بحيرة اصطناعية، داخل الأطلس المتوسط، بواسطة سد بين الويدان وتنبعث من هذا السد [20] قناتان رئيسيتان : الأولى تتجه نحو الشمال الشرقي لتنتهي عند ضفاف أم الربيع والثانية تسير نحو الغرب، وتبلغ مساحة هذا القطاع 62.000 هـ» [21].

وكان سهل أفورار أول من استفاد من الري، لذلك فقد اتخذ اشكالا هندسية جميلة جدا نتيجة الدورة الزراعية التي تنظم هذا السهل خلال «5 سنوات، ويتناوب على نفس الحقل خلال هذه المدة القمح الطري، ثم القطن، ثم القمح الصلب، ثم القطاني، وأخيرا الفصة، وقد يعوض الشمندر إحدى هذه المزروعات في التناوب الخماسي» [22].

بينما تكون الأشجار مغروسة في جوانب هذه الحقول كحدود فاصلة بين حقل وآخر.. وهو ما يزيد الأشكال الهندسية جمالا ....

ويظهر جمال هذه المناظر عند الصعود فوق قرية أفورار في الطريق المؤدية إلى بين الويدان..

ويعتبر القطن منذ القديم منتوجا فلاحيا تقليديا للمنطقة «وهو من النوع الجيد الذي يلاقي اقبالا كبيرا في الأسواق العالمية» [23]

أما بعد إنشاء شبكات الري فقد انشأ المعمرون الفرنسيون بالمنطقة مزارع، أشجار الحوامض التي اعتبرها أحد مديري مركز تصبير الحوامض ببني ملال أثناء استطلاع سنة 1970 أجود أنواع الحوامض في المغرب، وحوامض المغرب تعتبر أجود أنواع العالم...

وبالاضافة إلى الحوامض، فإن المنطقة وخاصة منطقة الدير قد عرفت غراسة أشجار الزيتون كفلاحة تقليدية للمنطقة، لذلك فإن بني ملال والضواحي تعتبر غابة واسعة من أشجار الزيتون، وتبعا لذلك أنشئت العديد من معاصر زيت الزيتون التي ازداد عددها كثيرا في السنين الأخيرة، بل وتعرف تطورات ميكانيكية في طريقة عصرها بسبب اتساع حقول الزيتون.

---

(20) الواقع أن القناتين تنبعان من أفورار بعد أن يتم تحويل الماء المتدفق في سد بين الويدان بواسطة سد ايت واعرضة عبر قناة نفقية وسط الجبل لتخرج إلى جهة الغرب في أفورار.

(21) مقرر الجغرافيا للسنة الثانية إعدادي ص : 61.

(22) مقرر الجغرافية للسنة الثانية إعدادي ص : 62.

(23) المصدر السابق ص : 62.

أما الماشية فإنها كانت تعتمد على الأغنام وبعض الأبقار في السهول، والماعز في الجبال، غير أنه نتيجة تدخلات وزارة الفلاحة في تحسين النسل بالمنطقة في السنوات الأخيرة، فإن المنطقة تعرف اليوم العديد من رؤوس الأبقار المستوردة أو المهجنة محليا... كما أن الاهتمام بعمليات تحسين النسل للأغنام جعل الاقليم يتمتع بأجود أنواع لحوم الأغنام، ويعتبر لحم أغنام تادلة أحسن وأجود أنواع اللحوم بالمغرب وخاصة ما يسمى ب : «الصَّرْدِي» وهو ما أشاذت به عدة مصادر سواء تاريخية أو حديثة.

من ذلك : المميزات التي أوردها أحمد بلقاسم الزياني في تاريخ بلدة خنيفرة (24) عند حديثه عن مزايا أغنام قبائل خنيفرة حيث قال : «وأغنامهم (25) من أفضل الأغنام المغربية سمنا قليلة الحشو وقد تفضل أغنام تادلة من هذه الناحية، لكن أغنام تادلا تفضلها بلذة المذاق وفتوة اللحم والكبر والصوف الرطبة التي لا أحسن منها».

وقد مدح جمال الاقليم أحمد بن القاضي وهو الشخصية الكبيرة المعروفة الذي ترك العديد من المؤلفات ذات القيمة التاريخية الكبرى، وهو من مدينة مكناس، لذلك لا يكون في مدحه لهذا الاقليم أي تحيز، فهو أقرب إلى الحقيقة والموضوعية يقول أحمد بن القاضي (26) :

ما أبصرت عيناي من منظر	كتادلا في زيها الأعجب
وما رأت أهلا كسلطانها (27)	الصدر في الشرق وفي الغرب
نصره اللــــه وملكـــه	ملكا عظيما فاخر المنصب
كي ينظم الأقطار في سلكه	من سوس الأقصى إلى يثرب

---

(24) ص : 28 تحقيق محمد أمحزون.

(25) أغنام قبائل خنيفرة.

(26) ذكر الشعر أحمد المقري في كتابه : روضة الأس ص : 255. عند حديثه عن أحمد بن القاضي صاحب جذوة الاقتباس.

(27) عاصر أحمد بن القاضي السلطان أحمد المنصور السعدي والف فيه كتابه «المنتقى المقصور».

سكّيم[28] جبل بتادلا

سأورد عن هذا الجبل ما قاله عنه الحسن الوزان في كتابه وصف افريقيا، نظرا لكونه معلمة جغرافية ارتبطت باسم تادلة فيما مضى.

«جبل سكّيم، ولو أنه ينظر إلى الجنوب، يعتبر مع ذلك من جبال تادلا، يبتدىء غربا من تخوم جبل تساون ويمتد شرقا إلى جبل مغران حيث ينبع نهر أم الربيع [29] ويتاخم جنوبا جبال دادس، سكان هذا الجبل فرع من شعب زناكة خفيفوا الحركات أقوياء أبطال في الحرب سلاحهم حراب صغيرة وسيوف مقوسة وخناجر، ويستخدمون أيضا الحجارة فيقذفونها بحذق كبير وقوة عظيمة، وهم في حرب دائمة مع أهل تادلا بحيث أن تجار الناحية لا يستطيعون قطع الجبل بدون إذن مرور وأداء مبالغ باهظة والأماكن المسكونة فقيرة وبعيدة بعضها عن بعض، حتى إنك قلَّمَا تَجِدُ ثلاثة بيوت أو أربعة مجتمعة، يملك الأهالي العدد العديد من الماعز والبغال القصيرة في حجم الحمير، تذهب هذه الحيوانات لترعى في غابات الجبل، لكن الأسد تفترس بعضها وتبتر أعضاء الكثير منها، ولا يخضع أهل هذه البلاد لأي رئيس، لأن جبلهم في غاية الصعوبة والوعورة بحيث أصبح منيعا لا يرقى إليه أحد.

وفي أيامنا هذه أراد القائد الذي فتح تادلا أن يشن غارة على هذه البلاد، فعلم أهلها بذلك وكونوا جماعة من الشجعان كمنوا بهدوء قرب صخرة تحادي مسلكا صغيرا كان على العدو أن يمر منه، ولما رأوا أن الفرسان توغلوا كثيرا في منحذر الجبل خرجوا من كل جانب من جوانب مكمنهم وقَذَفوهُم بالحراب والحجارة الضخمة، كانت المعركة قصيرة لأن القائد لم يستطع الصمود أمام الهجوم ولا الفرار إلى الأمام أو الخلف، واصطدم الفرسان ببعضهم بطبيعة الحال في هذا الممر الضيق حتى أن الكثير منهم ترددوا بخيولهم من أعلى الصخرة، فاندقت أعناقهم وقتل آخرون بحيث لم

---

(28) الحسن بن محمد الوزان وصف افريقيا ج : 1 ص : 146.

(29) تعليق محقق الكتاب – يبدو أن الأمر اختلط على المؤلف هنا فمنبع نهر أم الربيع يقع في الأطلس المتوسط بالقرب من عين اللوح بين خنيفرة وأزرو وربما قصد الحسن الوزان أحد روافد نهر أم الربيع وهي كثيرة.

ينج منهم أحد من القتل إلا وقع في الأسر فلقي أسوأ مصير، إذ أخذهم المتصرون مغلولين إلى منازلهم، فمثلت بهم نساؤهم كعلامة على الاذلال الشنيع، وذلك لأن الرجال يترفعون عن قتل الأسرى ويضعونهم بين أيدي النساء، حقا إن أهل هذه البلاد لم يجرؤوا على الذهاب إلى تادلا منذ هذا الحادث، لكنهم ليست لهم كبير حاجة بها، لأن جبلهم ينتج كمية كبيرة من الشعير والماشية كثيرة جدا وعيون الماء أكثر من الدور عددا، فلا ينقصهم سوى مواد التجارة العادية».

ولعل جبل سكّيم الذي عَنَاهُ الحسن بن محمد الوزان هو جبل «تاسميط» وما جاوره من المرتفعات المحادية لِمَوَاقِع بني ملال وفم العنصر وتاكْزيرت.

نهر أم رْبيع

يعتبر نهر أم رْبيع أهم معلمة طبيعية تحتفل بها مدينة قصبة تادلة ويعتبر أهم نهر يعبر المنطقة بأكملها لذلك حرصت على أن أجمع في آخر لحظة كل ما وقع تحت يدي من معلومات عنه وأوجزها فيما يلي :

1 – التعريف

نهر أم رْبيع كان يعرف فيما قبل باسم وادي وانسيفن باللغة الأمازيغية، وذلك لوجود منبعه في منطقة الأهالي من الأمازيغ. قال في الروض المعطار (30) : «وانسيفن : بالمغرب عند قلعة مهدي ببلاد فازاز (31)، وواديها هو المعروف بوادي أم ربيع» ويظهر من التعريف السابق للحميري أن الاسم الجديد هو أم رْبيع بدون «أل» ويقول الأستاذ أحمد التوفيق (32) «أم ربيع وهذا هو الصحيح إلى يومنا هذا على ألْسِنَة الناس، وهكذا ذكره الادريسي (33) والاستبصار (34)، وعنهما نقل صاحب (35) الروض المعطار (36)» .

أما الاسم الحديث أم ربيع فيقول المؤرخون بأنه كان لقرية على وادي وانسيفن ثم تحول الاسم من القرية ليعم مجرى النهر كله «وأم ربيع عند الادريسي قرية على الضفة الجنوبية لهذا الوادي في الطريق بين مراكش وسلا، وصفها وصفا مفصلا، أما الوادي فكان يسمى وادي وانسيفن وبذلك سماه التشوف (37) في مجراه الأعلى بتادلا مرارا» (38)

---

(30) محمد بن عبد المنعم الحميري. ص : 600 وصفحة : 4 : وانسيفن معتمدا على الاستبصار. ص : 185.

(31) بلاد فازاز ما يعرف اليوم بإقليم خنيفرة.

(32) محقق كتاب التشوف ص : 309 هامش : 820.

(33) نزهة المشتاق ص : 46 من طبعة الجزائر.

(34) ص : 185. لمؤلف مغربي مجهول.

(35) محمد بن عبد المنعم الحميري.

(36) ص : 605.

(37) التشوف إلى أهل التصوف كتاب ليوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات.

(38) أحمد التوفيق محقق كتاب التشوف ص : 309 هامش : 820.

وأظن أن الاسم أطلقه العرب القادمون إلى المنطقة ويكون معناه «صاحبة المياه أو الخير» والخير عند العرب كان الكلأ للماشية، وهو ماتسميه العامة «رْبيع» بضم الميم، وهي الصيغة التي يطلقها العامة اليوم على النهر «أم ربيع» أي الأم التي تنبت الكلأ و«رْبيع» للماشية وهذه الصيغ الوصفية المركبة غالبا ما يكون مخترعها الغرباء عن المنطقة، لجهلهم بالأسماء الحقيقية للأشياء، فعندما يجهل أحدنا اسم شخص ما فإنه يلجأ إلى وصفه بصاحب كذا أو أب كذا، فنقول : بوطربوش، بوسلهام، إلى غير ذلك.

«وليس من شك أن اطلاق اسم أم ربيع على مجموع المجرى جاء متأخرا بعد حلول قبائل عربية على ضفتيه بتامسنا ودكالة، وكذا في مجراه الأعلى بتادلا» (39).

ويذهب «ماسينون في دراسته (بالفرنسية) عن المغرب في أوائل القرن السادس عشر إلى أن اسم أم ربيع أطلق على هذا الوادي مؤخرا، وذلك نسبة لمجازه عند بولعوان المسمى أم الرجلين.... ولكننا نستبعد أن تكون قرية أم ربيع هي بولعوان لأن الادريسي يجعلها على مرحلة قبل ايجيسَل للمتوجه إلى سلا، وايجِيسَلِ هي كِّيسَر الحالية ولا يعقل أن تنحرف الطريق بما يقتضيه العبور في بولعوان إلى كِّيسَر» (40).

وصف قرية أم رْبيع

وهي القرية التي يقول المؤرخون بأن النهر أخذ منها اسمه الجديد «أم ربيع قرية هناك كبيرة جامعة فيها اخلاط من البربر، هم أصحاب حرث ومواش، وجمال، والغالب عليهم الفروسية، وأم ربيع على هذا الوادي، وهو كبير خرار يجتاز بالمراكب سريع الجري كثير الانحذار والصخور، والجنادل، وبهذه القرية البَان وَأَسْمان ونِعِمَ كثيرة وحنطة في نهاية الرخص، وبها بُقول ومزارع القطاني والقطن والكمون، وهي جنوب الوادي» (41).

ويصف الحميري أهل هذه القرية بالقوة والشجاعة، وتصارعهم اليومي مع الحيوانات الضارية المجاورة لهم «ويجتاز هذا الوادي إلى غيضة كبيرة ملتفة والأسد بها كثيرة، وربما اضرت بالمارة، غير أن أهل تلك النواحي لا يهابونها، وقد مهروا في مقابلتها بأنفسهم من غير سلاح إنما يلقونها بأنفسهم عراة يلقون أكسيتهم على

---

(39) أحمد التوفيق محقق كتاب التشوف ص : 309 هامش : 820.

(40) المصدر السابق.

(41) محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار ص : 605.

أذرعهم ويمسكون معهم قناة من شوك السدر وسكاكينهم بأيديهم لا غير، فتلقى الأسد منهم هناك نكايات وترجع خائبة» (42).

ومن التعريف السابق أكاد أشك في أن أم ربيع المشار إليها هي مدينة خنيفرة حاليا، بالنظر لقوله : «قرية هناك كبيرة جامعة فيها أخلاط من البربر... والغالب عليهم الفروسية ... ومصارعتهم للحيوانات الضارية الكثيرة هناك ...» غير أنني أنظر إلى القول القائل بأن قرية أم ربيع في الطريق بين مراكش وسلا، فأجد بأن خنيفرة تنحرف عن هذه الطريق إلى جهة الشرق فأعود لأتَرَدَّدَ في ذلك.

وهناك رواية شفوية تفيدُ أن مصدر التسمية يعود إلى النسبة لأربعين عينا ينبع منها النهر فتحرف الاسم من أم الأربعين إلى أم ربيع.

ومهما يكن من أمر فإن الاسم الأصلي للوادي «وانسيفن» متفق عليه، ويبقى مصدر الاسم الجديد، وهو ما سيبقى للبحوث القادمة من أجل الكشف عنه، غير أنه لابد من تسجيل الملاحظة التالية :
وهو ضرورة تصحيح النطق بالاسم باللغة العربية من (أم الرَّبِيع إلى (أُمْ رْبِيعْ) وهو الأصل الذي احتفظ به في اللغة اللاتينية : Oum. Er.rbia وليس Oummo.

وصف النهر

وجدت وصفا عاما مقتضبا ومُجملا لمحقق كتاب الأنيس المطرب (43) يقول فيه «نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس المتوسط بين خنيفرة وعين اللوح، ويصب في المحيط الأطلسي عند مدينة آزمور بعدما يقطع في جريه مسافة 600 كلم، تقدر كمية فيضه بألِف مِتْر مُكَعَّبٍ في الثانية خلال فصل المطر، وتنخفض في فصل الصيف إلى أربعين مترا مكعبا في الثانية فقط، من أكبر روافده وادي العبيد الشهير أقيم على نهر أم الربيع سد علوه 50 م بالمكان المدعو إيمفوت يسقي 150 ألف هكتار من سهول دكالة» (44).

---

(42) المصدر السابق.
(43) ص : 302 هامش : 174. لعلي بن أبي زرع
(44) انظر الآثار المقامة على النهر في مكان آخر من هذا البحث.

المنبع

يصف أحمد بلقاسم الزياني هذا النهر وصفا دقيقا نظرا لمعاينته اليومية لنواحي المنطقة يقول عن المنبع «ينبع هذا النهر العزيز عن يسار خنيفرة بنحو أربعين كيلو متر، وهو ذو منابع عديدة يقال إنها أربعون، ولكن لا يمكن عدها بالضبط لعظمة الماء، وتتفجر هذه المنابع في منخفض (45) من الأرض يميل إلى الجنوب، وقد اكتنفها جبلان عظيمان... ومن سفح هذين الجبلين المتقابلين تندفع هذه المياه الهاطلة والأمواج المتقاتلة المقدرة بأربعين ألف لتر في الثانية، ويعسر على أي كان أن يصل لِلَمْسِ هوة المياه من منابعها دهشا من صولة الماء الجذاب» (46).

عاينت المنطقة سنة 1986 فوجدت المنبع كما يصفه أحمد بلقاسم الزياني، وإلى جانب هذا الوصف لاحظت أن الجبل الأيسر للمنبع تنِزُّ أرضه بالماء المالح، ولعل بالجبل ملحا تحت سطحه، وقد لاحظت صفاء الماء وشدة زرقته، حتى أن الانسان تأخذه عظمة الله سبحانه وتعالى، من عظمة ما صنع من قوة اندفاع ماء النهر وصفاء لونه الجذاب، وهو مخالف تماما للونه الدَّاكن المعروف لأمْ رْبيع.

أما منابعها فهي أنواع «منها كالشلالات، ومنها ما يخرج بصولة في ضوضاء، ومنها ما يندفع دفعة واحدة بقوة عظيمة، ويتكون من الجميع هدير، وينشب بين الماء عراك، ثم يُطاطِيء الجميع رأسه ويلقي إلى الانقياد عنانه ومراسه، فيصبح وقد تكون منه نهر عظيم متين يحوي ماء أصفى من عين الديك، وأبيض من اللجين» (47).

والبياض المشار إليه هو رغوة الماء الناتجة عن اصطدام الماء بالصخور، فيتكون لون سماوي جميل أزرق فاتح بلون أبيض ناصع غير أن هذا الصفاء الجميل، لا يلبث طويلا ... «غير أنه ما كاد يفارق منبعه ويبارح مضجعه حتى انقض عليه لسان مالح بوجه كاسح كاد يغير ذوقه» (48).

وهو الوادي القادم من يمين نهر أم ربيع ولونه في لون الصلصال مالح شديد الملوحة يصب في النهر، فيكدر صفاءه ويغير طعمه.

---

(45) هو في الحقيقة أخذوذ عميق في الأرض.
(46) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 14 تحقيق : محمد امحزون.
(47) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 14.
(48) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 14.

المجرى

يصف أحمد بلقاسم الزياني مجرى النهر وصفا اجماليا عاما قائلا (49) «ويجري هذا الوادي في مآزق، ومضايق وأخاديد، ومزالق، فتسمع له هديرا، وأحيانا ضوضاء وخريرا، ثم إذا وصل منبسطا من الأرض سكن هيمانه، وبرد غليانه حتى ليطمع فيه الغرير والصبي الصغير، ولكنه نهر جبار، كم عليه للأنفس البريئة من ثأر» ولعل العبارة الأخيرة المتعلقة بثأر النهر إشارة إلى ما تقوله العامة عنه من أنه «حَالَفْ في البَرَّانِي» أي أنه يتهدد الناس الغرباء، وحقيقة هذا التهديد هو ما أشير إليه سابقا من أن الغرير يطمع فيه والصبي الصغير... بمعنى أن من رأى النهر من الغرباء هادئا يحسبه راكدا فيطمع فيه بالسباحة أو قطعه إما راجلا أو على الدابة، فإذا توغل فيه قليلا جرفته المياه السريعة الجري من أسفل، وهوى به إلى العمق، لذلك كان أغلب ضحايا النهر غرباء لعدم معرفتهم بالمشارع التي يمكن أن يؤخذ منها النهر حسب الأوقات والفصول...

ثم يعود أحمد بلقاسم الزياني لوصف المراحل التي يقطعها النهر من منبعه إلى مصبه : «... على هذا المنوال يجري هذا الوادي من جبل حَيّان (50) فيمر على خنيفرة ثم يسير إلى موضع يقال له «الهري» وهو قصر كانت به الجنود الحسنية والاشراف العلويون، فيصب به وادي يقال له وادي «شبوكة»، ثم يسير قريبا فيصب به وادي سرو وهو واد مالح، ثم يسير فيصل قصبة تادلا، ثم يخرج لبسيط بني عمير وبني موسى وهنا يصب فيه وادي العبيد، ثم يسير إلى أن يصب به نهر وادي تاسوت من قبيلة السراغنة، قرب القلعة، ثم يسير الجميع فيمر على سيدي علي أمعاشو مركز الكهرباء الكبير، ثم يسير إلى أن يصب في البحر المحيطي بثغر آزمور، فيصبح وقد قطع نحو خمسمائة (51) كيلو متر تقريبا من منبعه إلى مرقده الأخير ومضجعه» (52).

ويصفه عبد الوهاب بن منصور قائلا «ونهر أم الربيع الذي هو أكبر انهار المغرب، وأكثرها انتظاما، ينبع من جبل حيان بالأطلس المتوسط، ويمر بخنيفرة وتادلة، ويتضخم بالروافد التي تصب فيه مثل وادي العبيد، ووادي تِيسَّاوت، ويصب عند آزمور بعدما يقطع 550 كلم» (53)

---

(49) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 14 تحقيق محمد أمحزون.

(50) هامش 27 من الكتاب : جبل حيان يقع قريبا من قرية مريرت.

(51) جعل محقق كتاب علي بن أبي زرع طوله : 600.

(52) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 14.

(53) القبائل المغربية ج : 1. ص : 69.

ويصف أحمد عسة (54) نهر أم رْبيع بما يلي «ويأتي «نهر أم ربيع» من حيث الطول بعد نهر السبو، ذلك أن طوله يبلغ 580 كيلو متر وتبلغ مساحة حوضه 690 34 كيلو متر مربع، بينما يبلغ معدل صبيبه السنوي 105 مترا مكعبا في الثانية، وينخفض في أيام الشح عن 21 مترا مكعبا في الثانية ....

ينبع هذا النهر من جبال الأطلس، ويروي سهل تادلة ، ويمتاز تدفقه بالانتظام... ويعتبر نهر أم الربيع أفضل نهر مغربي لاقامة السدود من أجل أغراض ري الأراضي وتوليد الكهرباء على السدود».

وواضح أن طول النهر قد وقع فيه اختلاف بين مصدر وآخر :

1 – محقق كتاب الأنيس المطرب، حدد طول النهر 600 كلم.

2 – أحمد بلقاسم الزياني 500 كلم تقريبا.

3 – عبد الوهاب بن منصور 550 كلم.

4 – أحمد عسة 580 كلم.

5 – ولعل الصحيح هو ما عند وزارة الفلاحة في مجلة (55) الارشاد الفلاحي وهو 555 كلم.

الآثار المقامة على نهر أمْ رْبِيع :

القناطر : قال الحميري : «وينحَدِر هذا الوادي في سعة بلاط قدره عشرون شبرا أو نحوها، وعليه قنطرة محدثة، وعليها لوح كثير» (56) فأي قنطرة يعني الحميري، فقد ذكر بلقاسم الزياني ثلاث قناطر أنشئت على نهر أم ربيع غير أننا إذا علمنا بأن الحميري توفي قبل سنة 900 هـ رغم التضارب الواسع في تحديد تاريخ وفاته بين القرن الثامن الهجري والقرن التاسع (57) فإننا نعلم بأن القنطرة المشار إليها آنفا انشئت إما في عهد المرينيين أو الوطاسيين وهي الفترة التي يمكن أن يكون قد عاش فيها محمد بن عبد المنعم الحميري.

وعندما يستعرض أحمد بلقاسم الزياني القناطر المبنية على أم ربيع فإنه يغفل

---

(54) المعجزة المغربية ص 558.

(55) عدد أبريل 1983. ص : 27.

(56) الروض المعطار. ص : 605.

(57) احسان عباس مقدمة تحقيق كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميري.

القنطرة السابقة الذكر، ولا يتحدث عنها، وربما كانت قد تهدمت. والقناطر الثلاث التي ذكرها الزياني اثنتان منهما من انشاء المولى اسماعيل، والثالثة من إنشاء المولى الحسن الأول.

يقول الزياني : «على هذا الوادي قناطر ثلاثة قديمة مخزنية، أولها بمحل يدعى البرج قبل خنيفرة بنحو ثمان كيلومترات وهذا البرج هو عبارة عن أطلال كان متخذا على القنطرة وهو والقنطرة المذكورة من الآثار الاسماعيلية، ولهما قيمتهما وهندستهما.... وعلى خنيفرة قنطرة أخرى وهي والمسجد الأعظم بها من الآثار الحسنية» (58).

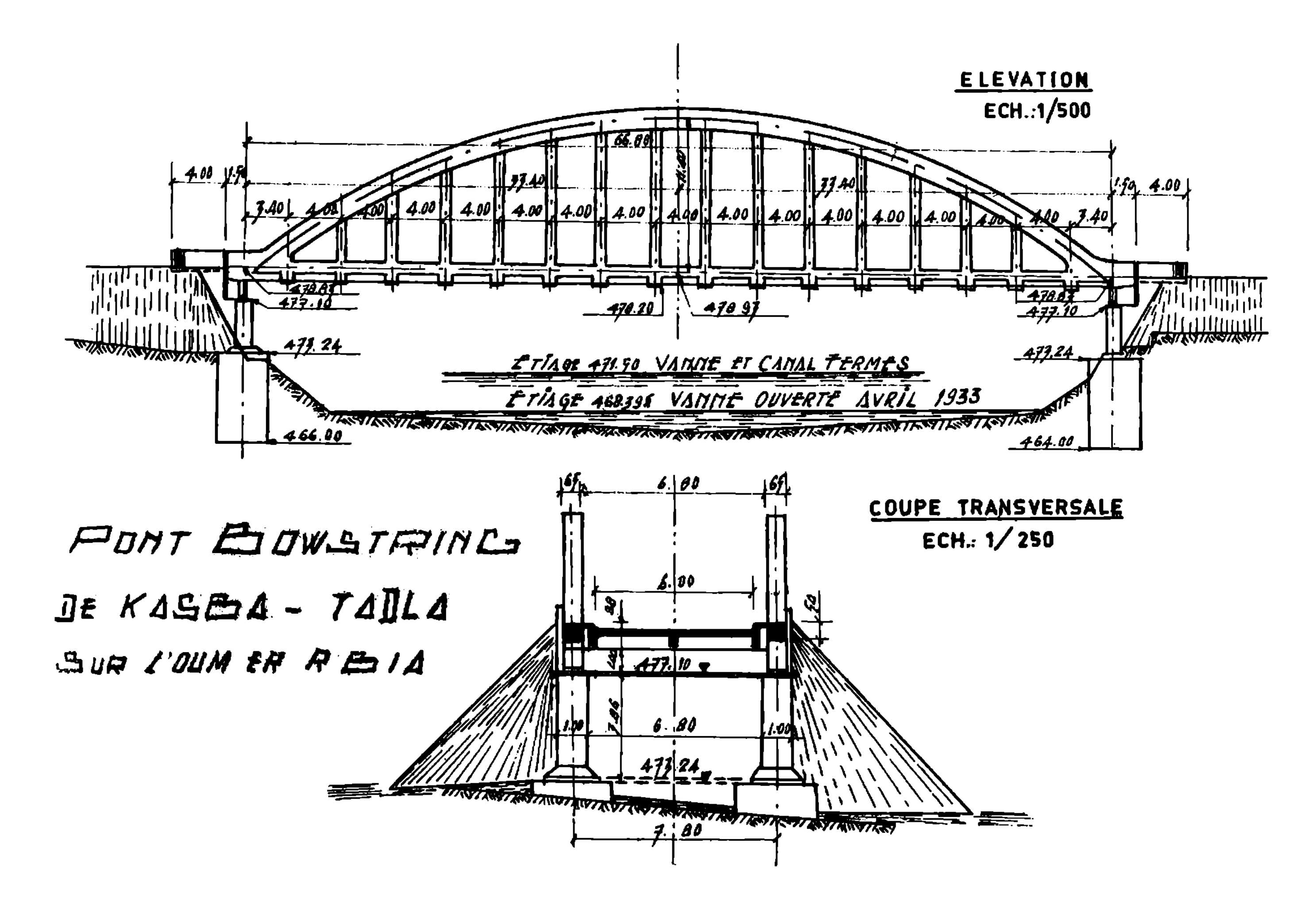
ومن جهة أخرى فقد ذكر أحمد المقري لأبي العباس أحمد المنصور الذهبي السعدي قنطرة أخرى بناها على أم ربيع كانت أكثر من واحدة، قال المقري في استعراض منجزات المنصور السعدي «... وأفعال لا تحصى كثيرة كبناء القنطرة العظيمة على وادي أم رْبيع، وقنطرة أخرى أيضا وغير ذلك» (59).

فأي قنطرة عظيمة يقصد المقري ؟ إن قنطرة مدينة تادلة قنطرة عظيمة هي الأخرى وقد قاومت قوة التيار الجارف بالنهر لعشرات السنين بل لعدة قرون وما تزال قائمة قوية تمد ظهرها لعبور الراجلين والسيارات والشاحنات، بينما تصمد أقدامها ثابتة في الأرض في عزم وثبات وصمود... إذا كان المقري يقصدها... فقد صرح أحمد بلقاسم الزياني بأنها من الآثار الاسماعيلية، للمولى اسماعيل العلوي، ودائرة المعارف الاسلامية، تجعلها من آثار المولى سليمان العلوي، فإلى أي سلطان يعود تاريخ إنشائها ؟

قنطرة قصبة تادلة

بقصبة تادلة اليوم قنطرتان إحداهما حديثة والأخرى قديمة وهي التي ذكر الزياني «وبقصبة تادلة قنطرة أخرى وهي والقصبة من الآثار الاسماعيلية» (60) وواضح جدا من النص السابق أنها من آثار المولى إسماعيل العلوي، غير أن دائرة المعارف الاسلامية تجعل هذه القنطرة من مآثر المولى سليمان العلوي «السلطان مولاي سليمان – هذا – هو الذي بنى مسجد بُوجَّدْ (61) والجسر الذي على أم الربيع» (61) مكرر.

(58) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 18.
(59) روضة الآس العاطرة الأنفاس ص : 67.
(60) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 18.
(61) يقصد مسجد أبي الجعد، المعروف بمسجد مولاي سليمان
(61) مكرر : دائرة المعارف الاسلامية ص : 460.


ELEVATION
ECH.:1/500
ETIAGE 471.90 VANNE ET CANAL FERMES
ETIAGE 468.395 VANNE OUVERTE AVRIL 1933
COUPE TRANSVERSALE
ECH.: 1/250
PONT BOWSTRING
DE KASBA - TADLA
SUR L'OUM ER RBIA

أما القنطرة الحديثة فقد بنيت عام 1933، وضعها وتصميمها المهندس الفرنسي بويسترانغ، وتوجد عدة قناطر على شاكلتها ومن نفس تصميمها على نهر أم رْبيع منهن واحدة أخرى في اقليم بني ملال بناحية سيدي عيسى أولاد زْمَام.

السدود

سد قصبة تادلة : هو سد تحويلي صغير يقوم بحصر ماء النهر وتحويله إلى قناة اصطناعية مكشوفة تقوم بنقل الماء لسقي سهول بني عمير، واستخدامها أيضا في إدارة محركات معمل انتاج الكهرباء بمركز الزيدانية. انشيء عام 1929 .. وتنحصر أهمية هذا السد التحويلي في عامل انتاج الكهرباء وسقي أراضي بني عمير، ورغم صغره وبساطة تركيبه وبنائه وهندسته، فإنه كان وقت بنائه يعد من المنشآت الخطيرة في البلاد، وخاصة على نهر أم ربيع. وقد احتفظ لنا أحمد بلقاسم الزياني بموقف بعض معارضي المشروع في الحكومة الفرنسية إبان سنوات الحماية فقال : «ولا يقال إن ذلك لعدم صلاحية الماء للسقي لملوحيته كما جاء في بعض التقارير التي القيت بمجلس شورى الحكومة بالرباط أيام المقيم السالف المسيو لوسيان سان ينتقذ بها صاحبُه تكاليف السد العظيم على (أم ربيع) بقصبة تادلا...» (62).

ومما سبق تتضح الأهمية القصوى التي أحيطت بالمشروع، وكانت تكاليفه تعتبر تكاليف باهظة جدا تستدعي المناقشات والنقد داخل مجالس الحكومة.

ويستطرد الزياني قائلا : «والسد المتحدث عنه قد تم بقصبة تادلة، وهو سد عظيم، والساقية قد امتدت لبسط تادلا، وعما قريب ستجرب التربة الأولى لسقي تلك التربة الطيبة التي لا توازيها تربة قط في الأراضي المغربية» (63).

والقناة التي تحدث عنها أحمد بلقاسم الزياني آنِفًا يبلغ طولها من سد تادلة 24 كلم، تصل سعتها إلى 14 مترًا مكعبًا في الثانية، وتتفرع في سهول بني عمير، ولذلك عرف هذا السهل منذ وقت مبكر سنة (1929) التجهيزات والأساليب الأولى للري بسبب إنشاء هذه القناة ومدها إلى سهول بني عمير.

وقد كان نهر أُمّْ رْبيع قبل هذا السد يمر ضائعا دون أية إفادة يقدمها للوطن «هذا الوادي العظيم الذي قلنا أنَّ قَدْر مائه في أصل منبعه نحو 40 ألف لتر في الثانية

---

(62) ص : 460 .

(63) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 14 وما بعدها.

دون ما صُبَّ به من الأودية يمر ضائعا ولا يطعم ضعيفا، ولا جائعا، ولا يزود أربابه بدانق أو فلس، فهو عندهم أضيع من سراج في شمس، أضاعوه بحيث لا ينتفع به في قليل ولا كثير» (64).

وقد تزامن بناء سد قصبة تادلة مع بناء سد سيدي امعاشو بإقليم الجديدة حيث تم بناؤه سنة 1929 لغاية الشرب والكهرباء.

وبعدهما انشيء سد ايمفوت سنة 1944 بإقليم سطات بإمكانه خزن 25 مليون م^3 ويسقي 146.700 هكتار. (65).

ثم تلاهم سد الدورات بإقليم سطات حيث انشيء سنة 1950 للشرب والصناعة (الكهرباء).

وبعدهم أنشأ صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أعظم سد في المغرب فاقت أهميته مكانة سد بين الويدان، حيث بإمكانه خزن 2724 مليون م^3 وذلك سنة 1979 وهو سد المسيرة الخضراء بإقليم مدينة سطات.

ثم أنشيء سد دشرة الواد بإقليم بني ملال، وبدأ في العمل سنة 1981 تبلغ طاقته الاستيعابية 3100 مليون م^3. (66).

دور أُمْ رْبيع :

لعب نهر أم ربيع دورا مهما في العملية التجارية المتعلقة بنقل الأخشاب من إقليم خنيفرة إلى مراكش والنواحي، وذلك بالطريقة التي وصفها الزياني في النص الآتي : «هذا الأرز عظيم .. وتبلغ الأرزة مائة متر طولا وعشرات عرضا... وهذا الأرز كانت له قيمته أيام عمارة خنيفرة الأولى، فمنه كان تزويد أبي الجعد وتادلا، والدار البيضاء ومراكش، وبالأخص مراكش، وقد كان يصلها بسهولة وفي أقرب مدة بنوع من الحيلة، وهي أنهم يعمدون إلى الأحمال التي يراد وَسْقِهِا (67) فيربطون بعضها إلى بعض بحبال ويلقونها في وادي أم ربيع، ويركبها راكب فلا يزال يقذف بها الوادي وهو

(64) المصدر السابق.
(65) مجلة الارشاد الفلاحي عدد أبريل 1983 ص : 26.
(66) مجلة الارشاد الفلاحي عدد أبريل 1983.
لائحة السدود بالمغرب ص : 26.
(67) بيعها.

يسايرها حتى تصل مابين الرحامنة والسراغنة قريبا من مراكش بنحو 80 كلم فتخرج من الوادي، وتحْمل إلى مراكش بدون كبير كلفة». (68).

كما لعب النهر دورا جغرافيا كحد طبيعي يقسم سهول تادلة إلى قسمين قسم شمالي، وآخر جنوبي.

ولعب دورا تاريخيا في المنطقة كمانع طبيعي يحول دون إغارة قبيلة على أخرى، على الأقل في فيضانه، هذا بالاضافة إلى دوره الاقتصادي في انتاج الكهرباء، وسقي الأراضي، وإنتاج الأسماك.

شخصيات تاريخية عَبَرَتْ أُمْ رْبِيعْ :

في أيام عبد المومن الموحدي عبر الوفد الكبير القادم من كُومية بالمغرب الأوسط موطن عبد المومن الكومي، وذلك عندما استدعى عبد المومن أهله وعشيرته من المغرب الأوسط لحمايته بالمغرب «ولما دخلوا أرض المغرب تشوش أهله من قدوم هذا الجيش الحفيل، من غير أن يتقدم لهم سبب ظاهر.. فأمر عبد المومن الشيخ أبا حفص الهنتاتي أن يخرج إليهم... فسار حتى لقيهم على وادي أم رْبيع فقال لهم «ما أنتم أسِلْم لنا أم حرب ؟» قالوا «بل نحن سلم، نحن قبيل أمير المؤمنين» (69) وكان ذلك سنة سبع وخمسين وخمسمائة 557 هـ.

وفي أيام الموحدين مات ابن يعقوب المنصور الموحدي بأم ربيع قال «وبوادي أم ربيع هذا مات صاحب المغرب أبو العلا ادريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن... وذلك في رابع المحرم سنة ثلاثين وستمائة 630 هـ فإنه لما نازل سبتة وحاصرها ولم يقدر عليها.. بلغه أن مراكش تملكها ابن أخيه يحي فلم يجد بدا من الارتحال عن سبتة فرحل .. فلما وصل إلى وادي أم رْبيع أدركه حمامه فمات هناك فاحتمل ميتا إلى مراكش» (70).

أما الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني فقد عبر النهر عام ست وستين وستمائة عندما «كر راجعا إلى مراكش في شعبان» (71).

والسلطان سيدي محمد بن عبد الله «في يوم الخميس ثاني شعبان عام اثنين

---

(68) تاريخ بلدة خنيفرة ص : 25.
(69) الاستقصا ج : 2. ص : 137.
(70) محمد بن عبد المنعم الحميري في الروض المعطار ص : 605.
(71) الاستقصا ج : 2. ص : 194.

ومائتين وألف (1202 هـ) خرج أيده الله من مراكش أمَّنها الله لناحية فاس.. ويوم خروجه من حمراء مراكش بات بقنطرة تانسيفت ومنها ارتحل ونزل على وادي أم ربيع بأحمري» (72).

والمولى سليمان «لما خرج من مراكش قطع وادي أم رْبيع على مشرع أحمري وذلك يوم الأربعاء 22 ربيع الأول (من عام 1231 هـ) (73).

وجاء في كتاب الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام (74) في ترجمة المدني بن محمد الگلاوي (75) «وهذا نص كتاب كتبه عمر التازي في شأن طلب رجوع مولاي بوبكر لبيعة أخيه مولاي عبد العزيز : «... وبعد فلاً يخفاك أن سيدنا أعزه الله قد عبر وادي أم رْبيع بمِحاله السعيدة وجيوشه المنصورة المظفرة قاصدا حضرته السعيدة بمراكش».

وليست هذه الشخصيات المذكورة هي وحدها فقط التي عبرت النهر وإنما هي امثلة للدلالة على أن عبور النهر كانت له دلالة سياسية وعسكرية في آن واحد، فعبور النهر من جهة مراكش يعني التصدي لاقليم تادلة وبالتالي الاتجاه نحو امتلاك العاصمة فا س، وعبور النهر من جهة اقليم تادلة يعني اخضاع هذه القبائل وتعاونها مع السلطة المركزية في فاس من أجل امتلاك العاصمة مراكش...

خوارق ارتبطت باسم أم ربيع :

ما تحدث به الناس بأن النهر قد جرى بالزيت أيام سيدي أحمد بلگاسم العمري والد سيدي امْحمَّد الشرقي، وذلك عندما أتاه ضيوف واحتاج إلى الزيت ولست أدري مدى صحة هذه الرواية رغم ما يعرف عن والد سيدي امْحمَّد الشرقي من ثراء وسعة في الأغنام والأبقار وغيرها.

وعثرت في ترجمة «سيدي رحال الكوش» المعروف بسيدي رحال البودالي.. «يحكى أنه قصد زيارة سيدي محمد بن داوود الشاوي، فلما بلغ نهر أم رْبيع وجده حاملا لا يعبر، فقال عليه كلاما متغنيا به، فانشقَّ النهر إلى نصفين، وبينهما طريق بَيِّن فعبره هو وأصحابه» (76).

---

(72) تاريخ الضعيف الرباطي ص : 194.
(73) تاريخ الضعيف الرباطي ص : 395.
(74) الجزء 7 ص : 246.
(75) رقم الترجمة : 969.
(76) العباس بن ابراهيم الاعلام بمن حل مراكش ج : 3. ص : 224.

من الأشعار التي قيلت في النهر

أظن أنه لابد أن تكون هناك أشعار قيلت في نهر أم ربيع وإن لم أعثر إلا على ما قاله العلامة الحسن اليوسي في المحاضرات (77) «وكنت لما نزلت بخلفون على أم الربيع ذكرت من كان معنا في الزاوية الدلائية من المعارف والأحباب، وكانوا يومئذ قد شرقوا لناحية تلمسان فقلت :

ومن يسأل الركبان عني فإنني	حللت ببيتي حول أم ربيعْ
فألفيته يحكي زفيري زفيره	بقلب كقلبي بالفراق صديعْ
ويسعدني في عبرتي غير أنه	يخالفني في مهبط وطلوعْ
فتجري إلى مهفا الجنوب دموعه	وتجري إلى مهفا الشمال دموعيْ

وخلفون التي ذكرها لعلها قرية على أم ربيع بجانب الزاوية الدلائية آنذاك في منطقة زاوية آيت اسحاق حاليا، وأما الذي يهفو إليه في الشمال فهي مواطن مكناس وخنيفرة، وقبيلته بملوية، قال : «ولما كنت بمدينة مراكش – حرسها الله تعالى – وقد بقيت الأملاك في خلفون، والكتب وما معها في مكناسة، وبقيت العلائق في جبال فازاز، والقبيلة في ملوية فقلت (78) :

تشتت قلبي في البلاد فقسمة	بمراكش منه على رجل طائر
وأخرى بخلفون وأخرى مقيمة	بمكناسة الزيتون حول الدفاتر

(77) ص : 141 من المحاضرات.

(78) ص : 141 من المحاضرات.

وادي العبيد

أردت الحديث عن هذا الوادي لاثارة الاهتمام به نظرا لعدة عوامل منها :

1 – كونها أهم رافد من روافد نهر أم ربيع.

2 – لاعتباره تاريخيا حدا فاصلا بين حدود عاصمة مملكة الجنوب مراكش وعاصمة مملكة الشمال فاس، في كثير من الفترات التاريخية المغربية.

3 – لارتباط اسمه بعدة حروب قررت مصير المشاركين فيها وبالتالي مصير السلطة بانتقالها من عاصمة إلى أخرى.

4 – لارتباط اسمه بوفاة بعض الشخصيات البارزة في تاريخ المغرب السياسي السابق.

5 – ولكونه النهر الذي انشىء عليه أعظم سد في افريقيا آنذاك.

وقد تكون هناك بعض العوامل التي تزيد من أهمية هذا النهر لم أذكرها، ولم أشِرْ إليها.

وفيما يلي استعراض لأهم ما عثرت عليه من معلومات حول هذا النهر وعلاقته بالحياة العامة في المغرب الأقصى.

1 – وفاة **ادريس بن يعقوب المنصور الموحدي**، بوادي العبيد عام 629 هـ.

أشار إلى ذلك **العباس بن ابراهيم** (79)، ناقلا عن **الناصري** في الاستقصا (80) بعد أن بسط الحديث في شرح الفجائع التي مني بها **المأمون إدريس** بقيام مراكش ضده، في الوقت الذي كان فيه في حصار سبتة. وفي رحيله المسرع إلى مراكش علم «بأن **ابن هود** قد ملك سبتة، فتوالت عليه الفجائع فمرض أسفًا ومات بوادي العبيد وهو قافل من حصار سبتة، وكانت وفاته في آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمائة».

2 – بيعة **عبد الواحد الرشيد بن ادريس بن يعقوب المنصور الموحدي**، بوادي العبيد سنة 630 هـ ذكر ذلك الناصري قال «لما هلك المأمون بويع لابنه عبد

---

(79) الاعلام بمن حل مراكش ج : 3. ص : 11.

(80) الاستقصا ج : 2. ص : 232.

الواحد ولقب بالرشيد» ثم نقل الناصري عن ابن أبي زرع فقال «قال ابن أبي زرع : بويع له بالخلافة بوادي العبيد ثاني يوم من وفاة أبيه وهو أحد فاتح محرم سنة ثلاثين وستمائة» (81).

3 – انهزام **أبي العباس أحمد الوطاسي** بمشرع أبي عقبة (حد بوعكّبة) عام 943 هـ أمام أبي العباس أحمد الأعرج السعدي حيث كانت معركة فاصلة، كانت من أسباب تدعيم قيام الدولة السعدية بالمغرب.

تناول هذه الوقعة **أبو عيسى محمد المهدي الفاسي** في «الممتع» قال : «وقعة بوعقبة الكائنة بين سلطان فاس، وسلطان مراكش، وقد كانت الوقعة المذكورة فيما ذكر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة 943 هـ» (82).

وأشار الناصري إلى اقتسام المغرب قبل هذه الوقعة بقوله : «وانقسمت مملكة المغرب، فصارتْ فاس للوطاسي ومراكش وأعمالها لأبي العباس الأعرج، وتارودانت والسوس ودرعة لمحمد الشيخ (السعدي)» (83).

وأما تفاصيل المعركة المذكورة فهي كما يلي حسب الناصري ناقلا عمن سماه منويل «.. ولما رأى أبو العباس الوطاسي اسْتِفحال أمر الأشراف، جمع عسكرا عظيما توجه به إلى مراكش ... فبرز إليه الأشراف خارج البلد، ثم تقدموا إليه، فكان اللقاء علي أبي عقبة من تادلا، ووقعت بينهم حرب هائلة، لأن الوطاسيين كانوا يرون أن هذه الحرب هي الفصل بينهم وبين عدوهم والأشراف كذلك، وحضر هذا الحرب أبو عبد الله بن الأحمر سلطان الأندلس المخلوع وأبلى بلاء حسنا حتى قتل، وكان الظهور للأشراف ورجع الوطاسي مغلولا إلى فاس وترك محلته بما فيها من مدافع وغيرها بيد عدوه، وبعد هذه الوقعة استولى الأشراف على تافيلالت وملكوا أكادير وآسفي وآزمور» (84) وهكذا كانت هذه المعركة بوادي العبيد حاسمة في إنشاء دولة جديدة تستطيع من الآن أن تنفرد بالجزء الجنوبي للمغرب ابتداء من إقليم تادلة، ويعني خضوع هذا الاقليم التشجيع المطلق للسعديين بالاستيلاء الشامل على الجنوب المغربي والتطلع للسيطرة على فاس وذلك للمكانة الاستراتيجية التي كان يتمتع بها الاقليم وما يزال وهو ما سيتم التركيز عليه في هذا البحث في غير ما مرة.

---

(81) الاستقصا ج : 2 ص : 233.
(82) الممتع ص : 56 من مخطوط خاص في حوزة السيد مولاي ادريس العلمي بقصبة تادلة.
(83) الاستقصا ج : 5. ص : 11.
(84) الناصري. الاستقصا ج : 5. ص : 12.

ويشير **العباس بن ابراهيم** إلى المناوشات السابقة بين السعديين والوطاسيين، كما حدد تاريخ الصلح بينهما من أجل توزيع مناطق النفوذ قال «وكان أبو العباس الأعرج يتلاقى مع أحمد الوطاسي بتادلة وأحوازها ثم في حدود أربعين وتسعمائة (940 هـ) وقع الصلح بين الطائفتين على أن للأشراف من تادلة إلى السوس، وبني وطاس من تادلة إلى المغرب الأوسط» (85).

ثم يصف **العباس بن ابراهيم** معركة وادي العبيد في عام 943 هـ بينهما قائلا : «ثم في عام ثلاثة وأربعين وتسعمائة 943 هـ، وقعت بين الطائفتين وقعة أبي عقبة بوادي العبيد فأفنى بعضهم بعضا إلا قليلا إلى أن كانت الهزيمة على الوطاسيين عشية يوم الجمعة ثامن صفر من (سنة 943 هـ) فرجع الوطاسي لفاس وبقيت محلته وقصبة تادلة بيد الشريف السعدي» (86).

4 – انهزام **محمد الشيخ السعدي** بضفة وادي العبيد (بحد بوعكّبة) عام 1048 هـ قال القادري (87) «وفي هذا العام (1048 هـ) تقاتل أهل الدلاء مع «محمد الشيخ بن زيدان» فانهزم الشيخ بأبي عقبة» (88) وقد وضح محقق كتاب التقاط الدرر مكان هذه الوقعة فقال «بوعقبة مكان يقع على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا، يبعد عن دار ولد زيدوح بنحو 12 كلم، وقد دارت فيه معارك حاسمة بين الشمال والجنوب» (89).

وقد تناول العباس بن ابراهيم هذه الوقعة أثناء الحديث عن محمد الشيخ السعدي فقال عنه : «وكانت بينه وبين أهل الدلاء معركة انقشع غبارها عن هزيمته، وذلك بموضع يقال له بوعقبة أحد مشارع وادي العبيد، ولما رآى محمد الشيخ تعاصي أهل زاوية الدلاء عليه، واستحكام أمر المغرب لهم، وتقويتهم بالعدد والعدة، وضعف عن مقاومتهم وعجز عن مقارعتهم، صرف عنانه عن عنادهم ومنازلتهم ومُنَاوَأتِهِم، ومال إلى مسالمتهم، وقطع النظر عما في أيديهم» (90).

5 – مقتل **عمر بن محمد الطويري الفاسي** قائد جيش أحمد ابن محرز أثناء

---

(85) الاعلام بمن حل مراكش ج : 2. ص : 229.
(86) الاعلام بمن حل مراكش ج : 2. ص : 229.
(87) محمد بن الطيب القادري.
(88) التقاط الدرر ص : 109.
(89) مولاي هاشم العلوي محقق كتاب التقاط الدرر ص : 109 هامش : 8.
(90) الاعلام بمن حل مراكش ج : 5. ص : 289.

ثورته على عمه مولاي اسماعيل عام 1086 هـ. ذكر ذلك محمد بن الطيب القادري ضمن حوادث عام 1086 هـ قال «ومن حوادث هذه السنة، وقعة اللطمة بوادي العبيد بين أمير المؤمنين الخليفة مولانا اسماعيل، وجيش ابن أخيه الامام السلطان مولاي أحمد بن محرز مات فيها قائد جيش ابن أخيه القائد عمر بن محمد الطويري، الفاسي الأندلسي، وذلك في عشية الأربعاء سابع ربيع الأول، وانهزم عسكر مولانا أحمد بن محرز بموت قائدهم» (91).

6 – وفاة السلطان **مولاي الحسن بن سيدي محمد بن عبد الرحمان** عند وادي العبيد في الساعة 11 من ليلة الخميس 7 يونيو 1894 م وقد نقل العباس بن ابراهيم وقائع الحادث كما يلي : «وكان رحمه الله قد قدم من حركة فيلالة وهو مريض مرضا خفيفا في الظاهر، ولكنه مزمن في الباطن، فكان يتكلف معه الخروج للناس وينفذ القضايا ويجلس للوفود ويخبرهم ويفعل جميع الأمور المخزنية، ثم خرج من مراكش في التاريخ المذكور على مابه من الألم والمرض وتحامل حتى انتهى إلى وادي العبيد من أرض تادلة فأدركه أجله هناك في الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس ثالث ذي الحجة الحرام متم عام أحد وثلاثمائة وألف 1311 هـ (موافق) يوم 7 يونيو 1894 وحمل في تابوت إلى رباط الفتح، ودفن بإزاء جده الأعلى سيدي محمد بن عبد الله رحمة الله على جميعهم آمين» (92).

7 – سد بين الويدان الواقع حاليا في عمالة أزيلال وكان يعتبر أكبر وأضخم سد في افريقيا إبان إنجازه، ومن هذه الناحية كان يستمد أهميته، بالاضافة إلى انتاجه الكبير للكهرباء، ومن استغلال مخزون مياهه في ري سهول تادلة من جهة ثانية.

وقد تحدثت عدة مصادر عن هذا السد رغم خصوصيتها الأدبية من ذلك :

أ – كتاب الأنيس المطرب (93) قال محققه (94) «... كما أقيم عَلَى وادي العبيد سد بين الويدان الشهير الواقع خلف بني ملال ويبلغ علو هذا السد 132 م وتسقي مياهه أراضي فلاحية مساحتها 160 ألف هكتار، وتولد من الكهرباء كل سنة 600 مليون كيلواط».

---

(91) نشر المثاني ج : 2. ص : 218.

(92) العباس بن ابراهيم : الاعلام بمن حل مراكش ج : 3. ص : 196.

(93) علي بن أبي زرع.

(94) في الهامش رقم 174 ص : 302.

ويبدو أن هناك اختلافات بين المصدر وغيره في المعلومات الواردة عن السد، وهو ما ينتج عن غياب التخصص في تناول الموضوعات.

ب – كتاب القبائل المغربية (95) قال عنه «وسد بين الويدان المقام على وادي العبيد الذي يخزن مليار و 300 مليون متر مكعب من الماء، ويسقي 150 ألف هكتار من سهول تادلة، ويولد 560 مليون كيلواط من الكهرباء».

ج – المعجزة المغربية (96) أورده صاحب الكتاب ضمن السدود التي أنشئت في عَهْدِ الحماية قال عنه «سد بين الويدان على وادي العابد قرب بني ملال، ويمكن أن يحتجز 365 مليار متر مكعب من الماء لسقي الأراضي الفلاحية وتوليد الكهرباء» (97).

ويظهر بوضوح الاختلاف في الأرقام، وحتى في الاسم فأحمد عسة يسمي الوادي : وادي العابد بينما تسميه جميع المصادر وادي العبيد.

تم أورده أحمد عسه مرة أخرى ضمن «سلسلة السدود في المغرب من عام 1929 إلى عام 1973» بالمعلومات التالية :

«سنة الانجاز 1953. مجرى الماء : وادي العابد، المدينة الأقرب : بني ملال، العمالة والاقليم : بني ملال، ارتفاع السد بالأمتار : 132,5 م حجم السد بعشرات مليارات الأمتار المكعبة : 365 الحجم الكلي للخزان بعشرات مليارات الأمتار المكعبة 1.500.000 صاحب السد : الدولة» (98).

أما اليوم فإن المدينة الأقرب إلى السد هي أزيلال وواويزغت، والعمالة التي يتبع إليها السد هي عمالة إقليم أزيلال.

---

(95) ص : 70 عبد الوهاب بن منصور.

(96) أحمد عسة.

(97) ص : 563.

(98) المعجزة المغربية ص : 571.

عين أسردون

هي فخر العيون في بني ملال، يقدرون ماءها بحوالي 2000 لتر في الثانية. وهي أساس الشرب في بني ملال. والفائض لسقي الأراضي المجاورة : أراضي «أولاد اضريض» و «امغيلة» و «أولاد سعيد» و «وأولاد عياد».

فيها شلالان بارتفاع 2,50 متر تقريبا ذات أشجار عالية خضراء جميلة... أرضها حديقة أزهار. تحت الظلال مقاعد ثابتة للجلوس... كانت حديقتها غير واسعة بما فيه الكفاية، قبل بناء المركب الجديد الشيء الذي كان يخلق نوعا من الازدحام أيام فصل الصيف.

أما الاسم فله قصة طريفة جدا... فبحكم موقع بني ملال على سفح الأطلس المتوسط يعتبر موقعها نقطة نهاية للهجة العربية الدارجة، وانطلاقا في مداشر لهجة «الشلحة» شلحة الأطلس المتوسط. والحكاية مفادها أن رجلا كان يغسل الصوف مع امرأته على ضفة نهر وادي العبيد، عندما اكتشفا أن جزءا مُهِمًّا من الصوف قد ضاع منهما... ولم يعيرا الأمر كبير اهتمام بعد البحث عنه وعدم العثور عليه، ظنا منهما أن الوادي قد جرف معه الصوف إلى التيار في الأسفل..

عاد الزوج إلى التفكير في الموضوع ثانية عندما زار قبيلة بني ملال.. عاد وهو مندهش للأخبار المتناقلة في القبيلة وغير مصدق أن صوفا خرج من عين أسردون... وبعد كثير من المحاولات استطاع الاهتداء أخيرا إلى باب المغارة التي يتسرب منها الماء ليسير عبر القنوات داخل الجبل ليخرج عينا في بني ملال هي العين التي تغذي القبيلة بالماء... وبما أن الاكتشاف تم بواسطته وحده فقد عمل فيه بصمت لاعتبارين : الأول خشيته من سخرية أهله بفكرته إن هو أطلعهم عليها.. والثاني رغبته في الانفراد باكتشافه واستغلاله، ومن تم أغلق الجزء الأكبر من المغارة، وترك الجزء اليسير ثم غادر الدشرة في اتجاه القبيلة التي وجدها كالسمك بدون ماء..

فقد قل الماء بصورة فظيعة جدا وبدون سابق إنذار أو أية عوامل مبررة لذلك..

وإذا برجل دقيق الجسم ذي لحية مدببة يرتدي جلبابا و سلهاما غليظين أسودين من شعر الماعز...

يتقدم ليسأل عن كبار شخصيات القبيلة الذين راح يفاوضهم في ماذا يكون جزاؤه إن هو أعاد لهم الماء إلى سابق عهدهم به.

كانوا على استعداد لتقديم أرواحهم فداء للمجموع فهب الجميع لتلبية مطلب هذا الرجل، وياله من مطلب غريب كان ملء «تليس (99) من نقد الحسنية (100) من قيمة الريال وربع الريال والنصف يحمل على ظهر بغل إلى داره، ومن ثم يذهب ويزيل الحواجز ليعود الماء إلى الانسياب عبر قنواته داخل الأطلس لتعود الحياة من جديد للسكان، وحقولهم التي أدركها التلف بسبب الجفاف..

أرسلوا معه بغلا محملا بنقد الحسنية ومن يومها سميت بعين أسردون، ومعنى هذا أن قبيلة بني ملال اشترت العين بكل ما تملك من ثروة، ومعنى أسردون هو «البغل» في لغة «شلحة» الأطلس، ولكن أي بغل هو ؟ !..

عاد الماء إلى الانسياب. بعد ذلك قتل الرجل فذهب وذهب معه سره في معرفة المكان.

هذه هي الحكاية وهي حكاية من المعتقد جدا صحتها، وقد أكدها كثير من الذين عاصروا هذه الأحداث كما أن هناك دليلا ماديا يؤكدها ذلك هو تعكر المياه أيام فصل الشتاء عندما تنزل الأمطار بغزارة فوق الجبال، إذ يتحول بفارق كبير من صفائه الرائع أيام الصيف إلى شيء مصبوغ بالأحمر تستطيع العين المجردة رؤية جزئيات التراب تسبح فيه، مما يؤكد أن ماءها لايأتي من جيب مائي محفوظ في أعماق الأطلس، وإنما يتصل بقناة عبر الأطلس بوادي العبيد الذي تنجرف إليه التربة من ضفتيه والسفوح المجاورة، فيتلون ماؤه بالتراب وبالتالي يندفع منه إلى العين ولابد من الاشارة إلى أنه لا يتعكر الماء طيلة فصل الشتاء، أو كل فصول الشتاء، وإنما لأسبوع أو أقل عندما تصيب إحدى الراعدات الجبال الخلفية لبني ملال بمياهها الغزيرة حتى وإن لم تسقط الأمطار في بني ملال أو على السفوح الغربية للأطلس المتوسط من جهة بني ملال.. ولعمري هذا موضوع طريف جدا للجيولوجيين وغيرهم من ذوي الاختصاص .. وأصحاب روح المغامرة والبحث والتنقيب لأن

---

(99) كيسين متصلين يوضعان فوق البغل كل كيس من جانب.

(100) عملة مولاي الحسن الأول.

العثور على باب هذه القنوات أمر لا يقدر بثمن، إذ يصبح بالامكان الاطمئنان على الكميات المائية المتدفقة دون الشعور بالخوف من انحباسها في يوم من الأيام – لاقدر الله – وهي رمز الحياة والعمران في بني ملال..

كما أنه يمكن الزيادة في مائها لاخصاب الأراضي المجاورة.. والتنفيس عن سد بين الويدان في حالة امتلائه .... ترى أهذا حلم أم هذيان ؟ !... وما أكثر ما حقق الانسان من أحلام !!! ... وأنجز من هذيان !...

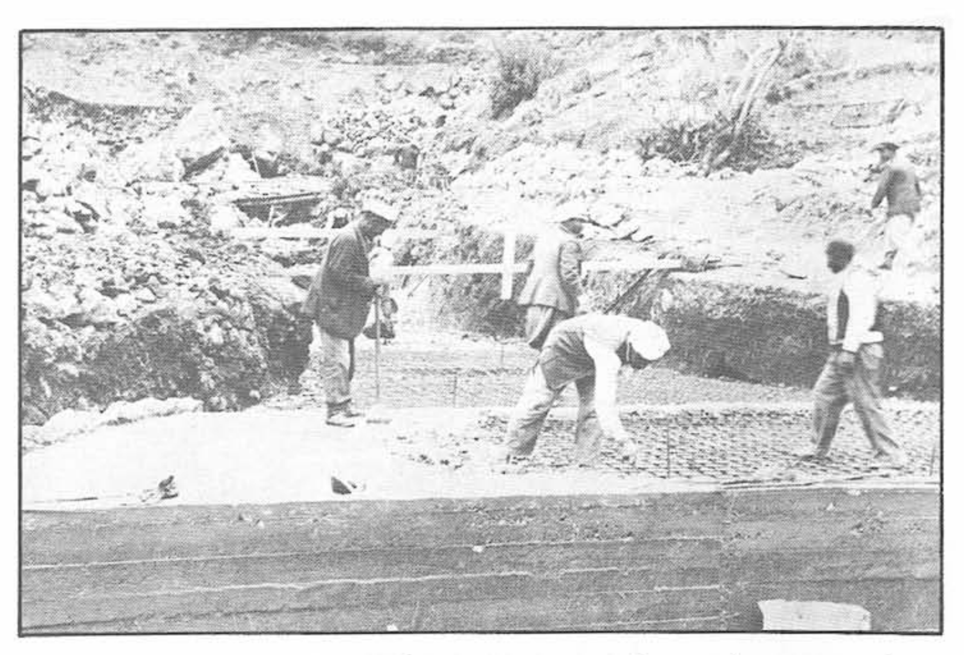
وأشير في الختام، إلى ظاهرة عجيبة، تتعلق بتغيير حرارة ماء عين أسردون. ذلك أن ماءها يكون دافئا إلى حد ما وبصورة غير متوقعة في أيام فصل الشتاء، حتى ليترآى البخار يتصاعد من الماء على امتداد الساقية، خاصة أثناء اشتداد البرد. وبعكس ذلك تشتد برودة الماء في أيام الصيف، وكلما كان الطقس حارا جدا، كلما كان الماء باردا جدا. حتى إنك لا تستطيع ادخال يدك أو رجلك في الماء لمدة أكثر من دقيقة واحدة دون أن تشعر باشتداد البرودة على ديك أو رجلك.

عن والدتي رحمها الله ووالدي سنة 1970.

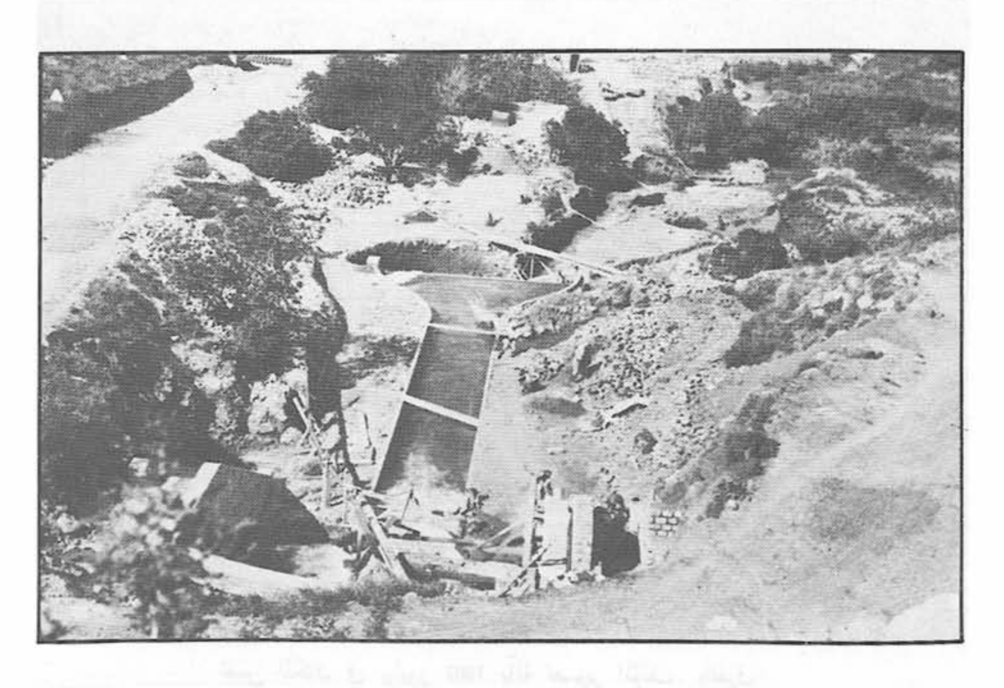
تم إنشاء المركب الجديد ابتداء من سنة 1975.



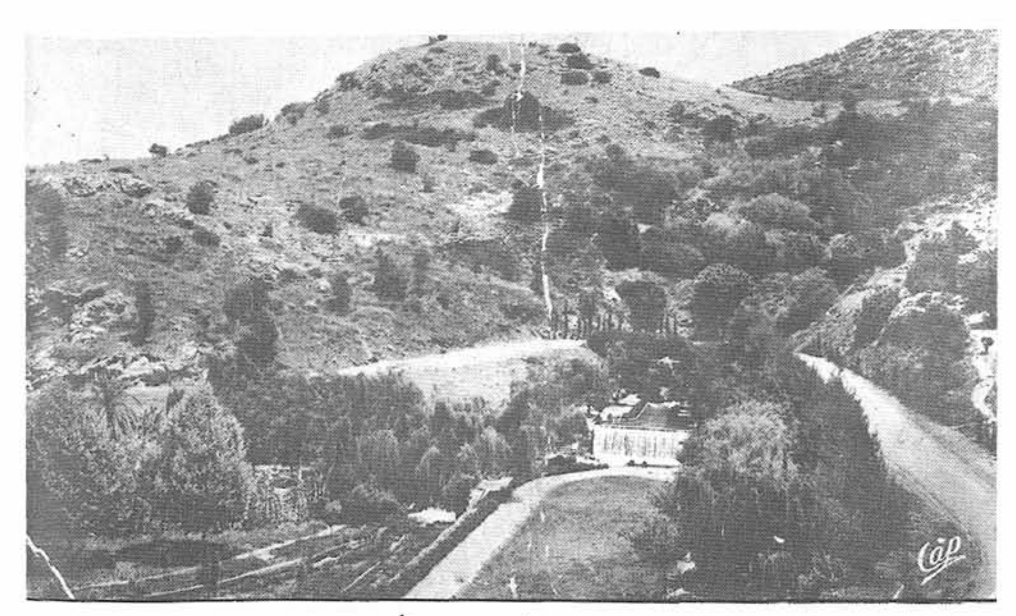
منبع عين أسردون والقناة الرابطة بين المنبع والشلال الأول في فترة حفر القناة



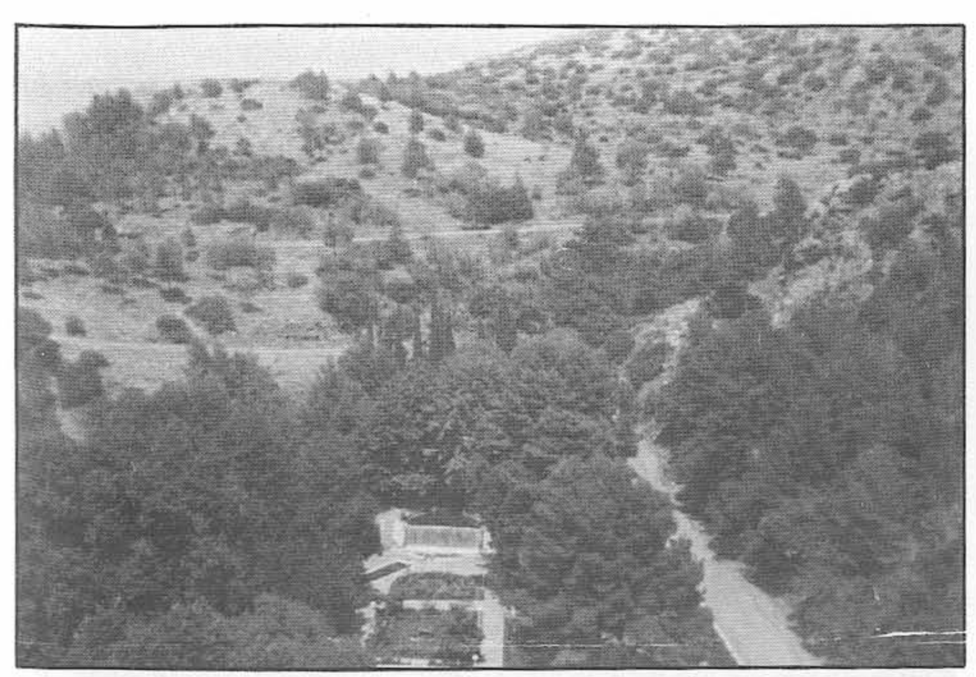
أرضية الشلال الأول لعين أسردون في مرحلة بناء الأرضية والقناة الرابطة بينه وبين المنبع.



منبع عين أسردون في مرحلة بناء الربط بين المنبع والقناة.



منظر عام لعين أسردون في الأربعينيات



نفس المكان في يوليوز 1982 بآلة تصوير المؤلف. والفرق بينهما واضح جدا في نمو الأشجار. وفي شق الطريق الجبلية التي تظهر في الصورة الحديثة. أما الطريق الرابطة بين العين وبني ملال والتي تظهر بوضوح في الصورة القديمة فقد غطتها الأشجار في الصورة الحديثة.

توزيع ماء عين أسردون

ماء عين أسردون لم يكن يستعمل إلا في سقي أراضي بني ملال، والشرب منها لم يكن متيسرا لهم أنذاك إلا في الحقول أثناء سقيها. أما البيوت فكانوا ينقلون لها الماء من عين تامڴنونت على ظهور الحيوانات. إلى ما بعد سنة 1920 حيث أقيمت الحنفيات في بعض أحياء المدينة تستمد ماءها من عين أسردون.

وكان توزيع ماء عين أسردون بين الملاليين على الشكل التالي :

أولاد سعيد : نصف ماء العين في ساقية «الحربولية» و «أم ظهر» لسقي الأراضي الواقعة بين اتجاهي الشمال والغرب أي كل المنطقة الواقعة في الجهة الشمالية الغربية. ويستنفذون بالاضافة إلى ذلك جزءا من عين وَرْبيع.

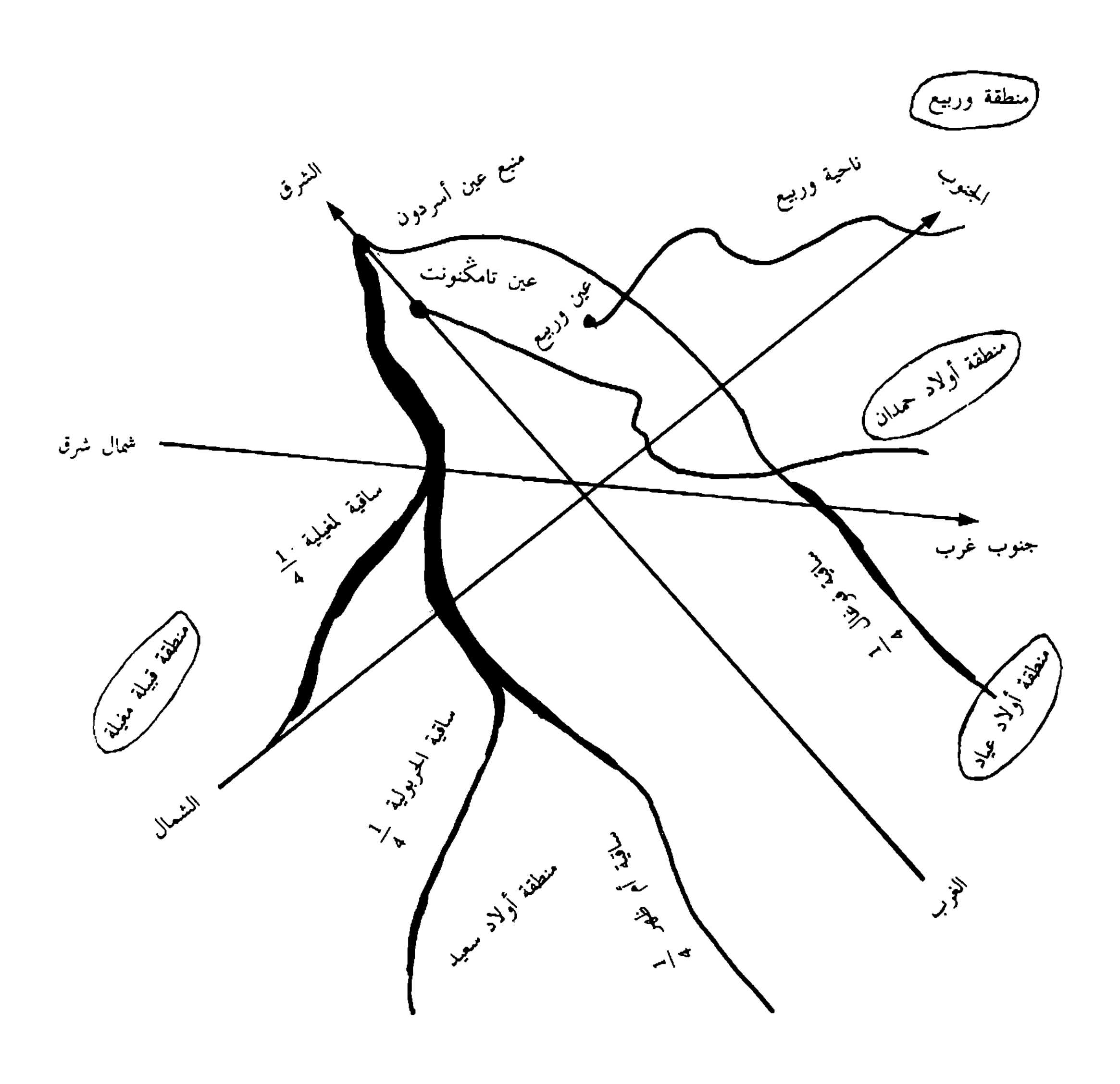
أولاد عياد : يستنفذون الربع منها في ساقية «فوغال» لسقي الأراضي الواقعة في الاتجاهين : الغربي والجنوب الغربي.

أمغيلة : يستنفذون الربع الباقي في ساقية «لمغيلية» لسقي الأراضي الواقعة بين الاتجاهين : الشمالي والشمال الشرقي.

أولاد حمدان :يسقون أراضيهم الواقعة بين الاتجاهين الجنوبي والجنوب الغربي، بماء تامڴنونت. وبذلك لم يكن لهم نصيب في عين أسردون، كما أن أولاد سعيد ومغيلة وأولاد عياد لم يكن لهم نصيب من عين تامڴنونت إلا نصيب الشرب.

عن والدي سنة 1975.

توزيع ماء عين أسردون(*) على أربعة أرباع



(*) عن والدي غفر الله له سنة 1975.

عين الغازي أعلي(*)

عين صغيرة جدا طعم مائها خفيف، وغير كثير البرودة تستغل في الشرب،وسقي بعض الجُنَيْنات المجاورة.

تقع إلى يسار طريق عين أسردون في المكان المسمى «الْكُوشَات» عند قدم جبل الأطلس المتوسط.. وقد سميت باسم «الغازي اعلي» أو الغازي بن اعلي ثم سكن بعده احْسَايَنْ أو نَجْمَة، أصله شكدالي، فدخل على قبيلة آيَتْ سْعِيد أو عْلِي من البربر وهي القبيلة القاطنة عند منبع العين وقد كان احْسَايَنْ أو نَجْمة رجلا تقيا ورعا، وَمُنَجِّمًا، وغنيا جدا يعد من أغنياء القبيلة الكبار كانت نهاية هذا الرجل في حرب بين آيت سْعيد أو عْلِي مِنَ البربر، وآيَتْ صُخْمَان من البربر كذلك. كان سببها نزاعا حول الحدود.

وقد قامتْ حروب أخرى بين قبيلة آيت سعيد أوعلي وبين أهل الصومعة على الحدود أيضا بما فيها ماء المغيلية القادمة من عين أسردون إلى أرض امغيلة... وكان من المساجلات التي وقعت بين القبيلتين مفاوضات بين مبعوث كل من القبيلتين حيث بعثت قبيلة آيت سعيد أوعلي، مندوبها المسمى سعيد أوتعلي، وبعث أهل الصومعة مندوبهم المسمى بوزكري بن الشرقي الذي سأل مندوب قبيلة آيت سعيد عن شروط الصلح والسلام بين القبيلتين فَلَخَّصَهَا قائلا :

1 – أن يزور أفراد قبيلة آيت سعيد أوعلي سوق بني ملال «بَلاَمْزَطَّطْ» وتعني كلمة «لَمْزَطَّطْ» الشخص المحامي أو المدافع، أو الحامي الذي يحمي أبناء قبيلة آيت سعيد أوعلي، أو بعبارة أخرى عندما يرى سكان بني ملال أحد سكان أهل الصومعة يمر مع شلوح آيت سعيد. فإنهم يعتبرونه تحت حمايته فلا يعترضون سبيله ولا يؤذونه.

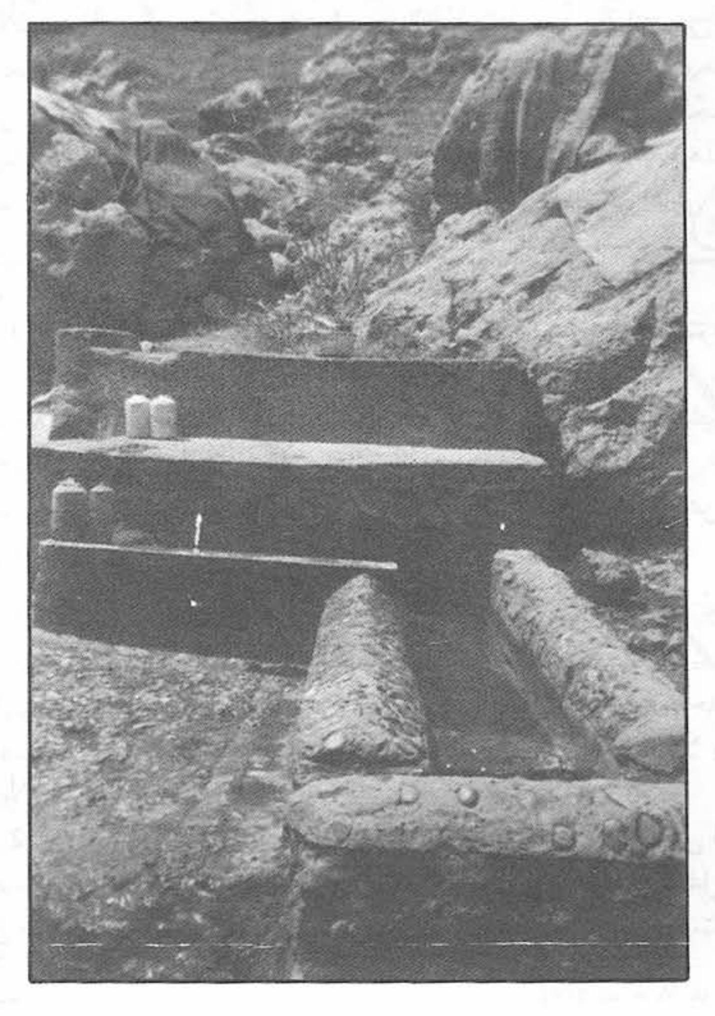
2 – اعتبار ساقية المغيلية حدا فاصلا بين القبيلتين لذلك يجب على الفلاحين من العرب الملاليين وأهل الصومعة الذين يراقبون ماء الساقية أن يمروا أسفل الساقية أي من جهة الضفة الموالية لهم، ولا يتجاوزوها إلى الضفة الموالية لأرض آيت سعيد.

* عن السيد يافي الصومعي رحمه الله سنة 1976

3 – أن يمر هؤلاء العرب بدون سلاح.

4 – اعتبار – منذ الصلح – ما فوق الساقية إلى دوار قبيلة آيت سعيد ملكا لهذه القبيلة.

قال بوزكري بن الشرقي ممثل أهل الصومعة : لا نقبل بهذه الشروط نظرا لكون الشلوح لا يملكون رسوم وعقود البلاد، فأخرج سعيد أوتعلي سلاحه وقال : هذا هو رسمنا وعَقْدنا، فقال بوزكري : تركت لك البلاد. وعاد إلى الصومعة.



منظر عين الغازي الشيخ بجانب الكوشات إلى يسار الذاهب إلى عين أسردون من طريق بُوعشوش.

عين داي

«داي» من العيون القريبة من المدينة وهي عين جف ماء منبعها الأول (الرأس) ... حفروها ثم جفت، وأعادوا الكرة في الحفر ثم جفت نهائيا .. وبلاؤها ربما جاءها من قربها للمدينة إذ بدأ ماؤها يقل كلما زحفت الدور والمساكن نحوها... وما كانت المنازل تجاورها حتى كانت قد اتخذت قرارها النهائي في الجفاف... البسطاء قالوا إنها لاترضى بمجاورة الناس .. وقالوا تريد ستارا من العزلة. وهي أقوال صادقة إلى حد ما.. ولكن بشكل آخر، إذ قد يكون الجيب المائي قريبا من السطح في المنطقة التي غطتها المباني فَمُنِعَ الماءُ من التسرب إلى باطن الأرض، وبذلك لم يعد الجيب يمتلىء بالماء.. وإذا كف قلبها عن النبض وتحولت في صمتها وركودها إلى ما يشبه سكون الأموات... فإن ذكراها، وماءها ما برح مخيلة الناس.. لقد كان لها طعم خاصّ....

اسمها جاء من الاسم القديم لمدينة «داي» بني ملال حاليا.

كانت محاطة بالبساتين من كل جانب.. تنتشر الآبار على جانبيها مليئة بالمياه.. مليئة بالأسماك.. يسمع المار بجانب الساقية المنسابة نقيق الضفادع يتردد بين جَنَبَاتها، مختلطا بشذو العصافير وتغريدها .. بين أشجار الصفصاف المخضرة الطويلة الممتدة على جوانبها.. وبعد كل بضع خطوات توجد بئر مليئة تدفع الماء فوق السطح ترتمي إليها السلاحف الصغيرة والضفادع.. أو عين صغيرة باردة حلوة تنبع في سكينة، وتنساب في هدوء لتلتحق بالعين الرئيسة. وكثيرا ما كانت العيون تنبع وسط البساتين لتتخذ مجراها إلى المجرى الكبير.

على سطح بعض القناطر الصغيرة، كُنْتَ ترى الناس يصبنون ملابسهم جلهم من الرجال والشبان.. يرفسون الثياب بأقدامهم خاصة الجلابيب والسلاهم الصوفية. وأشهر قنطرة كانت تصلح لذلك، ويقصدها كثير من الناس، هي قنطرة تقع تماما عند نقطة تقاطع مجرى العين «بطريق الخمسين» حيث ينشرون الملابس فوق العشب الأخضر وفوق «السّمَار» وكذا على «الشَّدِّير».. عند الظهيرة يستكينون إلى ظل الصفصاف لتناول غداء زهيد من خبز وشاي بعد أن يكونوا قد انهوا التصبين والاستحمام تحت أشعة الشمس.

كما كانت هناك قنطرة أخرى تليها في الأهمية توجد بجانب «لوليجة» وهي المكان المنخفض إلى جنوبي شرقي حي الانعاش الوطني.

أما الجهة الجنوبية الغربية من هذا الحي فكانت هناك ساحة معشوشبة (ݣازون) تستغل كملعب لكرة القدم خاص لأبناء حي خريبكة وتحت السوق... كما كان يشارك فيها أبناء الدشيرة والقصبة الكبيرة وزنقة الباشا في بعض الأحيان، لكونهم كانوا يستغلون ملعب «التِّينِيسْ» وهو المكان الذي يُصْنَع فيه القرمود حاليا بجانب تامݣونت...

هذه هي عين «داي» التي لم يبق منها اليوم سوى اسمها ومجراها الذي يحمل مياه الوادي الحار ومياه بعض العيون الأخرى ليسير مخترقا قرية «داي» ويصب في نهر أم رْبيع.

عن مشاهداتي الشخصية.

حرر سنة 1969.

اعوينة سيدي العربي

هي عين صغيرة من روافد عين داي، تنبع من شمال حي الانعاش، وبالضبط بجانب المدرسة الابتدائية الموجودة حاليا بالحي وتتميز العوينة بخفة مائها وصفائه، كما أن لها تربة خاصة ضاربة إلى الحمرة. مكانها وموقعها جميل جدا، شاعري تحيط بها الأشجار وأشجار الصفصاف العالية من كل جانب، يمتد بينها المجرى مرصفا بالحجارة والاسمنت ... ولما كان الماء غير مسرع في مجراه فقد نمت الطحالب في عدة أماكن، وغطت الماء حيث أصبح أكثر سحرا وغموضا خصوصا عندما يتلاعب به الماء فيميله مع المجرى بهدوء.. فيبعث منظرها الأنس في النفس ويطير بها في أجواء رحيبة من الجمال الشاعري... يمر الفلاح الساذج بجانبها راكبا بغله تلاطفه برودتها، تتمايل الطحالب الخضراء الجميلة، وفوقها ترقص الضفادع بقفزاتها.. تغني بنقيقها فتعزف مع الطيور فوق أعالي الصفصاف، وبين أغصان أشجار البساتين المجاورة مقطوعة الجمال الخالد ... فيختال البغل في مشيته فوق العشب الأخضر فلا يشعر الفلاح الغليظ الطبع إلا وقد لانت صلابته، ورقت مشاعره، ورفهت شظافة عيشه، فإذا به يشارك الطبيعة غناءها، وعزفها الرقيق.

كانت إلى جانبها ساحة معشوشبة تستغل في نشر الغسيل كما كان جزء منها يخصص لبعض عمل السِّلَلِ القصبية.

الواقع أن لجو «اعوينة سيد العربي» جوا ساحرا خاصا ... ولكن ما كل جمال فريد يكتب له الدوام.. فالماء قلَّ، والسكون تمزق والعصافير لم تعد آمنة ... ذلك ما يفعله الزحف البشري.

وأظن أن سيدي العربي المنسوبة إليه، هو سيدي محمد العربي الشرقاوي شيخ زاوية بجعد الذي عاصر السلطان مولاي سليمان العلوي.

عن مشاهداتي في صباي.

حرر سنة 1969.

عين سيدي بويعقوب

يزعمون أنها تنبع من لحية الولي المسمى «سيدي بويعقوب» المدفون بالمقبرة المجاورة..

مكانها في جانب الطريق المؤدية إلى عين أسردون، وبالضبط إلى الشمال الشرقي مع ميل قليل جهة الشرق من حي بوعشوش.

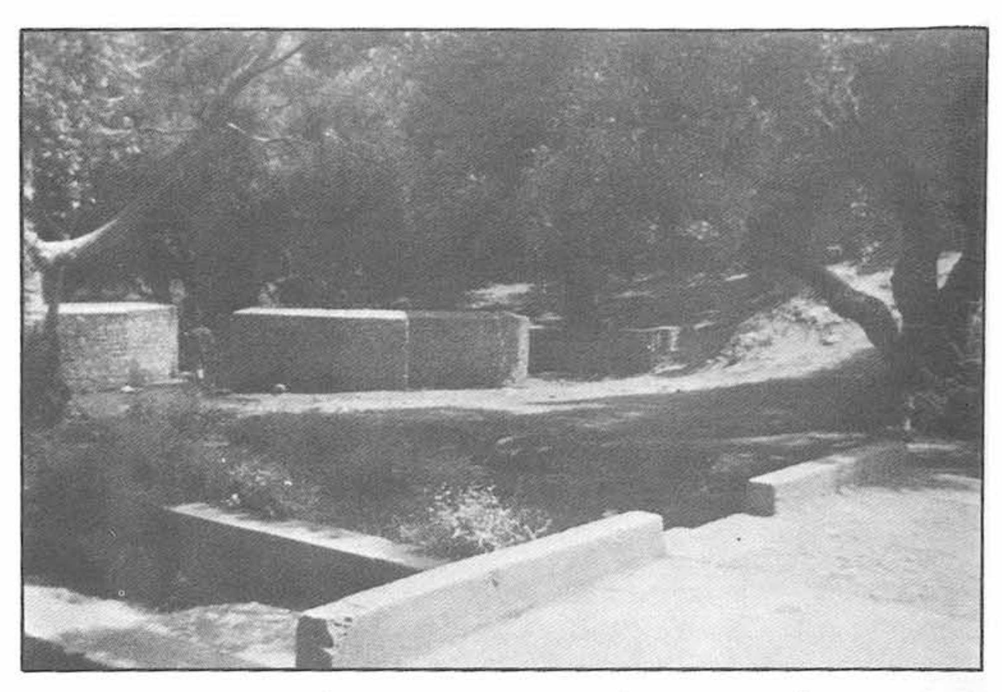
هي عين صغيرة جدا، أقيم عليها حمامان عبارة عن حائط دائري – في كل منهما – بدون سقف يعتبران كمسبحين قليلي العمق جدا وهي عين يصدق عليها «صفاء البلور».

حُدِّد منبعها بحائط مستطيل عمقه حوالي المتر تجمعت في داخله قواقع حلزونية سوداء صغيرة جدا زادت منظره جمالا.. وقد بدأت أهميتها في الآونة الأخيرة أيام فصل الشتاء عندما يتعكر ماء عين أسردون.

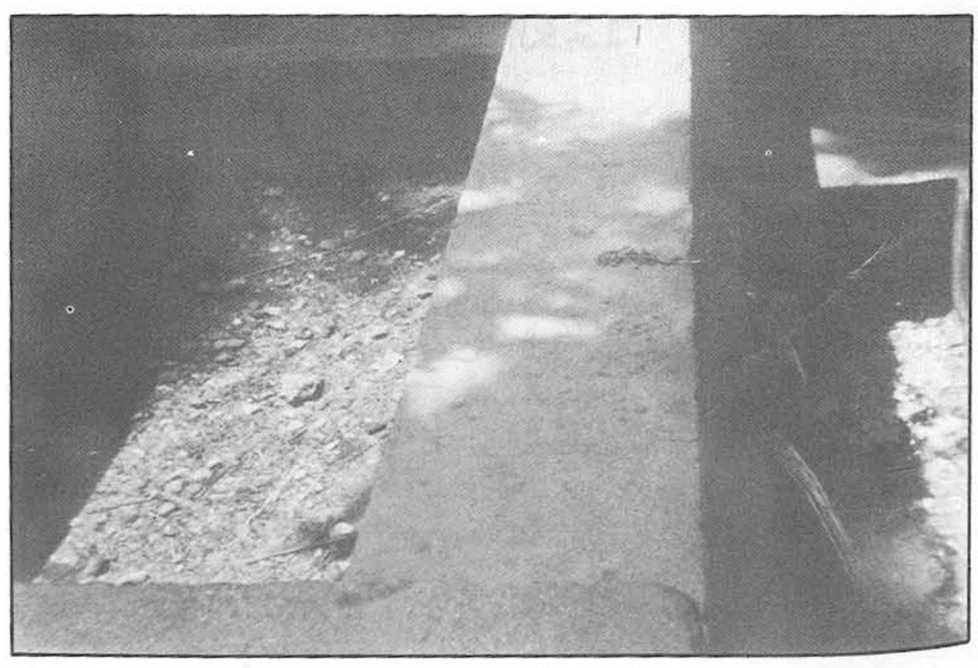
أجريت عليها مؤخرا دراسات أثبتت أن بمقدورها أن تضاعف من كمية تدفق مائها.

عن مشاهدتي الشخصية.

حرر سنة 1969.



اَلْمَسْبَحَان الدائريان اللّذان بجانب عين سيدي بويعقوب أحدهما للرجال،
والآخر للنساء غير أنّهما معطلين الآن، لا يعملان.



منظر عين سيدي بويعقوب وفيها يظهر صفاء الماء المتجمع داخل الحوض إلى اليمين.

عين وربيع

وفرة مائها تجعلها الثانية بعد عين أسردون، وتبعد عنها بحوالي خمسة كيلمترات.

تنبع عين وربيع من سفح الأطلس المتوسط، وتمر مخترقة قبيلة وَرْبيع كي تستغل في سقي منطقة الدير المحادية للجبال الأطلسية، وأراضي أولاد حمدان.

عن مشاهداتي الشخصية.

حرر سنة 1969

اعوينت الكُحْبة

هذه اعوينة صغيرة تقع في حي أُورَيِّر، وقد جاء اسمها من اعتقاد كان سائدا بأن ماءها يصلح لشفاء الأطفال من (الكحبة) أو ما يسميه الناس «بالعواية» وهي داء يصيب الصغار في شكل سعيل مستمر مثل سعال الكلب يكاد يخنق صاحبه، أو يكاد يُخْرج الدمَ من عينيه أما الآن فقد غطيت هذه العين وحُمِل ماؤها إلى حي أورير، كوسيلة للشرب، وبذلك اختفت معالمها كعين جارية....

عن والدتي رحمها الله ومشاهداتي الشخصية.

حرر سنة 1969.

عين تامڭنونت

سميت بهذا الاسم لاشتهارها بأنها مأوى للجن، وقد شاعت أيامها كثير من حكايات هذا القبيل، منها أنهم كانوا يرون بعض الجن يرفسون الاحجار على شكل من يصبن واقفا بقدميه، تتطاير من بينهما شرارة النار... فسموها «بتامجنونت». وأرى أن التَّائَيْن الملحقتين باسم «مجنون» لهما دلالة خاصة، فالتاء الأولى في أوله «تامجنونت» لها علاقة ما بالأسماء الأخرى الموجودة في إقليم مراكش مثلا : تاملالت، تاكركوست، تاحناوت إلخ..

والتاء الثانية في آخره «مجنونت» ربما تكون لها دلالة الاضافة في اللغة البربرية. وإذا صح ذلك فإن الاسم سيكون عريقا في القدم وأنه اسم أطلق عَلَى العين من طرف البربر الأوائل في المنطقة.

وواضح أن الڭاف في أصله جيم، لكنهم قلبوا الجيم «ڭافا» رفقا بالصبية الصغار، ومن يخاف الجن ولعل هذا حدث بعد دخول العرب إلى المنطقة. وقد زاد العين رهبة وجود المنبع ومعظم المجرى في الملكيات الخاصة داخل الجنينات... ووجود الحيات والثعابين، حيث كانوا يتصورونها «جِنًّا» في شكل ثعابين وحيات، حتى وصل الأمر درجة كبيرة من الرعب حتى في مجرد فكرة الذهاب إلى مجاهلها.

ولعل أرباب البساتين كانوا يشجعون على ذلك حتى يأمنوا زيارات اللصوص في النهار.. أما الليل فقد كان شيئا مرعبا الذهاب إلى مجاهلها، بل كان شيئا شبه فوق طاقة الناس أما الثعابين والحيات فإن شكلها هو الآخر كان يبعث على الرعب فقد شاهد أبي — وكنت معه طفلا — نوعا أُسْوَدَ ذا عرف من الشعر، شبيها بعرف الحصان، وهو شيء تأكد في غير ما مرة.

كان أهم شيء يستهوي شباب المدينة لزيارة العين في الخمسينات غموضها وسحرها.. والهدوء الكثيف.. وكونها مسبحا مهما يلبي رغباتهم أثناء حر النهار في الصيف.. وبذلك كانت تامڭنونت هي المسبح المحبب إلى النفوس على طولها، حيث كانت تتوفر على عدة أمكنة للسباحة، أولها «لولِيجَة» قليلة العمق، أعمق مكان فيها كان يصل إلى المتر والنصف أو أكثر قليلا، وتعتبر مكانا لسباحة الصغار وبعيدا منها بحوالي أربعين أو خمسين مترا في اتجاه نزول الماء توجد «اَلْوَلْجَة» وهي عميقة جدا

أكثر من أربعة أمتار. وهي مكان لسباحة الكبار، مليئة بدجاج الماء.. كانت فيها بقعة صعبة ويعتبرها الشبان خطيرة جدا تسمى «الشّدِّيرة» فمن كان يصل إليها فقد حَازَ احترام الجميع.

«الولجة والوليجة» هما عبارة عن سد صغير، أقيم على عين تامكونت لجمع الماء، وحمله بواسطة قناة مفتوحة مبنية بالحجارة والاسمنت، لتقطع حوالي ألف متر، أو أكثر قليلا، حيث توجد رحى الماء لطحن الحبوب.. وإلى جانب هذه الرحى، كان هناك مسبح صغير، عمقه متر ونصف، كان يستغله الأطفال خصوصا تلاميذ المدرسة المحمدية الحرة الابتدائية، الموجودة قرب سيدي عبد الحليم، حيث كانوا يملأون الدنيا ضجيجا أيام الحرارة، ابتداء من أواخر أبريل من كل عام. أما أشجارها فقد كانت من نوع «الْهَبِيل» المتدلي بأغصانه الرقيقة التي يقطعها التلاميذ والشبان ليصنعوا منها عمائم وأحزمة. ومن طرائف عين «تامگنونت» أن صادف رمضان وقتا من أوقات الصيف الحارة، فكان الناس يملأون مجراها بالحجارة ويضعون فوق الحجارة «التسريح» ليقضوا النهار في لعب الورق تحت الظل الظليل والماء ينساب تحتهم مباشرة من بين الأحجار، غير أن مجراها كان واسعا أكثر من مترين بارتفاع حوالي ثلاثين سنتمتر.

كانت محاطة بالبساتين، بساتين الرمان والزيتون من الجانبين وإذا تتبعناها إلى أن تقطع الطريق المؤدية إلى دار الشباب حيث تصبح قريبة من ملعب كرة القدم فإننا سنجد مكانا آخر مليئا بالسابحين الذين يسبحون في مياهها المتدفقة مع الماء إلى أن يرمي بهم الشلال إلى الأسفل فيعودون لنفس العمل فتعرف أن تلك هي «البورية» التي تمتد إلى ما وراء مركز البريد.

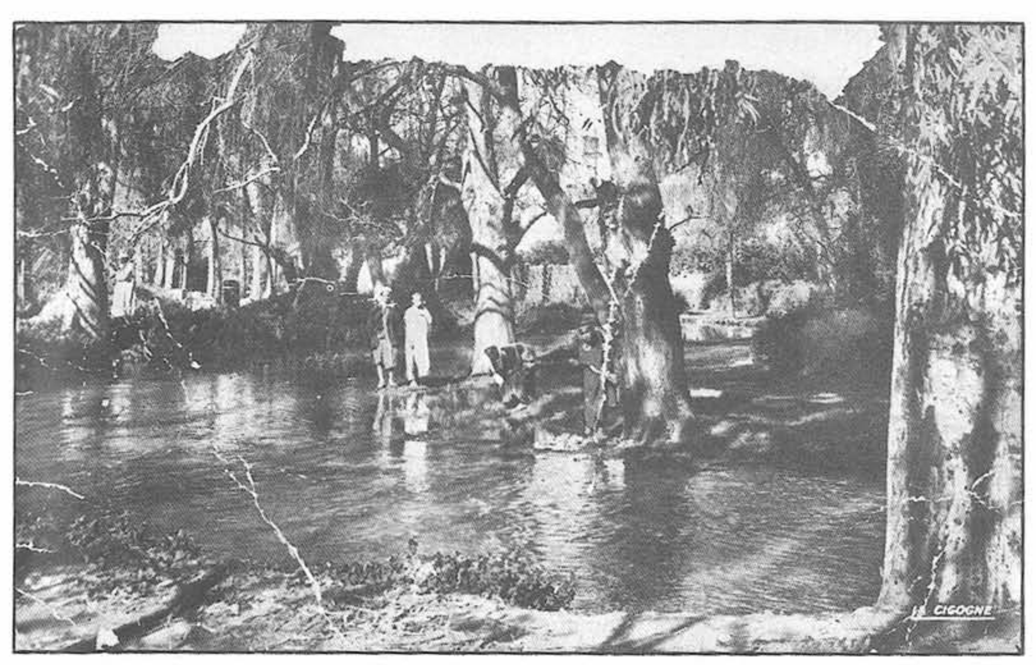
تعتبر «تامگنونت» العين الثالثة في بني ملال من حيث وفرة المياه.. وتنبع من السفح الأسفل للأطلس المتوسط، في خط مستقيم – تقريبا– مع منبع عين أسردون وهي توجد في مكان منخفض جدا حتى لتخال نفسك بين جبلين .. أما إذا صعدت للجبل فوق منبع عين أسردون، ومددت البصر إلى عين تامكنونت وتتبعت مجراها فإنك ستخال نبعيهما كانا منبعا واحدا لنهر عظيم يسير بين دفتيه العملاقتين ليصب في البحر الواسع والذي هو الآن عبارة عن سهول بني ملال الواسعة الممتدة الأطراف أما المنطقة التي توجد فيها «تامكنونت» فتسمى «الحفرة» نظرا لعمقها وشكلها الذي يشبه شقا عميقا في أرض مستوية.. ورغم ما يوحي به موقعها من أنها عبارة عن امتداد لعين أسردون فإن ماءها يختلف تماما عن ماء الأخيرة إذ يعتبر ماء

«تامڭنونت» أقل صفاوة من ماء «سيدي بويعقوب» وأقل تربة من ماء عين أسردون وفي نفس الوقت أقل لذاذة منه....

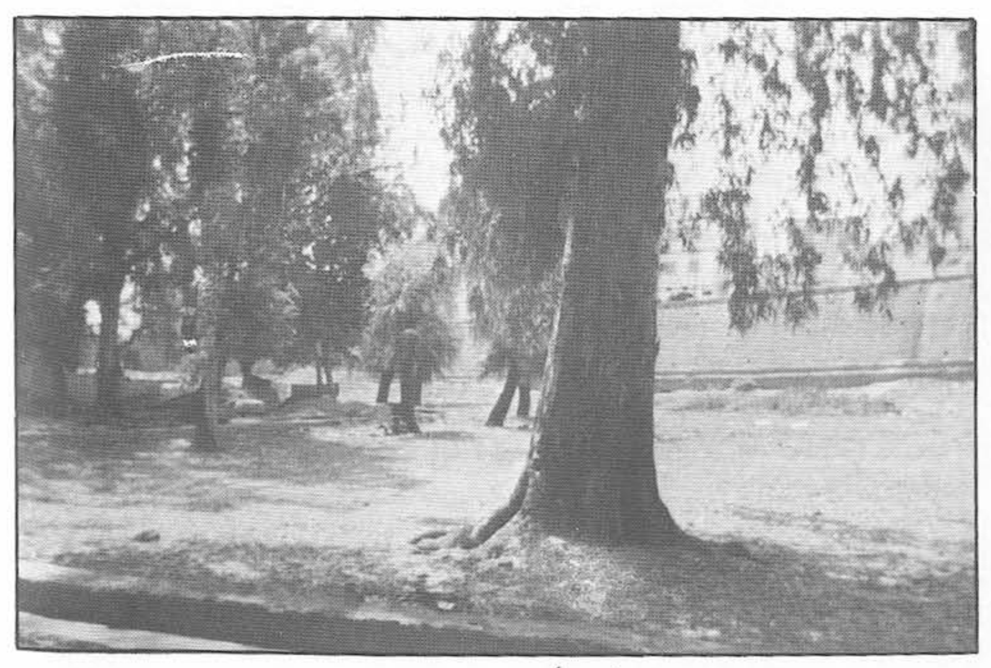
منبع تامڭنونت عبارة عن كهف – إلى حد ما – يمتد داخل السفح.. وهو كهف كثيرا ما كان يستهوي الشبان ويستوقفهم متحديا بأسراره وكثيرا ماراودت المغامرة أرواح الشبان من أجل قبول التحدي واكتشاف أسراره.. ولكن الرغبة ماكانت لتتعدى ذلك فقد كان انعدام الامكانيات المادية والمعنوية المشجعة يقف حائلا دون تحقيق هذه الرغبة.

تلك تامڭنونت في الأمس... أما اليوم فقد تعرت وأصبح بإمكان كل شخص أن يزورها. ولكن بعد أن زال عنها سحرها الجميل... وقل ماؤها الغزير....

حرر ببني ملال سنة 1969.



صورة فريدة لعين تامڭنونت تعكس الجمال الطبيعي الساحر الذي كانت تتمتع به العين على امتدادها، والموقع الذي تعكسه هو المعروف بالتنس.



صورة لنفس المكان أعلاه في يوليوز 1982 من تصوير المؤلف.

المعالم الحضرية بالمنطقة

* مدينة داي
* بني ملال الاسم والاحتمالات الممكنة
* الاسم بين داي وبني ملال
* أهم العائلات بالمدينة في القرن 19 الميلادي.
* أحياء وأزقة بني ملال مع بداية القرن العشرين.
* أبواب المدينة عند بداية القرن العشرين.
* قلعة عين أسردون.
* مدينة قصبة تادلة.
* تفزة حاضرة تادلا.
* أفزا (تاݣزيرت)
* تاݣرارت.

مدينة داي

تعريف المدينة :أفتتح هذا التعريف، بالتعريف الذي أورده محمد عبد المنعم الحميري في الروض المعطار (1) قال : «داي بأرض المغرب، بينها وبين أغمات أربعة أيام وبين داي وتادلى مرحلة، وداي في أسفل جبل خارج من جبل درن، وبها معدن النحاس الخالص الذي لايَعْدِلُهُ غَيْرُهُ من النحاس في أقطار الارض ولونه إلى البياض، ويدخل في لحام الفضة، وينسب الناس هذا المعدن إلى السوس، وليست داي من بلاد السوس بل بينهما أيام، وهي مدينة صغيرة لكنها كثيرة العامر، والقوافل عليها واردة وصادرة، ويزرع فيها القطن الكثير، ويسافر به إلى كل الجهات، ولا يحتاجون مع قطنها إلى غيره من القطن المجلوب، وبها أرزاق ومعايش وخصب ونعم شتى، وأهلها أخلاط من البربر».

ومن هذا التعريف يمكن استقراء مايلي :

1) وجود داي ككيان مستقل عن مدينة أخرى قريبة منها هي مدينة تادلة، أي المدينة المنسوبة لسهل تادلة، وليست هي المدينة الحالية المعروفة اليوم بقصبة تادلة، وذلك نظرا لانشاء هذه الاخيرة في عهد متأخر عن هذا بكثير.

2) الجبل الخارج من جبل درن، هو الذي سماه محمد عبد المنعم الحميري بجبل سكّيم. وتوجد به قمة تاسَمِّيط.

3) مدينة صغيرة لكنها كثيرة العامر، ينطبق هذا الوصف على حجم المدينة الموجود تصميمها ضمن هذا الكتاب باسم بني ملال.

4) القوافل عليها واردة وصادرة، لموقعها الوسط بين مراكش وفاس.

5) يزرع فيها القطن الكثير، ويسافر به إلى كل الجهات، هذه الصفة الفلاحية ما تزال تتمتع بها داي/بني ملال إلى اليوم، وما يزال يعتبر انتاجها من القطن انتاجا جيدا.

6) «وبها أرزاق ومعايش وخصب ونعم شتى» هذه العبارة تعني الحرف

(1) ص : 231.

التي كانت منتشرة بالمدينة، كالحدادة، والخرازة، والنجارة، وغيرها، كما تشير إلى خصوبة الارض ووفرة المياه المتمثلة في عيون «أسردون، وداي، وتامكنونت، وسيدي بويعقوب، وغيرها من العيون المحيطة بداي».

7) «أهلها أخلاط من البربر» لعله يشير إلى السكان الاصليين للمنطقة قبل وفودِ القبائل العربية واستيطانهم لها.

الاسم والسكان : يقع مكان مدينة داي في نفس مكان بني ملال الحالية، أما السكان فقد سبقت الاشارة إلى أنهم كانوا أخلاطا من البربر، بالاضافة إلى ما تشير إليه بعض المصادر من وجود عنصر اليهود ضمن مجموعة السكان. منها دائرة المعارف الاسلامية التي تقول : «ولا يزال عدد كبير من اليهود يعيش إلى الآن في بُجَّدْ* وفي قصبة بني ملال، وكانت مدينة أَدَائْي القديمة تقوم في مكان هذه القصبة» (2).

ويظهر أن مجموعات عربية قد وردت إلى المدينة سواء أثناء الفتوحات الاولى، أو مع أفواج العرب القادمة بعد ذلك بكثير، وإلى جانب عنصر الأمازيغ، والعرب واليهود كانت طائفات من معتنقي النصرانية.

أما الاسم فتفسره رواية شفوية مفادها أن أصل الاسم هو : هُودَائْي الاسم ليهودي كان يعيش بها. وقريب من هذا التفسير ما أشارت إليه دائرة المعارف الاسلامية بأن «الاسم : مدينة أَدَائْي عربي بربري معناه فيما يظهر مدينة اليهود» (3).

ولكنني أحس بأن في هذا التفسير تحاملا على سكان المدينة الاصليين وطعنًا في عقيدتهم خاصة بأن من داي تخرج العديد من العلماء والصلحاء والاولياء، سنذكرهم في مكان آخر من هذا البحث، والذي أميل إليه، واعتقد أنه الصواب هو أن الاسم جاء من اسم بَطْنٍ من قبائل عرب الخزرج، وهم أيضا من قبائل جشم، وَجَدْتُ في معجم قبائل العرب (4) «أُدَيْ : بطن من الخزرج، من

---

* هي مدينة أبي الجعد الحالية.

(2) ص : 458 مادة : تادلا.

(3) نفس المصدر السابق ص : 458.

(4) لصاحبه عمر رضا كحالة.

القحطانية، وهم بنوأُدَيْ بن سعد بن علي بن أسد بن سارة بن يزيد بن جشم من الخزرج» (5).

وأعتقد أن قدومهم كان مبكرا مع الفتوحات الاولى للاسلام بالمنطقة، وليس مع الوفودِ التي أدخلها الموحدون للمغرب. كما اعتقد أنهم هم الذين قاموا باستدعاء قبائل جشم ومنهم بني جابر إلى الاقليم عند دخولهم إلى المغرب.

ذكر داي : ارتبطت مدينة داي عند الشيخ العلامة الحسن اليوسي بذكرى الحمى، فقد أصابته الحمى عندما كان قادما من شمال البلاد إما من الزاوية الدلائية أو مكناس أو من فزاز – فكلها مراكز كانت له بها علاقة – متوجها إلى مراكش، ثم أصيب بها بالحمى مرة أخرى عندما كان عائدًا من مراكش، وفي ذلك يقول : «وجرى يوم ذِكْرُ البيتين الذين أنشأهما سيدنا بلال رضي الله عنه، وهما قوله :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي أذخر وجليل
وهل أردن يومًا مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

فهاج لي إلى الاوطان اشتياق، فقلت على نحو هذا السياق.

ألاليت شعري هل أبيتن ليلة ... بسهب الشنين أو بسهب بني ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبي ... وهل تتركن دايا وأدواءها وراء

ونهر العبيد هو وادى العبيد المعروف، ومدينة داي هي المعروفة اليوم بالصومعة في تادلا، وإنما قال أدواؤها أي أمراضها لانها كثيرة الأمراض والوخم.

ومن غريب ما اتفق لي في هذا البلد أني مررت به حين سافرت إلى ناحية مراكش في طلب العلم، فأصابتني الحمى منه وذلك أول حمى أصابتني في عمري، ثم بقيت في تلك النواحي عدة سنين، فلما رجعت ومررت به أصابتني أيضا وكأنها كانت تنتظرني، ولذا كان من جملة التمني أن أترك هذه البلدة وأمراضها ورائي بالمجاوزة إلى وطني» (6).

واضح من النص أن الحسن اليوسي يدعو مدينة داي بالصومعة وقد كانت الصومعة آنذاك معروفة ومزدهرة، بينما خبا اسم داي.

وقد أورد العباس بن ابراهيم نفس الابيات بنفس الحكاية وأرخ لها بما بعد

(5) ج : 1. ص 12. اعتمد في ذلك على ابن دريد في الاشتقاق ص : 275، وعلى القلقشندي في نهاية الارب مخطوط ق 16-1.

(6) المحاضرات ص 142.

1090 هـ قال : «ورأيت في ديوان علامة الاعصار والامصار أبي علي الحسين بن مسعود.. بجمع ولده العالم المشارك أبي عبد الله محمد مانصه : وقال أيضا وقد جرى يوم ذكر البيتين.. الخ» إلى أن قال «وهو إذاك بمراكش أعوام التسعين والالف» (7).

ثم علق على الابيات بقوله :

«نهر العبيد هو واد العبيد، وداي هي معروفة قرب الصومعة بتادلة، وكلتاهما قرب قصبة بني ملال، وهي كثيرة الامراض والوخم» (8).

والعباس بن ابراهيم كما هو واضح يجعل داي مدينة ثالثة لبني ملال والصومعة.

ما يحكى عن تدمير داي، وجلاء أهلها عنها :

أشارت دائرة المعارف الاسلامية، مستندة إلى قِصَّة – قالت – بأن الاهالي يزعمون بأن داي دمرها السلطان يوسف بن تاشفين وذلك في النص الآتي : «وهناك قصة يرويها أهل هذه البلاد تزعم أن مدينة داي دمرها السلطان يوسف بن تاشفين المرابطي وابتنى عوضا عنها مدينة تاكرارت، ولا تزال أطلالها باقية في جوار هذا المكان. ويمكننا أن نرد هذه الحادثة التي لم يدونها التاريخ إلى الوقت الذي كان يغير فيه يوسف بن تاشفين على حصون فزاز (9)، وهو اقليم مجاور لتادلا من ناحية الشمال» (10).

ونظرا لكون مدينة داي استمر ذكرها كما استمر تفاعل مجتمعها حتى إلى ما بعد وفاة يوسف بن تاشفين بكثير، فإنني أشك في صحة تدمير مدينة داي من طرف يوسف بن تاشفين.

غير أن مصادر أخرى أوردت حكاية تفيد أن أهل داي قد غادروها وتفرقوا في البلاد دون ذكر الاسباب الداعية إلى ذلك اللهم إلا ما كان من ذكر الوقعة مقرونة بجلاء أهل داي عنها.

ومن المصادر التي أشارت إلى هذا الجلاء على إثر الوقعة كتاب التشوف

---

(7) الاعلام بمن حل مراكش ج : 1. ص : 9.
(8) الاعلام بمن حل مراكش ج : 1. ص : 9.
(9) اقليم خنيفرة.
(10) دائرة المعارف ص : 458. مادة : تادلا.

لابن الزيات ذكرها على لسان عَلِي بن زكرياء بن عبد الله من أهل داي أثناء الحديث عن أخبار أبي العباس السبتي. ولكي يُكون القارىء صورة واضحة أورد النص كاملا كما هو : «حدثني علي بن زكرياء بن عبد النه قال : جلست يوما مع أبي وكان معنا أبو العباس السبتي، فجاء إلى أبي يتيم فسأل منه شيئا فأعطاه أبي نصف درهم، فقال أبو العباس : اعطه درهما كاملا، فأخذ منه أبي نصف الدرهم ودفع له درهما كاملا، فقال له أبو العباس رد إليه نصف الدرهم يفتح الله عليك في أربعة دراهم ونصف، فما برحنا من مكاننا حتى وقفت على أبي امرأة من الخدماء، فقالت له أتعرفني ؟ فقال لها : لا أعرفك، فمن أنت ؟ فقالت له : كنت قد اشتريت منك نطعا ببلد داي بأربعة دراهم ونصف درهم، ثم طرأ على أهل داي ما طرأ من الجلاء عن بلدهم وافتراقهم في البلاد عام تسعة وخمسين وخمسمائة فافترقنا وبقي للك عندي ثمن النطع إلى الآن، فأخذ منها تلك الدراهم» (11).

وقد أورد العباس بن ابراهيم نفس الحكاية اثناء الحديث عن كرامات أبي العباس السبتي (12) كما تناول الاستاذ أحمد التوفيق نفس الحكاية وحاول عرضها على الوقائع التاريخية ليجد سببا يفسر به امكانية حدوث واقعة داي عام 559 هـ فقال : «وخبر واقعة داي هذه واردة في الترجمة التي أفردها التادلي لابي العباس السبتي، وإن كنا لانعرف أسباب تلك الواقعة ولا تفاصيلها، ويجوز لنا أن نقيم علاقة افتراضية بين جلاء الناس عن داي، وبين ثورة وردت الاشارة إليها في كتاب التشوف، ولا نجد لها ذكرا في كتاب آخر وهي ثورة عَتَّاب الذي اتهم بطلب الملك فقوبلت أطماعه بالقمع والمطاردة الشديدة لشيوخ التصوف في مناطق واسعة، إما لكونه شيخا منهم أو لتواطؤما معه، ولابد أن يكون لتلك الاطماع ولذلك التواطؤ سند من العصبية... ولانعرف عن هذا الشخص الثائر شيئا إلا أن اسم القبيل الكبير المجاور إلى الآن لمنطقة داي يسمى آيت عتاب أي أهل عتاب... ثم إن واقعة داي كانت في السنة الموالية لوفاة الخليفة عبد المومن الموحدي، ومن المعلوم أن هذه الفترات كانت تنتهز فيها الفرصة من طرف مدبري الثورات» (13).

---

(11) كتاب التشوف ص : 465.
(12) الاعلام بمن حل مراكش ج : 1. ص : 246.
(13) مقدمة المحقق لكتاب التشوف ص : 20.

وإذا كان رأي الاستاذ أحمد التوفيق في جلاء أهل داي عنها سنة 559 هـ يفسر الجلاء بما ذكره من قيام ثورة عتاب ضد النفوذ الموحدي بالمنطقة، فإننا نحاول من جهتنا إثارة جوانب هذا الموضوع ليقل غموضه على الاقل لباحثين آخرين من أجل الكشف عن هذه الواقعة والاسباب التي دعت الدايِّين إلى الجلاء عن داي.

وسأنهج في ذلك نهج محاصرة الاحداث الواقعة قبل سنة 559 هـ أو ما بعدها من الاحداث المشابهة أو التي يمكن أن تشير للموضوع بإشارة ما.

1) سنة 558 هـ. في هذه السنة تهيأ عبد المومن بن علي الموحدي لغزو الاندلس فكتب لجميع أنحاء المغرب من أجل التعبئة العامة للجهاد حتى بلغ العدد الاجمالي لجيشه حوالي نصف مليون من البشر وبالتحديد 480.000 جندي منها 300.000 من الموحدين وقبائل العرب والبربر وزناتة والمرتزقة، و80.000 من المتطوعين و100.000 من الراجلين. وهنا يطرح السؤال، ألا يمكن أن يحدث الاستنفار العام للسكان في مدينة داي على غرار باقي المدن ومن ثم تتم عملية مشاركة الكثير من أهل داي في هذا الجيش الضخم، ويمكن أن يكون هذا هو السبب لجلاء أهل داي عنها.

ولنستعرض الاحداث كما ذكرها الناصري «... ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين يوم الخميس خامس ربيع الاول من السنة المذكورة، فوصل إلى رباط سلا فكتب إلى جميع بلاد المغرب والقبلة وافريقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم إلى الجهاد، فأجابه خلق كثير، واجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة ومن قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة الف فارس ! ومن جيوش المتطوعة ثمانون الف فارس، ومائة الف راجل ! فضاقت بهم الارض وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا من عين غبولة إلى عين خميس إلى حلق المعمورة... وتمادى به مرضه واشتد ألمه فتوفي (14) ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة» (15).

2) – في سنة 559 هـ بالاضافة إلى ما ذكره التوفيق في مقدمته لكتاب التشوف عن ثورة عَتَّاب بالاقليم، فان المصادر التاريخية تتحدث عن فتن غيرها

---

(14) عبد المومن بن علي.

(15) الاستقصا ج : 2. ص : 139.

في نفس السنة بأماكن أخرى منها ثورة مرزذغ الصنهاجي ببلاد غمارة، حيث قام بالثورة، وضرب السكة باسمه، وكون الجيش، وفي ذلك يقول الناصري...«وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة... ثار مرزدغ الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة باسمه، وكتب فيها «مرزذغ الغريب، نصره الله عن قريب» وكانت ثورته ببلاد غمارة، فبايعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأروبة (؟) فأفسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها كثيرا وسبى، فبعث إليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحدين فقتل وحمل رأسه إلى مراكش» (16).

ونظرا لوجود داي في الطريق بين تازا ومراكش فإنه أيضا من المحتمل أن يكون لهذه الوقعة أثر فيما ذكر عن إجلاء أهل داي عنها. والنتائج المحتملة عند تحليل هذه الوقائع تتلخص فيما يلي :

أ – قيام مرزذغ الصنهاجي بالثورة ببلاد غمارة.

ب – مرور الجيش الموحدي من اقليم تادلة قريبا من مدينة داي قادما من مراكش.

ج – احتمال مشاركة سكان المنطقة وأهل مدينة داي في التعبئة العامة ضمن جيوش الموحدين لمواجهة مرزذغ.

د – انتصار هذا الجيش على مرزذغ وقطع رأسه وحمله إلى مراكش

هـ – مشاركة أهل داي للجيش الموحدي في حمل رأس مرزذغ إلى مراكش، والتعبير عن الولاء للسلطة الموحدية، ومن تم البقاء في الحضرة المراكشية في كرم وعناية السلطان الموحدي.

و – يدعم هذا الزعم نوع الشخصيات النازحة إلى مراكش فيما سمي بجلاء أهل داي. إذ كانت هذه الشخصيات بارزة في ميدان العلم والصلاح والشهرة.

3) – في سنة 560 هـ قام ولي عهد عبد المومن الموحدي بعد وفاة أبيه بتسريح الجيوش التي كان عبد المؤمن قد هيأها للجهاد بالاندلس. وفي ذلك يقول

(16) الاستقصا ج : 2. ص : 142.

الناصري «وذكر القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمر مؤرخ دولتهم أن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بويع بيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الاول سنة ستين وخمسمائة وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بسنتين... وكان أول شيء فعله بعد البيعة أن سرح الجيوش المجتمعة للجهاد إلى بلادهم وقبائلهم، وكتب إلى البلاد بتسريح المساجين وتفريق الصدقات في جميع عمله، وتسمى بالامير» (17).

وعند الربط بين المعلومات الواردة في هذا النص المتعلق بتسريح الجيوش المجتمعة بسلا برسم الجهاد وبين النص الاسبق المتعلق بأحداث جمع الجيوش عام 558. يمكن الخروج بالاستنتاجات الاتية :

1 – مشاركة كل القادرين من أهل داي على الجهاد في الانخراط في جيش القبائل العربية أو الامازيغية أو في جيش المتطوعين الذي جمعهُ عبد المومن بمدينة سلا عام 558 لغزو الاسبان.

2 – كانت المشاركة في الجهاد واجبا مقدسا على كل قادر على حمل السلاح، لذلك ليس من المستبعد أن تصبح مدينة داي خالية من معظم رجالها وشبابها لمشاركتهم ضمن هذا الجيش، وهو ما سيحدث إثر وقعة العقاب 609 هـ.

3 – للتأكيد على الرغبة العارمة للمسلمين في المشاركة في الحملات العسكرية وخاصة ضد الاجانب «المشركين» أورد ما ذكره ابن الزيات في التشوف عن محمد ابن تميم الزناتي من أهل داي عندما كان نازحا بمدينة مراكش قال :

«وأخبرني محمد بن عبد الله قال : أخبرني ابراهيم الزناتي وكان من الاخيار قال : لما نهض المسلمون من حضرة مراكش إلى جزيرة الاندلس، لغزوة الارك رأيت في النوم النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم خلقا كثيرا من أهل مراكش، ثم رأيت جمعا آخر كثيرا تخلفوا عنه وأنا معهم، فعظم علي تخلفي عنه فرأيت أبا عبد الله محمدا بن تميم مع المتخلفين، فأُعَزِّي نفسي بذلك وأقول وهذا أبو عبد الله وهو رجل صالح قد تخلف ولي فيه إسوة، فقعدت معهُ إلى أن جاء أسود

(17) الاستقصا ج : 2. ص : 141.

حَبَشي وقال له : بعثني إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لك : لا تنس أمتي» (18).

ومن النص السابق يتبين مدى الشعور بوطأة تأنيب الضمير في حالة التخلف عن المشاركة ضمن جيش المسلمين، وتتبين كذلك المكانة الخاصة التي كان يتمتع بها النازحون عن داي إلى مراكش.

4 – بناء على ما سبق من الرغبة الاكيدة في المشاركة ضمن جيوش المسلمين يمكن بناء الاستنتاج الذي يقول بجلاء أهل داي بسبب مشاركة جل رجالها وشبابها في الوقعة التي كان من المنتظر انجازها في نفس السنة 559 هـ لولا وفاة عبد المومن الموحدي.

5 – عند موت عبد المومن بقي الجيش مرابطا بضواحي مدينة سلا لمدة عامين، هي مدة فيها من الوقت ما يكفي لاقامة علاقات ودية وعلاقات احترام وتقدير بين الشخصيات البارزة من أهل داي وشخصيات البلاط المراكشي.

6 – بناء على العلاقات العمودية التي من المحتمل تكَوُّنها بين رجال البلاط وأهل داي من جهة، والعلاقات الافقية التي من الاكيد إنشاؤها بين شخصيات مراكش وأهل داي من جهة ثانية، بناء على ذلك يجب النظر بعين الاعتبار لاحتمال دعوة أهل مراكش لاهل داي بالسكنى في المدينة العاصمة مراكش.

7 – يوسف بن يحيى استعمل في كتابه لفظة النزول لكل الدائِّين الذين نزلوا مراكش. فقال عن يحي بن أبي بكر بن محمد مع الله بن يحياتن الزناتي «نزل مراكش وبها مات».

وقال عن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم «أصله من داي من بلاد تادلا ونزل مراكش وبها مات».

وقال عن محمد بن تميم الزناتي «أصله من داي ونزل الجانب الشرقي من مراكش وبه مات».

وكلمة النزول تعني احتمال النزول الاختياري للشخص وليس نزولا اجباريا في المكان بعينه. لذلك يتقوى احتمال وجود افتراض دعوة المراكشيين للداين بالنزول في مراكش.

(18) ابن الزيات : التشوف : ص : 395.

8 – كما أن نزولهم في أماكن متفرقة من مراكش يقوي هذا الافتراض، فلو كان نزوحا اجباريا لكانت إقامتهم في مكان واحد حتى تسهل مراقبتهم من طرف السلطات المركزية من جهة، ولامتناع الناس عن مخالطتهم أو الافتخار والاشادة بهم.

9 – يقوي هذا الافتراض أيضا ما أورده ابن الزيات في ترجمة أبي يحي أبي بكر بن فاخر العبدري حيث أن هذا الاخير اعتراه ما اعتراه من العُزوف عن الدنيا إلى رحاب الله سبحانه وتعالى فانتقل من داي إلى سلا قال ابن الزيات «كان ابتداء أمره أنه كان من أهل البطالات والراحات ثم نزعت به إلى الله تعالى همة عالية، فتجرد عن الدنيا وتخلى عنها ثم ذهب من تادلا إلى مدينة سلا فمات بها عام تسعة وخمسين وخمسمائة... وسمعت أبي رحمه الله يقول : سمعت ابن فاخر يقول : يا أهل داي تصدقوا علي... فأقام بداي نحوا من عشرة أيام ثم مر إلى مدينة سلا على قدميه مع ابن له كبير كان يخدمه، فأقام في سلا في رابطة على ساحل البحر ستة أشهر فمات بها رحمه الله» (19).

وهنا يطرح السؤال لماذا اختار ابن العبدري مدينة سلا دون غيرها من المدن، رغم ازدهار العاصمتين مراكش وفاس... إذن لا بد أن يكون هناك سبب، ولعل هذا السبب هو وجود أهل داي ضمن المعسكر الرابض بسلا منذ السنة الماضية 558 هـ.

ويطرح تساؤل آخر يمكن ترتيبه قبل سابقه، هو لماذا اهتز ضمير ابن فاخر في سنة 559 هـ، وتنازل عن كل ما يملك لكونه من كسب حرام، أليست هناك دوافع نفسية عميقة بقيت مكبوتة في صدره، ولم تنجح أعصابه في الاخير في الاحتفاظ بهذا الكبت، الشيء الذي انهارت معه أعصابه، وتضجر داخله بقوة جعلته يقلب حياته رأسا على عقب... ألا يمكن أن يكون قعوده وتأخره عن المشاركة ضمن متطوعي أهل داي هو السبب في تفجير عواطفه، وتدمير نمط عيشه السابق، لبناء نمط آخر يرتكز أساسا على نكران الذات، والانحراف عن الملذات، والاتجاه نحو الله في ايمان عميق. ذلك الايمان الذي نتج فجأة كردة فعل عنيفة للتكفير عما سبق، تبلور في التوجه إلى سلا – الرمز – للجهاد للمشاركة ضمن جيش المسلمين، فإما الشهادة في الجهاد، أو التكفير عن الذنوب واكتساب الشرف.

---

(19) ابن الزيات : التشوف : ص : 175.

10 – يقوي هذا الافتراض أيضا – القائل بنزوح أهل داي بدعوة من أهل مراكش – تحدث ابن الزيات عن مجتمع داي الهادىء عام 559 هـ، من ذلك الحكاية التي أوردها عن ابن فاخر العبدري السابق الذكر، حيث قال عنه بأنه غادر داي عام 559 هـ وتوفي بسلا بعد ستة أشهر من نزوحه عن داي.

وهذا معناه أن داي لم تصّب بأية غارة خلال هذه السنة من أية جهة كانت كما أن معناه أيضا يؤكد الزعم الذي ذهبنا إليه من كون النزوح الكامل أو شبه الكامل لاهل داي كان بعد 559 هـ أي بعد تفريق الجيش من طرف يوسف بن عبد المومن عام 560 هـ.

11 – يؤكد هذا الزعم كون ابن الزيات لم يذكر أية وفاة وقعت عام 559 بداي بسبب معركة أو حرب، وهو ما يؤكد أن نزوح أهل داي عنها لم يكن سببه حرب أو معركة جرت بداي، وإلا لكان ابن الزيات ذكر ولو شخصية واحدة تعرضت للقتل بسبب زعامتها الدينية أو السياسية للقبيلة.

ورغم كل ما سبق ذكره فإننا سنحاول السير قدما في استعراض بعض الاحدات اللاحقة والتي قد تكون لها علاقة بالموضوع من ذلك :

* وقعة الجلاب التي وقعت بالاندلس عام 560 هـ بين أبي سعيد بن عبد المؤمن الموحدي، وابن مردنيش الاسباني والتي انهزم فيها الاسبان وفي ذلك يقول الناصري «وفي سنة ستين وخمسمائة كانت وقعة الجلاب بالاندلس بين السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن وجيوش الفرنج مع ابن مردنيش، وكانت الفرنج ثلاثة عشر ألفا. فهزم ابن مردنيش وقتل من معه من الفرنج بأجمعهم، وكتب السيد أبو سعيد بالفتح إلى أخيه أمير المؤمنين يوسف» (20).

والتساؤل المطروح بصدد هذه الوقعة هو امكانية مشاركة أهل داي ضمن جيوش أبي سعيد بالاندلس، كجزء من الجيش الذي جمعه عبد المومن بسلا يكون قد وجهه يوسف بن عبد المومن لتعزيز قوة جيش أخيه بالاندلس.

* وسوف نبتعد بنصف قرن عن التاريخ الذي حدد لجلاء أهل داي عام 559 هـ لنقف عند عام 609 هـ، وهو عام وقعة العقاب بالاندلس والتي قادها محمد الناصر الموحدي، وانهزم فيها، وقضي على معظم الجيوش المشاركة معه،

---

(20) الاستقصا ج : 2. ص : 142.

وهي الوقعة التي تتحدث عنها المصادر فتقول بأن المدن والقرى أصبحت بعدها خالية من سكانها، وفي ذلك يقول الناصري بسبب فشل الموحدين في العقاب «أما الاندلس فَبِتَكَالُبِ العدوِّ عليها وَفَنَاء حُمَاتها، وأما المغرب فَبِخَلاَءِ كَثِيرٍ من قُراه وأمصاره من وقعة العقاب» (21).

«وكانت هذه الرزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة تسع وستمائة، فذهبت قوة المسلمين بالمغرب والاندلس» (22).

والاحتمال المطروح بإدخال هذه الواقعة ضمن الاحتمالات هو أن يكون هناك غلط في تحديد سنة الجلاء عن داي من طرف ابن الزيات على لسان المرأة التى ذكرت جلاء أهل داي... ولكن إذا رجعنا لترجمة أبي العباس السبتي نجد أن «مولده بسبتة عام أربعة وعشرين وخمسمائة، نزل مراكش وبها مات عام أحد وستمائة 601 هـ، وذلك يوم الاثنين الثالث من شهر جمادى الآخرة 26 يناير سنة 1205 م» (23) وبذلك يسقط هذا الاحتمال.

* ونفس الشيء للاحتمال التالي : وهو احتمال جلاء داي بعد وقعة أم الرجلين عام 659 هـ أي بعد قرن كامل من التاريخ المحدد لجلاء أهل داي حيث أن عرب جشم شاركوا إلى جانب جيوش الموحدين فانهزم الموحدون في هذه الوقعة «وتركوا أموالهم وأثقالهم وعددهم وسلاحهم» (24)، والدافع إلى ادخال هذا الاحتمال هو إمكانية الغلط بين 559 هـ و 659 هـ. ولكن ارتباط تحديد عام 559 هـ بحكاية أبي العباس السبتي المتوفي عام 601 هـ يهدم هذا الاحتمال من أساسه.

من أجل ذلك يبقى احتمال انتقال أهل داي من سلا إلى مراكش بعد قضاء عامين ضمن العسكر الذي رابط وعسكر بمدينة سلا بعد وفاة عبد المومن الموحدي، قائما حتى ظهور قرائن جديدة يمكن اعتمادها في تفسير وتوضيح أسباب جلاء أهل داي عام 559 هـ إلى مدينة مراكش. إذ لم يكن سبب الجلاء هو ظهور مرض أو وباء بالمدينة يضطر معه أهلها إلى الجلاء عنها، خاصة وأن أبا

---

(21) الناصري الاستقصا ج : 2. ص : 219.
(22) الناصري الاستقصا ج : 2. ص : 217.
(23) العباس بن ابراهيم الأعلام ج : 1. ص : 236.
(24) علي بن أبي زرع، الانيس المطرب ص : 302.

الحسن اليوسي قد ذكر داي بكونها موطنا للامراض والاوبئة... غير أن التمعن في الوفيات التي أشار إليها ابن الزيات في داي عام 559 هـ لم تكن أسبابها قط أسبابا ترجع في الاساس إلى الاوبئة والامراض الفتاكة.

11) أورد البيذق ذكر حصن داي ضمن تعداده للحصون التي استولى عليها الموحدون فقال : «وحصن داي كان فيه ابراهيم بن سامّدن».(25)

استدراك

تحت عنوان : «ما يحكى عن تدمير داي وجلاء أهلها عنها» أوردت نصا لدائرة المعارف الاسلامية(26) يقول : «وهناك قصة يرويها أهل هذه البلاد تزعم أن مدينة داي دمرها السلطان يوسف بن تاشفين المرابطي وابتنى عوضا عنها مدينة تاكرارت، ولاتزال أطلالها باقية في جوار هذا المكان، ويمكننا أن نرد هذه الحادثة التي لم يدونها التاريخ إلى الوقت الذي كان يغير فيه يوسف بن تاشفين على حصون فزاز، وهو اقليم مجاور لتادلة من ناحية الشمال».

وقلت بعد ذلك بأنني أشك في صحة تدمير مدينة داي من طرف يوسف بن تاشفين ولكنني أقطع الشك بالنص التالي للبيذق يَبْسُطُ فِيهِ المراحل التي قطعها مع جيش عبد المومن بالمنطقة يقول بعد إشارته لغزو واوزغت «ثم هبطنا لموضع يقال له تاكْرارت متاع داوود بن عائشة، ثم خرج منا جمع فأكل تاكْرارت، فأقبل بغنائمها ثم رحلنا منها لموضع يقال له داي(27) وكان بها علي بن ساقطرا فلما وصلنا بقربها هرب فغنمنا داي»(28).

واضح من النص أن داي كانت قائمة إلى جانب محلة داوود بن عائشة – تاكرارت – بل فقد كانت داي من الأهمية بحيث جعلت البيذق يعبر بفرح عن استيلائهم عليها قائلا : «فغنمنا داي» وكان عليها آن ذاك علي بن ساقطرا من قبل المرابطين.

---

(25) أخبار المهدي ص : 92

(26) ص : 458. مادة : تادلا.

(27) أشار هنا السيد عبد الوهاب بن منصور محقق الكتاب في الهامش : 90 : «داي : لاتزال بقايا هذه المدينة العظيمة موجودة بالجبال الواقعة بين قصبة تادلا وبني ملال غير بعيد عن حصن تاكرارت».
والواقع أنه لاتوجد جبال بين قصبة تادلة وبني ملال، كما أن بني ملال هي نفسها مدينة داي السابقة الذكر. انظر داي من هذا البحث.

(28) أخبار المهدي ص : 50

المشهورون من داي

قبل أن أختم الحديث عن مدينة داي لابد من أن أذكر أسماء بعض ممن اشتهر من مدينة داي، وهم :

1 – أبو يعقوب يوسف بن علي المؤذن، وهو صاحب العين المعروفة اليوم ببني ملال بعين سيدي بويعقوب، توفي بداي عام 557 هـ.

2 – أبو عبد الحليم يعقوب ابن هارون الصديني، وهو المعروف اليوم بسيدي عبد الحليم الموجود ضريحه الآن قرب المدرسة المحمدية الابتدائية توفي بداي عام 559 هـ.

3 – أبو يحي أبو بكر ابن فاخر العبدري، وهو المذكور سابقا، تخلى عن كل ما يملك بداي وهاجر إلى سلا، وبها مات عام 559 هـ.

4 – يوسف بن عبد الله بن مصباح التادلي المعلم، من الذين نزحوا إلى مراكش وبها مات عام 592 هـ.

5 – محمد بن تميم الزناتي من الذين هاجروا إلى مراكش وبها مات عام 607 هـ.

6 – يحي بن أبي بكر بن محمد مع الله، من الذين نزحوا عن داي إلى مراكش وبها مات عام 614 هـ.

7 – يحي التادلي المعروف بالزيات، غادر داي إلى مراكش «في العشرة السبعين من القرن السادس» وبها مات.

8 – يوسف بن يحي التادلي المعروف بابن الزيات، هو ابن يحي المذكور قبله، هاجر مع والده من داي إلى مراكش وبها مات.

9 – أبو الربيع بن سليمان بن يوسف، كان من أهل داي من أهل العلم.

10 – أبو موسى بن أبي الربيع بن سليمان المذكور قبله، كان خطيبا وفقيها بداي.

بني ملال
الاسم والاحتمالات الممكنة

هناك ما تحكيه إحدى الروايات عن وجود جبل اسمه ملاّل من وراء الجبال المحادية للمدينة جاء سكانه البربر واستوطنوا مكان المدينة ولكن عندما نستقصي الكلمات البربرية المجاورة لبني ملاّل لا نجد فيها اسم ملاّل إلا إذا كان تحريفا لكلمة «إمَلُّولْ» ومعناها بالدارجة «بْيَاضْ» في الفعل الماضي المقابل لفعل الفصحى «أَبْيَضْ» وكلمة «أُومَلِّيلْ» البربرية تعني أَبْيَضَ وقد تكون التسمية بهذا المعنى تدور حول جبل طاسميت الذي تغطيه الثلوج البيضاء في فصل الشتاء. وتعني «أَمَالاَلْ : اَلْبَيَاضُ، وَفي وَمَالاَلْ، وُضِعَ الواوُ مَكانَ الأَلف لتخفيف الوصل» (29).

والبحث في أصل القبائل يشير إلى وجود قبيلة «مَلاَّلْ» كفرع من القبيلة المغربية الشهيرة «جزناية» الواقعة في شمال اقليم تازة، وتازة تقع في الشمال الشرقي لبني ملال، أي وراء الجبال وبمحاداتها و«جزناية قبيلة مغربية شهيرة، تقع شمال اقليم تازة، تتألف من ثمانية بطون هي : بني عاصم – وبني محمد – والشاوية – ومزدورار – وملال – وأولاد علي بن عيسى – والوطا – ومن أشهر قراها : أكنول – وبورد – وتيزي وسلي» (30).

والبطون الثلاثة : «ملال» و «أولاد علي» و «الوطا» هي أسماء معروفة وقبائل معروفة في اقليم بني ملال، فقبيلة اولاد علي مشهورة في ناحية بني ملال كما أن اصطلاح «الوطا» هو اصطلاح معروف ببني ملال يقصد به السهول الممتدة بناحية بني ملال، فهل هو اسم للسهول أم كان يطلق على مكان تواجد البطن المذكور من قبيلة جزناية ؟

ونعود لاحتمال آخر فقد يحوم الشك حول نسبة التسمية إلى قبيلة بني ولاّل العربية وذلك بإبدال الواو ميما فتحولت من بني ولال إلى بني ملال، جاء في

---

(29) أحمد التوفيق محقق كتاب التشوف ص : 413. هامش : 283.

(30) الهامش 149 من جذوة الاقتباس ج : 1. ص : 119.

ترجمة الولالي أحمد بن محمد بن يعقوب، «أبو العباس الولالي فاضل من أهل فاس، توفي بمكناس، نسبته إلى بني ولال من قبائل العرب» (31).

وبناء على ذلك – جدلا – تكون التسمية والتحريف قد ظهرت بعد 1128 هـ 1716 م وهي سنة وفاة أحمد الولالي.

وقد عثرت أيضا على اسم قبيلة ولاّل، ويصفها محمد بن الطيب القادري بأنها من البربر قائلا (32) «... ثم خرج في أواخر ربيع الثاني بعد رجوعه من الغرب إلى مكناس (أمير المؤمنين المولى رشيد) ثم قصد ايت ولاّل من البربر فأخذهم ورجع إلى فاس...».

كما أنه قد يتبادر إلى الذهن أن تكون التسمية آتية من تحريف لاسم قبائل بني هلال العربية حيث «كان المنصور الموحدي قد نقل عرب بني هلال من افريقية إلى المغرب وأوطنهم فيه» (33) فتكون التسمية تحريفا من بني هلال إلى بني ملال (34).

لكن البحث يمتد على الشكل التالي :

وجود اسم «ابن آملال» بتلمسان بالجزائر يعود إلى سنة 903 هـ.

جاء في ترجمة ابراهيم بن هلال السجلماسي مايلي : «ابراهيم بن هلال السجلماسي، الفقيه الامام العالم المفتي الحافظ، لَهُ نوازل في الفقه المالكي، أخذ بمدينة فاس عن محمد القوري وأخذ بتلمسان عن ابن آملال، وغيرهما... توفي بسجلماسة سنة 903 هـ» (35).

ونجد ابن آملال آخر من مديونة توفي سنة 856 هـ وهو محمد بن علي بن آملال المديوني، جاء في ترجمته «محمد بن علي بن آملال المديوني الفقيه المفتي بها، الشيخ الصدر، كان متواضعا فقيها، مهابا، ولي الفتوى بعد الشيخ القوري، توفي بمدينة فاس المحروسة سنة 856 هـ» (36) ولعله نفسه ابن آمالال السابق الذكر.

---

(31) الاعلام مجلد : 1. ص : 241 – خير الدين الزركلي.
(32) نشر المثاني ج : 2. ص : 168.
(33) عبد الله كنون – النبوغ المغربي ج : 1. ص : 178.
(34) كان هو الاحتمال الذي ذهبت إليه في بحث خاص عن بني ملال قدمته للمجلس البلدي بني ملال، ونشرته في مجلة مشاعل للجمعية المغربية لتربية الشبيبة عام 1977.
(35) أحمد بن القاضي – جذوة الاقتباس ج : 1. ص : 097.
(36) أحمد القاضي – جذوة الاقتباس ج : 1. ص : 240.

ونعثر أيضا على ابن مَلِّيل وهو «يحي ابن يحي الكاتب ابن مَلِّيل، من بيت بني مَلِّيل بفتح الميم، وكسر اللام بالتشديد وهم من البربر، وبيتهم بيت فقه ومنهم عبد العزيز ابن مليل» (37).

ونجد اسم تاملالت، فقد ورد في ترجمة موسى بن أبي عنان سعيد بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أحد ملوك مدينة فاس «يكنى أبا فارس، لقبه المتوكل على الله... أمه مولدة اسمها تاملالت توفي عام 788 هـ» (38).

ملالة بأحواز بجاية

توجد أيضا بالجزائر قرية كانت تسمى ملالة من نواحي بجاية فيها التقى المهدي بن تومرت بعبد المؤمن، قال عنها علي بن أبي زرع«... فلقاء عبد المومن للمهدي كان بقرية ملالة (تاملالت) من ظاهر بجاية أثناء سفر عبد المومن صحبة عمه إلى المشرق للحج وطلب العلم» (39).

وقال في التشوف في الترجمة رقم 199 لابي العباس أحمد بن عبد العزيز السلاجي الخراز «من أهل الجانب الشرقي من مراكش توجه إلى مكة فمات ببجاية في صدر عام ستمائة ودفن بملالة» (40).

ويكشف التاريخ أيضا عن امرأة أخرى هي أم ملال المتوفاة في سنة 414 هـ 1023 م. جاء في ترجمتها «السيدة بنت منصور بن يوسف الصنهاجي أميرة حازمة تولت الملك بالوصاية، ولدت بقصر المنصورية، على جبل من القيروان... وكانت عونا لاخيها نصير الدولة باديس بعد وفاة أبيها... ومات ادريس سنة 406 هـ... فأجمع كبراء صنهاجة على إقامتها «وصية» على ابنها المعز... وتولت تدبير المملكة... وليس في تاريخ افريقيا امرأة مسلمة حكمتها غير أم ملال...» (41).

وهنا يطرح احتمال وفود أبناء ملال من القيروان على مدينة داي، بعد وفاة السيدة أم ملال، أو انتزاع الحكم من ابنه، يستوطنون داي فتعرف فيما بعد باسم

---

(37) أحمد بن القاضي : جذوة الاقتباس ج : 1. ص : 358.
(38) أحمد بن القاضي : جذوة الاقتباس ج : 1. ص : 343.
(39) الانيس المطرب ص 173. هامش : 99.
(40) التشوف ص 377 ونقلها العباس بن ابراهيم في الاعلام ج : 2 ص 113.
(41) خير الدين الزركلي المجلد 3 ص : 148.

بني ملال، ويمكن أن يكون هذا القدوم ضمن وفود قبائل بني جشم وبني هلال في عام 584 هـ، حيث أدخلهم المنصور الموحدي لاقليم تادلة.

وإذا مضينا – قليلا – في البحث فسنجد أن المنصور «...نقل رحمه الله بني هلال، وبني جشم إلى المغرب الاقصى حيث أتوه طائعين، وكان ذلك سنة 584 هـ فأنزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط، فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى أزغار البسيط الأفيح هناك إلى ساحل البحر الاخضر، فاستقروا بها وطاب لهم المقام، وانزل قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط الافيح مابين سلا ومراكش ، وهو أوسط بلاد المغرب الاقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار لاحاطة جبل درن بها» (42).

من هذا النص نستنتج :

1 – ان المنصور أدخل قبيلتي بني هلال، وبني جشم إلى المغرب في سنة 584 هـ أي بعد معركته مع ابن غانية بسنتين فقط.

2 – أسكن بني رياح في سهول الغرب وسايس، وجزء من الشاوية وأسكن بني جشم في سهول تادلة والحوز والهضبة الوسطى، ودكالة وعبدة وجزء من الشاوية، والرحامنة والشياظمة

وفي العصر المريني نجد أن الفودي (43) شعر بما في نفس السلطان (44) فترك مراكش ولحق بتادلة خارجا عليه بجماعة من بني جشم (45) وهذا معناه أن بني جشم كانوا متواجدين بسهول تادلة.

إذن فقد سكن بعض بني جشم سهول تادلة، ومن بينهم جابر بن جشم المنحدِر من قبائل قيس عيلان الذي استوطن سهول تادلة، ومازال حي بناحية بني ملال يحمل اسم – «سيدي جابر» – عند اعوينات حوالي 10 كلم عن بني ملال، وأورد النص التالي للتأكيد على ذلك :

---

(42) الناصري الاستقصا ج : 2. ص : 162.
(43) حسن بن عمر الفودي وزير أبي بكر السعيد بالله المريني وواليا على مراكش من قبل أبي الحسن المريني.
(44) السلطان أبو الحسن المريني.
(45) خير الدين الزركلي الاعلام مجلد ص : 52.

«...وفي هذه السنة (943) هـ حرك الوطاسي لمراكش (خارجا من فاس)، وحرك لحربه أبو العباس الشريف الحسني، فالتقى الجمعان على وادي العبيد من بلاد بني جابر، ووقع بينهما حرب شديد، فكانت الهزيمة على أحمد الوطاسي في عشية يوم الجمعة تاسع صفر... ورجع الوطاسي إلى مدينة فاس، وتسمى هذه الكائنة بسنة بوعقبة، وبقيت محلته بيد الشريف وقصبة تادلة» (46).

وهنا تتدخل الرواية الشفوية (47) لتقول بأنه كان لجابر هذا ثمانية أولاد، هم بالترتيب الزمني :

1 – **مغيل** : وهو جد قبيلة مغيلة بجوار بني ملال وقد خلف أولادا شتى.

2 – **وردغ** : وهو جد قبيلة ورديغة.

3 – **مسكين** : وهو جد قبيلة بني مسكين.

4 – **سرغان** : وهو جد قبيلة السراغنة، وقد أصبحت المدينة عمالة وإقليما تقع عند الكلمتر 90 عن مراكش و110 عن بني ملال.

5 – **موسى** : وهو جد قبيلة بني موسى بسوق السبت حوالي 40 كلم عن بني ملال.

6 – **عمير** : وهو جد قبيلة بني عمير، وتعرف معظم سهول تادلة الخصبة باسم سهول بني موسى وبَني عمير.

7 – **عتاب** : وهو جد قبيلة أيت عتاب في اقليم أزيلال – حاليا – وهي القبيلة التي استضافت المولى عيسى ابن ادريس الثاني حوالي 70 كلم عن بني ملال.

8 – **ملال** : وهو أصغر الابناء واسمه محمد، وهو جد قبيلة بني ملال.

وللتأكيد – أيضا – على أن بني جابر بن جشم سكنوا منطقة بني ملال عند سفح الجبل ونواحيه في الموقع الحالي وبالقرب منه أورد النص التالي : «...

---

(46) أحمد بن القضي جذوة الاقتباس ص : 321.

(47) السيد يافي من حي الصومعة عام 1980.

وولي رئاسة بني جابر بعده (48) اسماعيل بن يعقوب بن قيطون، ثم تحيز بنو جابر هؤلاء عن احياء جشم إلى سفح الجبل بتادلة وما إليها يجاورون هناك صناكة من البربر الساكنين بقنته، وهضابه فيسهلون إلى البسيط تارة، ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى إذا دهمتهم مخافة السلطان» (49).

وكان هذا التحيز إلى سفح الجبال في عهد أبي حفص المرتضى الموحدي – وسفح الجبل بتادلة وما إليها المقصود به هو بني ملال – أما عدم استقرارهم هذا فيدل على أنهم ما زالوا رحلا وأن استقرارهم تم في بني ملال داخل المدينة، والباقي احتفظ بالاقامة داخل الخيام بسيدي جابر.

أما الجد الاكبر جابر فما يزال ضريحه قائما إلى اليوم بقرية سيدي جابر التي تسمت باسمه تبعد حوالي 10 كلمترات عن بني ملال.

ونعود للرواية فنقول : إن محمدًا أصغر أبناء جابر، كان كثير التنقل بين أصحابه وإخوته السبعة، وكان شديد الملل، لايكاد يستقر به المقام في مكان ما حتى يشعر بالسأم والملالة حتى أنهم كانوا يجيبون عندما يُسألون عنه «إن محمدا عشاق ملال، جاء بالامس وذهب اليوم» وما يزال الملاليون حتى اليوم يستعملون هذه العبارة «عَشَّاقْ مَلاَّلْ» للدلالة على كثرة الملل.

وتزوج محمد الملال، وترك ثلاثة اولاد سماهم :

گْنَاوْ : وهو جد قبيلة اولاد اگناو تبعد عن بني ملال بحوالي 20 كلم

حَمْدَانْ : وهو جد قبيلة اولاد حمدان، وهم مستقرون بضواحي بني ملال

سَعِيدْ : وهو جد قبيلة اولاد سعيد، تبعد عن بني ملال بحوالي 25 كلم.

ولما بنى أبو الحسن المريني قصبة بلكوش استوطنها بنو محمد الملال، وهم أبناء سعيد وأبناء حمدان وسميت بعد ذلك بمدينة بني محمد الملال، ثم حذف الاسم وبقيت صفته وسميت مدينتهم مدينة بني الملاَّل.

وإذا كان أصل سكان بني ملال من قبيلة جشم، فإن نسبهم يكون على الشكل التالي :

محمد الملال بن جابر من جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة، بن مضر بن عدنان.

---

(48) أي بعد يعقوب بن محمد بن قيطون.

(49) الاستقصا ج : 2. ص : 171.

ونجد أربعة من مشاهير الجدود ممن تسمى بجشم وهم :

1 – **جشم بن بكر بن حبيب** : من تغلب : جد جاهلي من نسله كليب ومهلهل، وعَمْرو ابن كلثوم ومشاهير آخرون (50).

2 – **جشم بن جبران بن نوف بن همدان** : جد جاهلي يماني قديم من نسله قبيلا همدان العظيمان «حاشد» و«بكيل» وما تفرع عنهما (51).

3 – **جشم بن الخزرج،** من الانصار : جد جاهلي، من نسله الحباب بن المنذر الانصاري الجشمي، من الصحابة (52).

4 – **جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن،** من عدنان : جد جاهلي كانت مساكن بنيه السروات بين تهامة ونجد وانتقل معظمهم إلى المغرب (53) ومن هذا الجد انحدرت قبائل جشم الواردة على المغرب والتي استوطنت سهول تادلة، كما أنه من المحتمل جدا أن يكون أصلهم من مدينة ملل الموجودة بجوار المدينة المنورة في الطريق إلى مكة، وأن يكون دخولهم ضمن جماعات بني جشم، ثم ينفردون باسم بني ملال في الاقليم بمدينة داي سابقا.

يقول محمد بن عبد المنعم الحميري عن مدينة : مَلَل «مَلَلُ : بينها وبين المدينة النبوية ثمانية عشر ميلا وهي بطريق مكة وفيها آثار، وهي قليلة الاهل، ماؤها من الآبار، وكان كُثَيِّر عَزَّة يقول : إنما سُميت مَلَلُ لِتَمَلُّلِ النَّاسِ بها، وكان الناس لا يبلغونها حتى يَمَلُّوا، وقال جعفر بن الزبير يرثي ابنا له مات بملل :

أهاجك بين من حبيب قد ارتحل نعم ففوادي هائم القلب مختبل
أحزني على ماء العشيرة والهوى علي ملل ياهف نفسي على ملل
فتى السن كهل الحلم يهتز للندى أَمَرُّ من الدفلى وأحلى من العسل

وبعد !... بعد استعراض الاحتمالات، ماهي حقيقة الاسم «بني ملال» ؟!

(50) جمهرة الانساب ص : 287 والأعلام مجلد : 2 ص : 120 لخير الدين الزركلي.
(51) الاكليل ج : 10. ص : 28 الأعلام مجلد : 2 : ص : 120.
(52) اللباب ج : 1. ص : 227 الأعلام مجلد : 2. ص : 120.
(53) نهاية الارب ص : 179 معجم قبائل العرب ج : 1 ص : 189 الاعلام مجلد : 2 ص : 120.

أجيب بأنه لا يمكن الجزم الآن برأي قاطع مالم تظهر حقيقة قاطعة للشك في أي احتمال من الاحتمالات التي أوردتها ويكفي الآن إثارة التساؤلات السابقة ليتم البحث في المستقبل عن حقيقة الامر.

ولنحاول الآن وضع مخطط لبعض مراحل تطور الاسم حسب الترتيب التالي :

1 – بناء مدينة داي قبل عهد الادارسة من طرف الافارقة.

2 – بناء الصومعة في عهد المرابطين من الجهة الشرقية الجنوبية لمدينة داي من طرف يوسف بن تاشفين.

3 – بناء تاكرارت إلى الجهة الشمالية لمدينة داي. من طرف. يوسف ابن تاشفين

4 – دخول بني جشم في عهد المنصور الموحدي، واستيطانهم لمنطقة تادلة بالمكان المعروف اليوم بسيدي جابر بجوار مدينة داي.

5 – اشتهار المنطقة باسم الصومعة في عهد السعديين، رغم أنها كانت تعرف باسم بني ملال آنذاك.

6 – بناء قصبة الزيدانية في عهد أحمد المنصور السعدي إلى الجهة الشمالية من داي.

7 – احتمال إعادة بناء داي أو إضافة قسم منها فقط في عهد أبي الحسن المريني (الكوش).

8 – اشتهارها أيام مولاي الحسن الأول بقصبة بلكوش.

9 – اشتهار اسم بني ملال حوالي 1200هـ على حسب ما توفرت لدي من معلومات في الوقت الحاضر.

بين داي وبني ملال

لقد تعرضت في البحث للاحتمالات الممكنة لتسمية داي، والتسمية ببني ملال، بقي أن نحاول تسليط بعض الضوء على إسم ثالث اخر اطلق على المدينة في مرحلة من مراحلها التاريخية.

هذا الاسم هو قصبة بلكوش، والكوش في البربرية هو الأسود وقد تلقب العديد من الأعلام بلقب الكوش منهم سيدي رحال الكوش (البدلي) دفين إقليم السراغنة.

وينسبون القصبة للكوش أحد السلاطين المرينيين يقولون بأنه هو أبو الحسن المريني، وقد ذكره أيضا عبد العزيز بن عبد الله في معجمه مادة الأكحل قال : «الأكحل – لاحظ الناصري (50) أن السلطان الأكحل هو أبو الحسن المريني لأن أمه كانت حبشية بينما أكد باسي أنه أبو يعقوب يوسف المريني (51) وذكر الكتاني في سلوة الأنفاس (52) نقلا عن صاحب شرح الصدور في مناقب الشيخ أبي يعزى يلنور أن السلطان الأكحل عند العامة هو أبو يعقوب الموحدي على أساس أنه هو صاحب ماء الحمة التي يغتسل بها ذوو العاهات والظاهر أن الاسم متعدد لأن كثيرا من الملوك كانوا موغلين في السمرة» (53).

وإذا كان هذا صحيحا فإن القصبة لم تشتهر بهذا الاسم إلا في العصر العلوي حيث نجد المدينة تعرف باسم قبيلة بني ملال في عصر السعديين رغم اشتهار زاوية الصومعة أنذاك في أيام سيدي أحمد بلقاسم ونجد ما يؤكد هذا القول عند العباس بن ابراهيم في كتابه الأعلام (54) حيث أشار عند استعراضه لكرامات سيدي أحمد أبي القاسم والد سيدي امْحمَّد الشرقي.

(50) الاستقصا ج : 2. ص : 57.

(51) Réné Basset, medroma et 204. Les trarcas n : 204

(52) جزء : 3. ص : 217.

(53) عبد العزيز بن عبد الله. تاريخ المغرب. ج : 2 المعجم ص : 8.

(54) جزء : 1 ص : 384 تحقيق عبد الوهاب بن منصور.

قال : «ومن كراماته (55) الظاهرة الدالة على ولايته ما حدثني به بعض إخواننا أن الشيخ سيدي أبا عمرو (56) المراكشي رضي الله عنه ونفعنا به تزوج من بلاد تادلة امرأة من قبيلة بني ملال المعروفة بها» (57).

ومعلوم أن سيدي آمْحمد الشرقي وسيدي أحمد الصومعي، وأبا عمرو المراكشي عاشوا في نهاية القرن العاشر الهجري.

ثم نجد ذكرا لبني ملال – أيضا – بدل القصبة الكوشية في نهاية القرن الثاني عشر. ومعنى هذا أن اسم بني ملال ما يزال هو الغالب في التسمية، يقول الضعيف الرباطي «وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حج الفقيه السيد عبد القادر بن محمد التادلي الملالي المنشأ الرباطي الدار أبقاه الله» (58).

وأخيرا نجد ذكر قصبة بلكوش في نهاية القرن الثالث عشر وذلك في رسالة خطية وقعها المولى الحسن الأول قدس الله روحه أثناء زيارته لبني ملال تثبت الحق الواجب للشرفاء حفدة أبي القاسم الصومعي...

وهي مؤرخة بالقصبة الكوشية في 20 ذي الحجة عام 1298هـ.

(55) من كرامات سيدي أحمد أبي القاسم بن محمد الجابري الرتمي والد سيدي امْحمَّد الشرقي.
(56) أبا عمرو المراكشي كان معاصرا لسيدي آمْحمَّد الشرقي. وهذا معاصر لسيدي أحمد بلقاسم الصومعي.
(57) الأعلام بمن حل مراكش ج : 1. ص : 384.
(58) تاريخ الضعيف ص : 174.

قلعة عين أسردون أو لَقْصَرْ

كل زائر لعين اسردون لا بد وأن يلحظ وجود القلعة «لَقْصَرْ» التي تربض فوق ربوة من ربوات الاطلس المجاورة للعين، وأخرى تهدمت توجد في الجهة الشمالية الشرقية من العين إلى المدينة على طريق «الكوشات».

ويقولون بأن القلعة المتهدمة كان قد بناها شْلُوحْ المنطقة لحماية العين. وأن القلعة الواقفة الآن فوق العين بناها الملاَّلِيُون عندما أحسوا خطر احتلال العين من طرف الشلوح، ولعل السبب في ذلك كان على الشكل التالي :

1) – استغلال العين في أول الامر من طرف شلوح المنطقة.

2) – تنازلهم عنها للملاليين بعد اعتصامهم بالجبال، والاكتفاء منها بنقل الماء فقط.

3) – حدوث واقعة الصخماني الذي أغلق العين وخلاص الملاليين منه

4) – محاولة الشلوح السيطرة على العين من جديد انتقاما لمقتل الصخماني.

5) – وهنا تبدأ حكاية بناء القلعة الثانية الموجودة الآن فوق العين :

كان ذلك في عهد السَّيْبَة قبل دخول الحماية الفرنسية، عندما جاء أحد أتباع الملاليين ليخبر – ليلا – زعماء القبيلة بما يتهدد العين من احتلال، فقاموا يدقون على البيوت بيتا بيتا لابلاغهم الامر والقيام لحماية العين بالاسلحة حتى الصباح، وفي الصباح بدأت عملية بناء القلعة حيث تجندت القبيلة بأجمعها رجالا ونساءا وأطفالا يقفون في شكل سلسلة طويلة جدا. المرأة إلى جانب المرأة، والرجل إلى جانب الرجل والطفل إلى جانب الطفل. بواسطة هذه السلسلة تم نقل الاحجار ومواد البناء من كهف «قَرْمُود» الواقع في جنان قدور ولد بوطة من ايت سلطانة بمنطقة الحفرة إلى القمة حيث القلعة بينما حمل الرجال أسلحتهم

على أكتافهم أثناء العمل تحسبا لكل طارىء. كما وضعوا عيونا فوق الربوات والقمم تترصد كل الطرق والنواحي التي يمكن أن يأتي منها «الشلوح» الذين أسقط في أيديهم فعدلوا عن أمر الهجوم.

ولما اشرفت القلعة على الانتهاء عادت النسوة والاطفال، وبقي هناك الشبان والرجال لاتمام ما تبقى. ثم عادوا جميعا وبقيت هناك حامية للحراسة، وبقيت القلعة تستقبل كل حين حامية من أفراد القبيلة بالتناوب للحراسة، حَيْثُ استقرت أخيرا في آيَتْ زْرُوزْ.

شارك في بناء القلعة كل من قبائل بني ملال، وبني موسى، وبني عمير، وقبيلة عياط، وواويزغت، ما بين 10 إلى 15 فردا للعائلة.

وبعد بنائها في أيام السيبة، أعيد بناؤها أيام الاستعمار بما يسمى الكلفة ثم تهدم جزء منها في الستينيات، فأعيد بناؤه في بداية السبعينيات، وتم اصلاحها كليا في نهاية السبعينيات.

عن والدي ووالدتي عام 1970

أبواب المدينة سنة 1930 *

كان السور يحيط بالمدينة من جميع الجهات، ولكل حي من أحياء قبيلة بني ملال كانت له أبوابه الخاصة، فكان بالمدينة ثمانية أبواب : أربعة خاصة بأولاد سعيد اثنان خاصان بأولاد حمدان، واثنان خاصان بمغيلة.

أبواب أولاد سعيد

1 – باب سيدي عبد الحليم. كان مُقَدَّمُ الحي هو محمد ولد دَحُّو.

2 – باب زنقة جّ أحمد المُقَدَّم هو دَحْمَانْ.

3 – باب الحطابة في زنقة الحطابة. المقدم هو دَحْمَانْ.

4 – باب آيت بَنْ عَزُّوز. كان مقدم الحي هو العربي بَنْدَاوُودْ.

أبواب أولاد حمدان

5 – باب بُويَا عَلاَّلْ السَّبْتِي. المقدم بُوشَايَرْ اَلْحَمَدَاني.

6 – باب بَلْيَزِيدْ : طريق مراكش المقدم بُوشَايَرْ الحَمْدَاني.

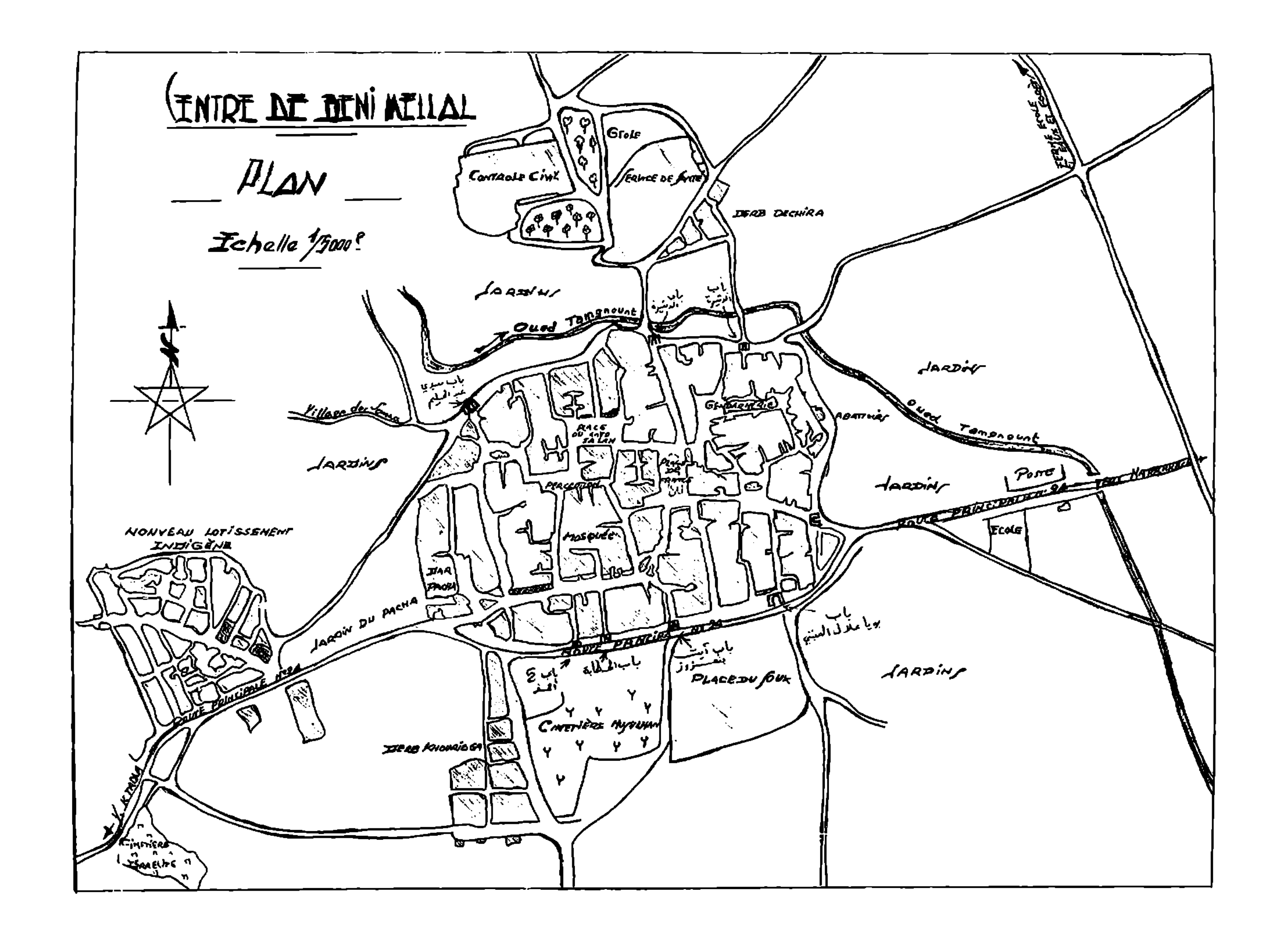
أبواب مغيلة

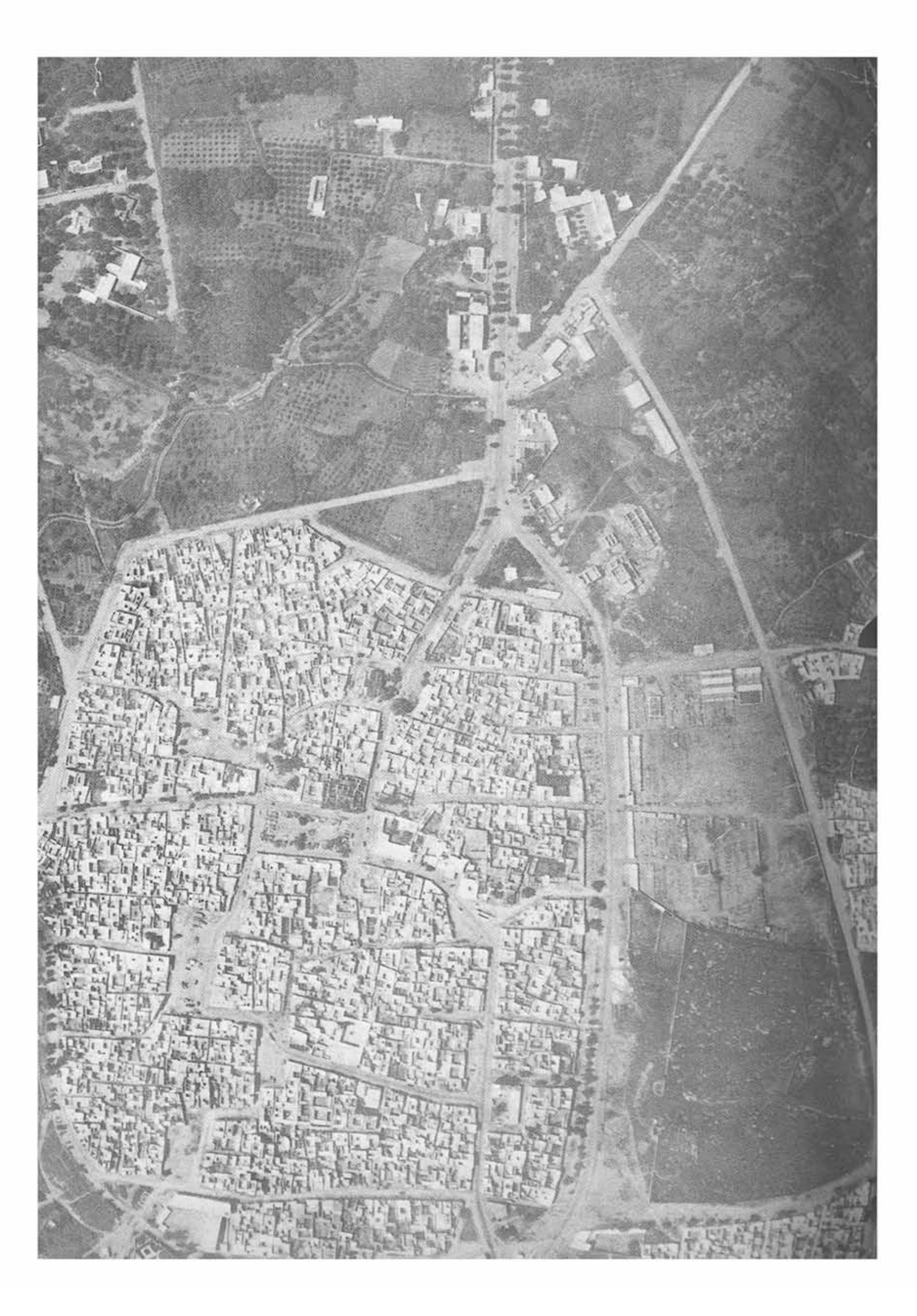
7 – كان لهم بَابَانْ يُسَمَّيَان «بِيبَانْ الدْشِيرَة» الاول في طريق العمالة المقدم هو بوعبيد ولد سي ابراهيم.

8 – الباب الثاني في الزنقة الطويلة الضيقة الرابطة بين ساحة العطارة وشارع تامكُنونت. والمقدم هو بوعبيد ولد سي ابراهيم.

---

* عن والدي سنة 1975.


CENTRE DE BENI MELLAL
PLAN
Echelle 1/5000e
Contrôle Civil
Geôle
Service de Santé
Derb Dechira
Jardins
Oued Tamgaount
Gendarmerie
Abattoirs
Place du Soukh
Mosquée
Dar Pacha
Jardin du Pacha
Nouveau Lotissement Indigène
Route Principale N° 24
Derb Khouribga
Cimetière Musulman
Place du Souk
Poste
Ecole
Village des Fours
Cimetière Israélite



أحياء وأزقة بني ملال حوالي 1930

نبتدىء من ساحة «اَلْمَطْلَكْ» (ساحة المقاومة حاليا) وسميت بذلك لكونها كانت ميدانا للفروسية وركوب الخيل وكانت أيضا مزبلة للبيوت المجاورة... ومزبلة بالمفهوم القديم «بَدُّوزَة» معناها ركام كبير من فضلات الأكل الخاصة بالانسان والحيوان على حد سواء... كبرت وعلت لدرجة أن من أراد أن ينادي على شخص صعد فوقها، ثم نادى...

أما الأزقة التي تربط بين الساحة وشارع تامكنونت فإنها كانت تفصل بين بيوت أو على الاصح قصور زعماء القبيلة وهي على التوالي :

1) قصر «بُوجُوجْ بيبانْ» كان خاصا بآيَتْ المولودي بن الطاهر كانت به دار الدباغة. وهم من أولاد سعيد وهم من أصهار آيَتْ بابا جدي.

2) قصر بين الكيفان : وفيه كانت مدرسة الاحد الابتدائية وسميت بهذا الاسم لان سوقا أسبوعيا كان يقام أمامها أيام الأحاد كانت تسكنه أسرة آيَتْ الجوَّانْي وهم من أولاد سعيد.

3) قصر بَنْ حَمُّو : وهو المكان الغربي من الساحة المواجهة للناحية الشرقية – (من ناحية العرض) – وهم أصهار آيَتْ بابا جدي فيما بعد... كانت أمام هذا القصر مهارس لدق البارود وكانت هذه الاسرة تملك من لاَلّ بقاشة إلى كَرْكُورْ سيد المعطي. وهم من أولاد سعيد منهم والدة المؤلف.

4) قصر آيت البوهراوي يربط بين الساحة وشارع تامكنونت. وهم من أولاد سعيد.

5) قصر آيَتْ اَلفْضَالِي : وهو الموجود في الناحية الشمالية الشرقية. وهم من أولاد سعيد.

6) وحينما نخرج حيث توجد الْخَيْرية فإننا نكون في زنقة القائد صالح خامس القواد وهم بالتتابع : القائد إدريس والقائد بوزكري. والقايد المعطي. والقايد إدريس والقايد صالح. وكانوا يحكمون أيام السيبة. وهم من أولاد سعيد.

7) نخرج مع «الزنقة» في طريقنا إلى المدرسة المركزية للبنات فنكون حينئذ في زقة آيَتْ تيسليت. كان من أبرز سكانها موحى وقَدُّورْ. وهم من أولاد سعيد.

8) أما الزنقة المحادية للمدرسة المركزية للبنات والتي تؤدي إلى دار آيَتْ الباشا فكانت تسمى بزنقة آيَتْ المُودَّنْ حتى دار آيَتْ شْمِيشة. فتسمى حينئذ زنقة آيَتْ الباشا، وهي من دار آيَتْ شميشة إلى شارع أحمد الحنصالي. كان سكان آيَتْ المودن من أولاد سعيد بينما سكان زنقة الباشا من مَسِّيوة.

9) أما مقهى الساتيام بشارع الحنصالي ومكتبة طاسميت ومعمل النجارة كان كل ذلك معصرة للزيت خاصة بالباشا بوجمعة.

10) بعد معصرة الزيت في شارع الحنصالي توجد زنقة آيَتْ بنعدي رابطة بين شارع أحمد الحنصالي وشارع محمد الخامس وسكانها من مسيوة.

11) تقابلها من الجهة المقابلة من شارع الحنصالي زنقة القايد العسري من أعلام سكانها آيَتْ عائشة أحمد آيَتْ القايد العسري، وآيَتْ بابا جدي، وآيَتْ العربي بُوزَكْرِي. وكلهم من أولاد سعيد.

12) أما زنقة المسجد الكبير الرابطة بين الحنصالي وساحة القايد صالح فتسمى زنقة آيَتْ جابر البوهالي... وفي دارهم كان الحبس الخاص بالنساء هؤلاء أيضا من أولاد سعيد في هذه الزنقة الكبيرة توجد أزقة صغيرة وهي : زنقة آيَتْ لَزْكَارْ، ثم زنقة آيَتْ العَرُّوش وسكانهما معا من أولاد سعيد ثم زنقة آيَتْ مُودْجُوتْ وسكانها حنصاليون كانوا يَكُوُونَ «لَمْسَلْمَة» لافراد القبيلة.

13) زنقة الغديرة الحمراء : أكثر سكانها كانوا من اليهود، وكانت قبل ذلك عبارة عن غديرة تتجمع فيها المياه من تامكنونت، ومياه الدُّور المجاورة.. كما كان السمك فيها، فكانوا يصطادونه.

14) زنقة حَ أحمد بن الشرقي، وتسمى أيضا زنقة آيَتْ اعْلِي وُدَاود وسكانها من أولاد سعيد.

15) زنقة الكوشة هي التي تؤدي إلى المسجد الكبير من بابه الخلفي جهة شارع الحنصالي. سكانها من أولاد سعيد.

16) في مواجهة زنقة الكوشة توجد زنقة الحَطَّابة، وهي الواصلة بين شارع الحنصالي وشارع محمد الخامس. سكانها من أولاد سعيد.

17) زنقة الكَرْكُورْ كانت تسمى زنقة كَرْكُورْ سِيدْ ٱلْمَعْطِي سكانها من أولاد سعيد.

18) زنقة «ٱلْهَرْيَا» : «المتاجر»، كانت تسمى زنقة آيَتْ اضريوة سكانها من أولاد حمدان.

19) زنقة لَحْنَاجْرة وهي الرابطة بين ساحة المارشي وشارع محمد الخامس ومازال تحمل نفس الاسم سكانها من أولاد حمدان.

20) زنقة آيَتْ بَنْعلّى وهي المسماة اليوم زَنقة لَعْفُو. وتربط بين المارشي وشارع محمد الخامس. وقد سميت على إدْرِيسْ بَنْعَلّى. سكانها من أولاد حمدان.

21) زنقة بُوشَايَرْ ٱلْحَمْدَانِي وهي الجزء الاخير من شارع أحمد الحنصالي. أي من ساحة المارشي إلى سينما أطلس. سكانها من أولاد حمدان.

22) بعد ذلك زنقة حمادي سالم وهي الرابطة بين المارشي وشارع تامكّنونت. سكانها من أولاد حمدان.

23) بعد ذلك تأتي الزنقة التي تربط شارع تامكّنونت بزنقة حمادي سالم، وهي زنقة ولد اليازيد. سكانها من أولاد حمدان

24) أما زنقة «ٱلْقَصَبْ» فكانت تسمى بزنقة الكُودْري وَلْدْ رحمة الشَّوَّايْ. وأخ له اسمه زَوَّلْ. وهم من أولاد سعيد بأصل من بَني عمير.

25) زنقة سيدي بُو ٱلْقْنَادَلْ تربط بين شارع تامكّنونت وساحة العطارة. سكانها من أولاد حمدان.

أما حمام ولد البوهراوي حاليا بشارع تامكنونت فكان «جْنَانًا» خاصا بآيت التَّبَّاع مغروس فيه «كَرْمُوصْ النصارى» وإلى جانبه كانت المجزرة «ٱلْبَتْوَارْ»

26) حينما نَدُور مع الطريق نجد زنقة سيدي عَزُّوزْ، وسيدي بوجعفر، وهي التي أمامها صنبور الماء سكانها من امْغِيلة.

27) زنقة بوعبيد وَلْدْ سِّي ابْرَاهِيم، وهي الرابطة بين ساحة العطارة وشارع تامكنونت، وسكانها من امغيلة.

28) شارع المقاومة الرابط بين ساحة الحرية وشارع تامكنونت كانت تسمى زنقة آيَتْ سِّي عَلاَّلْ بن أحمد سكانها من امغيلة.

29) زنقة العَطَّارة الرابطة بين ساحة اَلْعَطَّارَة والمارشي كانت تسمى زنقة آيَتْ اَلْخَيْرَاوِي. سكانها من امغيلة.

30) القصر الابيض : في الجهة المواجهة للجبل من الزنقة الرابطة بين ساحة الحرية وساحة المطلكـ، وهو متصل بالمستوصف الحضري، ومن أهم سكانه آيت الزهواني، وآيت زَرْقَتْ لَعْلاَم.

هذه هي الاحياء والازقة القديمة وهي كما نرى منقسمة إلى أربعة أحياء :

1) حي أولاد سعيد وهو أكبرهم.

2) حي أولاد حمدان.

3) حي امغيلة.

4) حي مَسِيّوة وهم نفر قليل.

وكان للمدينة سور يحوطها من جميع الجهات. وله ثمانية أبواب : 4 لحي أولاد سعيد، واثنان لاولاد حمدان واثنان لحي امغيلة. وكانت هذه الابواب تغلق بعد آذان المغرب والعشاء على أبعد تقدير.

ولما تكاثر السكان اضطروا إلى بناء أحياء جديدة خارج السور. وهكذا ظهر حي الدْشِّيرة، وكان عبارة عن صف من المنازل وأزقته هي :

31) زنقة بُولَعْجُولْ سكانها من امغيلة.

32) زنقة محمد الصغير وَلْدْ حَدُّو مَدَانْ سكانها من امغيلة.

33) زنقة محمد آيت لعرابي. سكانها من امغيلة.

34) زنقة محمد ولد الشَّلْحَة. سكانها من امغيلة.

وقد ظهرت هذه الازقة من جهة حي لمغيلة إلى الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة. ناحية المستشفى المركزي حاليا.

وظهر حي آخر من جهة أولاد سعيد وهو حي بُوعْشُوشْ في الناحية الشرقية للمدينة في الطريق إلى عين أسردون. وأزقته آنذاك هي :

35) زنقة آيت حَدُّو العمَّاري. سكانها من أولاد سعيد.

36) زنقة آيت حَمُّو الطويل. سكانها من أولاد سعيد.

37) زنقة آيت شَرُّو. سكانها من أولاد سعيد.

38) زنقة محمد بن سي أحمد، سكانها من أولاد سعيد.

كانت الصومعة آنذاك مستقلة بذاتها وكان من أهم أزقتها :

39) زنقة آيت سي زروال رابطة بين الصومعة وبوعشوش سكانها من أهل الصومعة.

40) زنقة آيت سي حرمة، وراء سيدي عثمان وسيدي أحمد. سكانها من أهل الصومعة.

41) زنقة آيت العافية، تؤدي إلى سيدي أحمد. سكانها من أهل الصومعة.

42) زنقة آيت ارْويسَة، تؤدي إلى سيدي بويعقوب. سكانها من أهل الصومعة.

43) كانت هناك بالصومعة الزاوية الخاصة بسيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي للدراسة والاكل والمبيت.

44) الطريق الرابط بين دار الدباغة وزاوية سيدي أحمد كانت تسمى طريق بوطويل... وفيها كان يجتمع ويخيم زوار الزاوية.

حي الدوار المكبوب :

وإلى الناحية الغربية من المدينة ظهر حي آخر هو : الدُّوَّار المكبوب. بُني الدوار من النْوَايَلْ بالقَشِّ وكان في مقبرة المدينة حاليا وسمي كذلك لانه بني في مكان منحدر. ثم استُعْمِل مكانهم مقبرة فنزلواْ إلى جانب المقبرة في مكان أرضه مستوية. وسموا بعد ذلك ب «نوايل المخزن».

حي النوايل : (الصُّفِّيح)

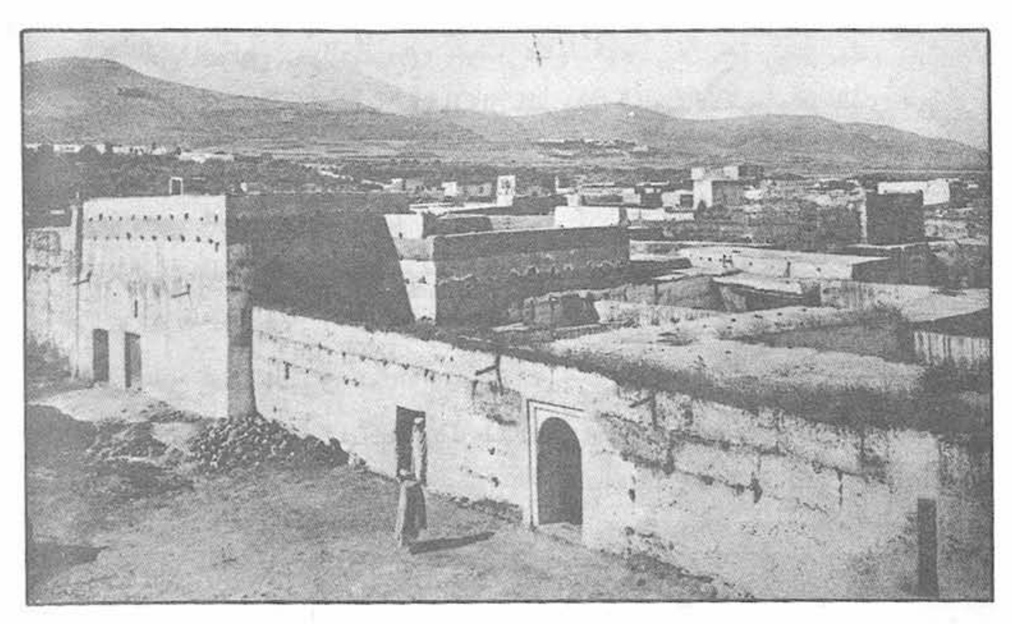
وكان تجمع سكاني آخر في المكان المعروف اليوم بالصّفيح وهو الذي بني فيه المسجد الجامع والمستوصف الحضري وغيره.

حي خريبڤة :

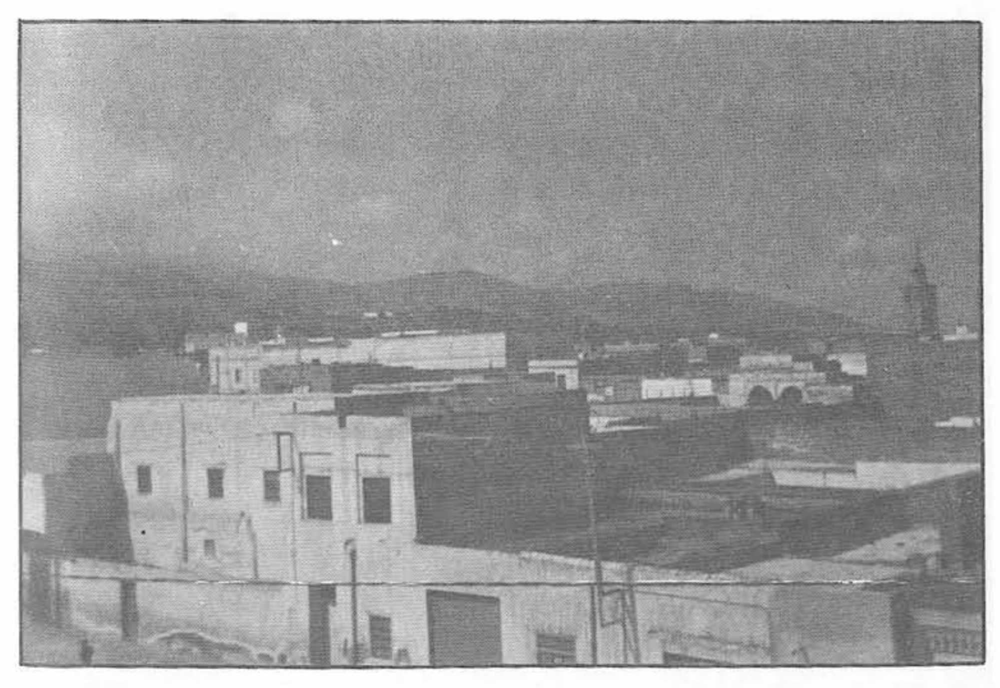
بني خارج السور من جهة أولاد سعيد في الجهة الجنوبية الشمالية وسكانه من أولاد سعيد. وقد أطلق مؤخرا على الحي اسم حي المرابطين.

حي تحت السوق :

بني خارج السور سكنه أولاد حمدان من جهة حي أولاد حمدان من الناحية الغربية الشمالية.



منظر لبني ملال من زنقة آيت الباشا في بداية أيام الحماية



نفس المنظر من زنقة آيت الباشا في شهر أبريل 1980 من تصوير المؤلف

أهم العائلات بالمدينة في القرن 19 *

والمقصود بأهم العائلات، هم العائلات التي كانت تتمتع بنفوذ وكلمة في التقرير بين أفراد العائلة والقبيلة و تستمد ذلك من شجاعة أفرادها، وثروتهم، وكرمهم، واستقامتهم، إلى غير ذلك مما كان يسود به الافراد في المجتمع القبلي العربي. وسأورد هذه العائلات بأسمائها القديمة التي كانت معروفة بها أنذاك وهي كالتالي:

1) آيَتْ القايد صالح من آيَتْ الراضي كان قائدا في الاستعمار من أولاد سعيد

2) آيَتْ العربي بَلْمُّودَّنْ من أولاد سعيد.

3) آيَتْ الحاج أحمد من أولاد سعيد.

4) آيَتْ بَابَاجَدِّي من أولاد سعيد عائلة المؤلف.

5) آيَتْ حمو التُّوبِيرْ من أولاد سعيد.

6) آيَتْ حَدُّو العَمَّارِي من أولاد سعيد.

7) آيَتْ صالح بَلْمَعْطِي من أولاد سعيد.

8) القائد صالح من آيَتْ الرَّكْرَاكِي كان قائدا في أيام السيبة.

9) آيَتْ القايد العسري من أولاد سعيد أصلهم من بني زمور.

10) آيَتْ بليزيد أصلهم من أولاد حمدان.

11) آيَتْ بًّا عْرِيبْ أصلهم من أولاد حمدان.

12) حمادي سالم من أولاد حمدان.

13) آيَتْ بَلْحِيمَرْ من حي امغيلة.

14) آيَتْ ٱلْقَلْعِي من امْغيلة.

15) بُوعْبِيدْ من آيَتْ سِّي ابراهيم من امْغيلة.

* عن والدي سنة 1970.

مدينة قصبة تادلة

عندما نسمع تادلة، فإن الكلمة تنصرف عموما إلى سهول تادلة بجميع ما يضمه من طبيعة وعمران، وعندما نقول قصبة تادلة، فإننا نعني بالخصوص مدينة قصبة تادلة المعروفة حاليا بهذا الاسم، لذلك شرح مولاي هاشم العلوي دلالة الكلمة فقال : «تختلف دلالة الكلمة «تادلة» فالاطلاق العام يعني اقليم تادلا... والاطلاق الخاص ينصرف إلى المدينة الرئيسية في هذه المنطقة، وهي قصبة تادلة الواقعة على الضفة اليمنى لوادي أم الربيع» (59).

ويظهر أن الاسم حملته من القصبة التي أنشأها مولاي اسماعيل على الضفة اليمنى لأمْ رْبيع، فسميت بقصبة تادلة بمعنى القصبة الموجودة بسهول تادلة، تميزها عن باقي القصبات التي أنشأها مولاي اسماعيل في ربوع المملكة في عصره، فسميت منذ ذلك الوقت بقصبة تادلة.

وأما انشاء المدينة فإن المصادر تتحدث عن إنشاء القصبة من طرف مولاي اسماعيل وجعلها مركزا عسكريا لحماية المنطقة والتدخل السريع في حل نزاعات القبائل، وجعلها مركزا للخليفة الرسمي للسلطان بالمنطقة، وفي ذلك يقول مولاي هاشم العلوي «قصبة تادلة... التي حولها مولاي اسماعيل إلى مركز حربي سنة 1687 م» (60). ويظهر من عبارة «حولها إلى مركز حربي» وكأنها كانت مدينة قائمة الذات ثم تحولت في عهد المولى اسماعيل إلى قاعدة حربية، ولكن الواقع قد يخالف ذلك، فالقصبة من انشاء مولاي اسماعيل ووضعها أساسا بغاية الحفاظ على الامن.

كما أن أهم دور قامت به هذه القصبة هو المحافظة على بقاء القنطرة الرابطة بين ضفتي نهر أمْ رْبيع عند قَدَم هذه القصبة، وهذا من أهم الغايات القصوى التي أُنْشِئَتْ من أجلها القصبة الحالية بتادلة، بل ولاختيار موقعها الموجودة به بالذات، إذ كانت أهم مهمة أنيطت بالحامية الموجودة بالقصبة حوالي الفي مخزني (2000) هي مهمة المحافظة على وجود القنطرة قائمة في مكانها، لان هذه القنطرة كانت تلعب دورًا بالغ الاهمية في الربط بين ضفتي أم ربيع وبالتالي الربط بين

---

(59) محقق التقاط الدرر ص : 37. هامش : 2.

(60) كتاب التقاط الدرر ص : هامش : 2.

عاصمة الشمال فاس وعاصمة الجنوب مراكش، وضمان الطريق التجارية والعسكرية مفتوحة على الدوام بين العاصمتين.

كما أن القنطرة تضمن تنقل أفراد الحامية والجيش الرسمي من جهة إلى الجهة الاخرى بطريقة سهلة وسريعة وخاصة ما يتعلق بالمعدات العسكرية المستجدة كالمدافع التي تجرها العربات وغيرها.

وفي ذلك يقول أحمد عسة «... وكما عني المولى اسماعيل برفع عدد جيشه، فقد عني بتجهيزه بالاسلحة الحديثة ؛ إذ وفر له المدافع والمهاريس والمنجنيق وأدوات الحصار (61)» ثم ينتقل أحمد عسة إلى ذكر المعاقل والحصون التي شيدها المولى اسماعيل ومهمتها قال : «ولم تكن مهمة الجيش في عهد اسماعيل قاصرة على الدفاع عن حوزة المملكة، وإنما كانت تناط به مهام الامن الداخلي كذلك. ولهذا أقام مولاي اسماعيل معاقل في كل النقاط الاستراتيجية داخل البلاد وعلى حدودها، وخصص لكل معقل منها حامية يتراوح عددها بين ثلاثة وأربعة آلاف جندي، وجعل قائد كل حامية مسؤولا عن أمن منطقته وسلامتها، في حين كان أمن المناطق وسلامتها أيام السعديين من مسؤوليات شيوخ القبائل، كل في حدود ديار قبيلته» (62).

وقد أشار إلى نفس المعلومات الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله حيث قال : «وقد أقام المولى اسماعيل بالنقط الاستراتيجية معاقل (قصابي) ترابط فيها حاميات يتراوح أفرادها بين 400 و 3000، وتمتد من تازة إلى وجدة ومن مكناس إلى فاس، ثم من هذين إلى مراكش وتافيلات ثم تارودانت، وتمدها القبائل بالمؤن وقد أحصى من هذه الحصون 76 في غربي البلاد، وشمالي الاطلس على الخصوص وكان القائد في كل قصبة هو المسؤول عن سلامة منطقة حراسته حيث يجب أن تسود الطمأنينة والهدوء» (63). ثم أشار في الهامش (64) إلى طريقة الحفاظ على الامن أيام السعديين فقال : «أحمد المنصور السعدي قد عمل قبل ذلك على تأمين الطرق فجعل كل شيخ ضامنا لما يضيع في إيالته وأكد العهود على رؤساء القبائل» (65).

---

(61) المعجزة المغربية ص : 90.
(62) المعجزة المغربية ص : 90.
(63) كتاب تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة ص : 10.
(64) الهامش رقم : 3. ص : 10.
(65) اعتمد في ذلك على كتاب : تاريخ الدولة السعدية ص : 66.

أما ما يتعلق بذكر قصبة تادلة فنورده عن محمد بن الطيب القادري حينما تحدث عن «اجتماع بربر ملوية على أحمد الدلائي» فقال «ووقعت حروب بينهم وبين عرب تادلا، فغلبوا عليهم وملكوا تلك البلاد وَحَوْزَهَا وأخذوا قصبتها، وأخرجوا المخازنية، وذلك يوم الاحد أو الاثنين، مهل جمادى الثانية (1088) هـ ثم وجه مولانا الخليفة اسماعيل الفين من المخازنية، وجمعوا عليهم عرب تادلا مع القبائل المجاورة» (66).

ومن النص السابق يتبين أن عدد أفراد الحامية العسكرية «المخزنية» التي كانت ترابط بالقصبة كان حوالي الفي جندي قد يزيدون وقد ينقصون قليلا حسب الظروف والاحداث.

والواقع أن مساحة القصبة العسكرية لاَ يمكن أن تتعدى بحال من الاحوال استيعاب الفي شخص من المواطنين بداخلها.

ولهذا لما ضاقت القصبة بساكنيها من أعضاء الجيش الرسمي الاسماعيلي، فإن الوافدين الجدد أصبحوا ينشئون بيوتا خارج القصبة، كما أن الظروف الاجتماعية لافراد الحامية العسكرية، أخذت تدفعهم إلى بناء بيوتات خاصة بهم خارج القصبة، وذلك في حالة زواج أحدهم او استقدام افراد عائلته للسكنى معه بجوار القصبة، وهكذا انشئت البيوتات الاولى لمدينة قصبة تادلة ابتداء من جهة الباب الشرقي للقصبة ومن هناك بدأت المدينة في التوسع، فأنشئت الساحة العامة المحاطة بالاقواس في كل جوانبها ثم امتد البناء إلى أماكن حظائر البهائم (الزرايب) وهو الحي المعروف اليوم بالزرايب. وبقيت المدينة على هذه الحال وفي هذا المستوى من البناء والتوسع إلى حين قدوم الاحتلال الفرنسي حيث أضاف منطقة أخرى من العمران، تعرف اليوم بالكانتيرات.

وقد تحدث أحمد بوكاري عن قصبة تادلة فقال : القصبة «ونعني بها قصبة تادلة الحالية التي لم تعرف بذلك وتشتهر إلا في العصر العلوي فأصبحت مقرا للوالي أو الخليفة السلطاني مثل الامير مولاي أحمد بن اسماعيل» (67).

بستيون تادلة

تطلق على منطقة بجوار سد قصبة تادلة لفظة بستيون، وعندما سألت عن

---

(66) نشر المثاني ج : 2 ص : 229.

(67) الزاوية الشرقاوية هـ : 50 ص : 54.

الشيء المسمى بالبستيون في تادلة، لم أجد الجواب الصحيح وإنما قيل بأنهم يسمعون ويعرفون بأن المنطقة بجانب السد تعرف باسم البستيون، لذلك أردت أن أوضح هنا معنى لفظة البستيون وعلى ماذا تطلق :

قال القادري «ففر «ابن الصغير» رئيس اللمطيين ليلا إلى بستيون باب الجيسة» (68) وقد فسر محقق (69) الكتاب لفظة البستيون بقوله : «هو البرج أو الحصن العسكري الذي ينشأ للدفاع عن المدينة وأهم أبراج مدينة فاس «بستيون باب الجيسة» واللفظة غير عربية الاصل ولعل أصلها». BASTIDE (70)

وتناول نفس الكلمة الاستاذ عبد الوهاب بن منصور فقال عن ابراج فاس «البرج الجنوبي المسمى بستيون باب فتوح، والبرج الشمالي المسمى بستيون باب الجيسة» (71).

ثم تناول الكلمة بالشرح فقال : «البستيون كلمة لاتينية معناها البرج والحصن، وهي مما دخل إلى العامية المغربية من اللغة الاسبانية وبفاس برجان أو بستيونان متقابلان يتحكمان في المدينة وضواحيها (72).

من خلال ما سبق يتضح أن التسمية المتداولة في قصبة تادلة عن أن البستيون هو السد، أو مكان السد، هو تفسير خاطيء والصواب هو أن إسم المكان جاء نسبة لاسم برج القصبة المطل على ناحية السد، ولذلك يمكن اطلاق كلمة البستيون ليس على جهة السد، ولكن على كل جهة فيها برج على القصبة.

منطقة الْمَرْسْ

إلى الجهة الشرقية الجنوبية للقصبة يوجد سهل منخفض يفصل بينه وبين القصبة نهر أم رْبيع يعرف هذا السهل بكلمة «المَرْس» وتعتبر منطقة المرس حاليا منطقة شعبية جدا تسكنها طبقة شعبية داخل أكواخ من الطين والقصدير، ولكن من أين اتت التسمية وما معنى لفظة المَرْس ؟

---

(68) التقاط الدرر.

(69) هاشم العلوي القاسمي.

(70) هامش : 7 من ص : 169 التقاط الدرر.

(71) هامش : 1 من ص : 258 من كتاب الاعلام ج : 2 للعباس بن ابراهيم.

(72) عبد الوهاب بن منصور محقق كتاب الاعلام ج : 3. ص : 214. هامش : 1.

وردت الكلمة في النص التالي لمحمد بن الطيب القادري قال : «...ونهبوا كثيرا من «مَرْس» متصل بروضة سيدي الحسن الدراوي وكثيرا من «مَرْس» آخر متصل بسيدي على بن حرزهم» (73) ويشرح لنا محقق (74) الكتاب معنى اصطلاح لفظة مَرْسٍ فيقول : «هو مجموعة من «المتامير» والحفر المبنية لخزن مؤونة الجيش الغذائية، وفي كل مدينة مغربية توجد هذه المخازن «الامراس» وتخضع لحراسة عسكرية مشددة، إلا أنها تعتبر داخلة في نطاق العتاد الحربي والتنظيم العسكري للجيش، وفي الغالب تقام هذه الامراس خارج أسوار المدن كما لا تقتصر المدينة على مَرْس واحد» (75).

يظهر مما سبق بأن منطقة المرس الحالية كانت منطقة لخزن ذخيرة الجيش بالقصبة سواء تعلق الامر بغذائه أو بعتاده الحربي وتوجد منطقة المرس في مكان واطيء في مرمى البصر القريب من القصبة يفصل بينهما نهر أم ربيع فقط. ومعلوم أن الماء المجتمع الان في البحيرة الصغيرة بين المرس والقصبة لم يكن انذاك لسبب عدم انشاء السد في ذلك الوقت، ومعنى ذلك أن الجنود وغيرهم يمكن لهم أن يقطعوا النهر من القصبة إلى المرس، ومن المرس إلى القصبة، بالاضافة إلى استخدام القنطرة التي أعدت أيضا لهذه الغاية.

قصبة الزَّيْدَانِيَة

بقي أن نشير إلى أنه إلى جوار قصبة تادلة على بعد حوالي 15 كلم توجد قصبة الزيدانية على الضفة اليسرى لنهر أمْ رْبيع، وأن الامير زيدان السعدي هو الذي بناها، وذلك قبل انشاء مولاي اسماعيل لقصبة تادلة الحالية وقد ذكرها أحمد المقَّرِي من بين ما كان يفتخر به من مفاخر الدولة السعدية فقال : «وكذا ولده الاسنى مولانا أبو المعالي زيدان أدام الله عزه، بنى مدينة عظيمة على وادي أم الربيع، وأضافها إلى اسمه، وهي من مفاخر هذا البيت النبوي» (76) وقد علق محقق الكتاب (77) على ذلك بقوله : «هي القصبة الزيدانية المعروفة بهذا الاسم إلى اليوم».

---

(73) التقاط الدرر ص : 347.

(74) مولاي هاشم العلوي.

(75) الهامش رقم 3 من المصدر السابق نقل عن ابن زيدان في كتابه العز والصولة 409/1.

(76) كتاب روضة الآس . ص : 62.

(77) محقق الكتاب : عبد الوهاب بن منصور.

مدينة تَفْزَة

من المدن العمرانية التي أشارت إليها المصادر التاريخية مدينة تفزة بإقليم تادلة، ويعتبر كتاب الحسن بن محمد الوزان الفاسي مصدرا رئيسيا بالنسبة لذكر هذه المدينة، والسبب هو وقوفه بها سنة 915 هـ على أحداث داخلية بين سكانها، ولكونها زارها في إطار مهمة رسمية أنيطت بالقائد العسكري الذي سماه «الزرانكي» وقد تناول هذه الاحداث بالتفصيل، سأوردها كاملة فيما بعد.

وغايتي من إيراد مدينة تفزة ضمن المعالم الحضرية للاقليم ينحصر في غايتين الاولى اثباتها تاريخيا ضمن المجموعة العمرانية التاريخية للاقليم وهذا الهدف يتحقق بذكر ما قاله الحسن الوزان عن هذه المدينة. والغاية الثانية محاولة تحقيق هوية هذه المدينة وتعريفها باسم معروف لاحدى المعالم الحضرية أو القروية المعروفة اليوم، وقد سعى الاستاذ أحمد بُوكاري في كتابه الزاوية الشرقاوية إلى تعريف مدينة تفزة باسم مدينة قصبة تادلة الحالية ومَوْضَعَها في خريطته التي رسمها لمنطقة تادلة حتى القرن العاشر 10 هـ 16 م في مكان تَمَوْضُعِ قصبة تادلة الحالية، وسماها تفزة/قصبة تادلة قرب سيدي أحمد بلقاسم الجابري الرتمي والد سيدي امحمد الشرقي.

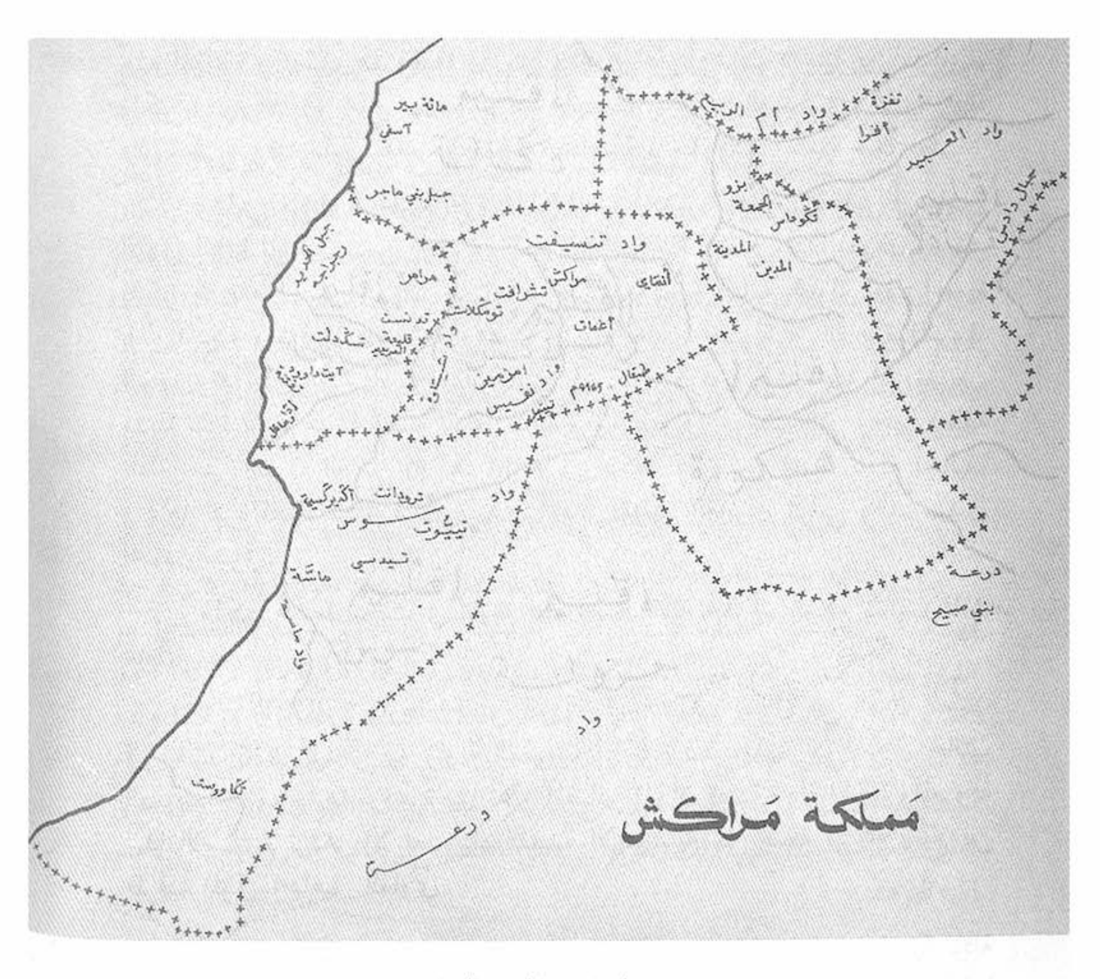
ولكن عندما نبحث في تاريخ بناء قصبة تادلة نجد أن الواقع يخالف ذلك تماما.

1 – لان تفزة زارها الحسن الوزان في النصف الاول من القرن العاشر في وقت كانت تزدهر فيه زاوية الصومعة – كما تزدهر مدينة بني ملال بجانب الصومعة – ووجدها مزدهرة بينما تشير المصادر إلى أن قصبة تادلة الحالية والمعروفة بهذا الاسم لم تزدهر إلا بعد بناء القصبة الاسماعيلية على ضفة نهر أم ربيع من طرف المولى اسماعيل العلوي.

2 – ويؤكد ما نذهب إليه من أن تفزة لا تعني اطلاقا مدينة قصبة تادلة الحالية، ان الحسن الوزان عندما رسمها في كتابه وَصْف افريقيا لم يصور مكانها بجانب نهر أم ربيع، وإنما وضعها على ضفة وادي درنة.*

---

* انظر خريطة محمد بن الحسن الوزان.



خريطة محمد الحسن الوزان

3 – يؤكد ذلك أيضا، أن الحسن الوزان أثناء الحديث عن حصار القائد (الزرانكي) للمدينة لم يتحدث اطلاقا عن نهر أم ربيع أو وجوده كحاجز طبيعي بجانب مدينة قصبة تادلة الحالية، الشيء الذي يؤكد أن تفزة المتحدث عنها ليست هي قصبة تادلة اليوم.

4 – عند تحليلنا للواقع والاشارات الواردة ضمن النص الذي تحدث فيه الحسن الوزان عن تفزة، نستنتج عدة استنتاجات تذهب بنا إلى أن تفزة هي قصبة تادلة القديمة (بني ملال) وربما قد تكون هي تاگزيرت.

5 – يقول الحسن الوزان «تفزة هي حاضرة تادلة، بناها الافارقة في منحدر الاطلس على بعد نحو خمسة أميال من السهل» (78) هذا الموقع الذي حدده الحسن الوزان لمدينة تفزة ينطبق على (داي/قصبة بلكوش/قصبة تادلة سابقا/بني ملال) أكثر مما ينطبق على مدينة قصبة تادلة حاليا هذه الاخيرة تقع وسط السهول وليس عند منحدر الأطلس على بعد خمسة أميال من السهل. كما أنه في هذا التحديد الجغرافي، لو كانت قصبة تادلة الحالية هي المقصودة بتفزة لأشار لا محالة إلى وجودها على ضفة نهر أم ربيع، نظرا لشهرة هذا النهر في كل الأوساط المغربية، ولقطعه مسافة طويلة تمر على عدة مناطق والعديد من القبائل المغربية.

6 - يُعَرِّفُها الحسن الوزان قائلا : «لها سور مبني من الحجر الكلسي المدعو عند أهل البلد بتفزة، ومن ثَمَّ جاءت تسمية المدينة»(79).

المعروف أن قصبة تادلة الحالية لم تعرف سورا يحيط بها باستثناء القصبة الاسماعيلية التي أنشأها المولى اسماعيل وأحاطها بسور عال جدا كما أن المعروف أن بني ملال كان يحوطها سور مبني بنوع من الحجر الكلسي، وهو تراب أحمر يختلط بالحجر الصغير من نفس التربة، ويبنى بطريقة الصندوق المعروفة (باللَّوْح) وتكون بوضع لوح خشبي طوله متران وعرضه أزيد من المتر بقليل، على جانب، يقابله في الجانب الآخر، لوح آخر بحيث يبقى الفراغ بينهما حوالي أربعين سنتيمترا، ويشد اللوح إلى الآخر بواسطة أعمدة وحبال، ثم يبدأ أحد العمال

(78) وصف افريقيا ج : 1. ص : 139.
(79) وصف افريقيا ج : 1. ص : 139.

بصب التراب والحجر الصغير داخلها، ويقوم الاخر بدك هذا التراب بعصى تحمل رأسًا غليظة في أسفلها يكون قطرها حوالي 30 سنتمترا، وهكذا إلى أن يصل التراب المدكوك إلى أعلى اللوح. فيقوم العمال باستبدال مكان اللوح إلى الامام أو إلى الفوق.

7 – يستمر الوزان في وصف تفزة قائلا «سكان تفزة كثيرون أثرياء وفيها نحو مائتي دار لليهود، كلهم تجار أو صناع» (80).

المعروف حاليا أن اليهود لم يستوطنوا القصبة الاسماعيلية، وإنما سكنوا في زقاق بجانبها، وهذا الزقاق لا يستوعب 60 دارا لليهود، فكيف بمائتي دار ؟!

وربما هؤلاء اليهود الذين استوطنوا هذا الزقاق سكنوه بعد ازدهار القصبة الاسماعيلية لاغراض التجارة والصناعة إذ المعروف عن بعض الصناعات أنها كانت من آختصاص الصناع اليهود فقط.

أما في بني ملال فقد كان اليهود يسكنون في الجزء الاكبر من الحي المعروف بالقصبة الكبيرة، ويحيط بهم سور ولهم بابهم الخاص يغلقونه دونهم ويعرف حيهم بالملاح. وهو يضم ما يقرب من المائتي دار خاصة بهم.

8 – بخصوص المصنوعات التي كانت تباع بتفزة هي نفس المصنوعات التي كانت تباع بمدينة بني ملال. يقول الوزان «ويباع بتفزة على الخصوص أدوات مصنوعة بفاس، كالاقمشة والسكاكين والابر وأدوات الخياطة» (81).

9 – ويصف الوزان تفزة بأنها كانت تضم مجموعة من المساجد والقضاة والائمة الشيء الذي ينسجم مع معطيات مدينة بني ملال. بينما القصبة الاسماعيلية لا تضم سوى مسجدين، يقول الوزان : «وفي المدينة عدد وافر من المساجد والأئمة والقضاة».

10 – ومن الادلة على أن المقصود من تفزة هي بني ملال قول الوزان بمجاورتها لبني جابر الذين يهبون لنجدتهم للعلاقة القبلية القائمة بينهم في إطار القبيلة الكبرى جشم، وفي ذلك يقول الوزان : «بعد أن حشد هذا القائد جيشه أخذ يهاجم تفزة لانه وجد الفريق المعادي قد تحصن في المدينة، واستغاث بجيرانه

---

(80) وصف افريقيا ج : 1. ص : 139.
(81) وصف افريقيا ج : 1. ص : 139.

من أعراب بني جابر، وهم نحو خمسة آلاف فارس» (82). «وبنو جابر بطن من جشم الهلاليين موطنهم بسفح جبل تادلة ومنهم ورديغة» (83).

11 – هناك إشارات أخرى داخل النص تشير إلى قوة مركز القضاء بالمدينة حيث طلب القائد الزرانكي الاحتكام إلى القضاة، كما أن هناك استنتاجا بارتفاع نسبة الوعي القضائي والاجتماعي، ويظهر ذلك من خلال المرافعات التي ترافعها الخصوم في مجلس القضاء. وإشارة أخرى إلى غنى أهل المدينة وجمعٍ مبلغ بَاهِظ من الاموال في شكل حلي وأساور وهي عملية شبيهة بحكاية جمع (تَلّيسْ) من العملة الحسنية وحلي النساء لافتداء ماء عين أسردون.

12 – تصريح آخر صرح به الوزان في وصف مدينة (أفزا) القريبة من تفزة قال : «يمر بين أفزا وتفزة نهر يدعى درنة ينبع من الاطلس ويمر بين تلال قبل أن يسيل في السهل إلى أن يصب في نهر أم الربيع» وتصريح الوزان واضح بحيث يظهر بجلاء أن تفزة وأفزا تَقَعَانِ بين التلال وأن نهر درنة يسيل بينهما قبل أن يصل إلى السهل حيث يوجد نهر أم ربيع الذي توجد إلى ضفته اليمنى مدينة قصبة تادلة حاليا.

والآن بعد استعراض هذه الادلة التي تؤكد كلها على أن تفزة ليست هي قصبة تادلة الحالية، يبقى مشكل تحديد المدينة المقصودة بهذا الاسم (تفزة) وصعوبة التحديد تأتي من المكان الذي حدده الوزان لهذه المدينة على خريطته، إذ جعل تفزة على الضفة اليمنى لوادي درنة أي من الناحية الشرقية، وجعل أفزا في الناحية الغربية أي في الضفة اليسرى لوادي درنة، وهذا ما يطرح احتمال اعتبار تاكزيرت هي المقصودة بتفزة. ورغم أن الوزان يخطىء في تحديد المسافات بدقة كما أنه قد يخطىء حتى في بعض الاشياء المعروفة جدا، كمجرى نهر أم ربيع حيث علق عليه محققا كتابه (84) بقولهما : «يبدو أن الامر اختلط على المؤلف هنا، فمنبع نهر أم الربيع يقع في الاطلس المتوسط بالقرب من عين اللوح بين خنيفرة وآزرو» (85).

---

(82) وصف افريقيا ج : 1. ص : 139.
(83) عبد العزيز بن عبد الله معلمة المدن والقبائل ملحق 2 ص : 107.
(84) وصف افريقيا السيدان : محمد حجي. ومحمد الأخضر.
(85) وصف افريقيا ج : 1. ص : 146. هامش : 98.

كما أن هناك تعليقا على مدينة أفزا يقول : «يدعو مارمول هذه المدينة (تبزة) ويقول إنها في عصره (1543)م عانت كثيرا من ويلات الحرب، ويفترض وجودها في موقع تغزيت عند خروج نهر درنة إلى السهل»(86) والمقصود بتغزيت هي قرية تاگزيرت المعروفة اليوم عند خروج نهر درنة إلى السهل بين التلال.

وافتراض مارمول بأن أفزا (تبزة) هي تاكزيرت يؤكد الزعم الذي نزعم فيه أن تفزة هي بني ملال الحالية، وهي المدينة القديمة التي كانت تسمى في المنطقة بقصبة تادلة.

بقي في الاخير أن أشير إلى أن الزيارة التي قام بها الحسن بن محمد الوزان الفاسي في إطار البعثة الملكية إلى اقليم تادلة تحت قيادة القائد الزرانكي كانت في الفترة المتأخرة للوطاسيين بالمنطقة وبالضبط في أيام سلطنة السلطان المريني أبي عبد الله الوطاسي أمير فاس المعروف بالبرتغالي.

كما أن السنة التي دارت فيها الاحداث التي ذكرها الحسن الوزان بمنطقة تادلة كانت تشهد تحركات نشوء وقيام الدولة السعدية في جنوب المغرب يقول الناصري «ذكر ابن القاضي في الجذوة : أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة... وبويع ابنه محمد البرتقالي في التاريخ المتقدم... وكان السلطان محمد هذا قد عني بجهادهم (الاسبان) وترديد الغزو إليهم والاجلاب عليهم، حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها فكان ذلك سببا لظهور الدولة السعدية بها سنة خمس وعشرة وتسعمائة 915 هـ» (87).

وقال في مكان آخر : «لما كان السلطان أبو عبد الله الوطاسي يعني البرتقالي، أميرا بفاس، ظهر في درعة رجل شريف يدعى أبا عبد الله محمدا القائم بأمر الله» (88).

ولم يبق الآن إلا أن أترك النص يتكلم وهو ما كتبه الحسن الوزان في وصف افريقيا عن زيارته لمدينة تفزة باقليم تادلة سنة 915 هـ.:

---

(86) وصف افريقيا ج : 1. ص : 144 هامش : 95.

(87) الاستقصا ج : 4. ص : 140.

(88) الاستقصا ج : 5. ص : 8.

تفزة، حاضرة تادلا (*)

تفزة هي حاضرة تادلا، بناها الافارقة في منحدر الاطلس على بعد نحو خمسة أميال من السهل، ولها سور مبني من الحجر الكلسي المدعو عند أهل البلد بتفزة، ومن ثم جاءت تسمية المدينة.

سكان تفزة كثيرون أثرياء، وفيها نحو مائتي دار لليهود، كلهم تجار أو صناع، يقصد تفزة عدد وافر من التجار الغرباء ليشتروا منها بعض المعاطف السود التي تنسج قطعة واحدة بغطاء الرأس، ويسمى هذا اللباس البرنس، يباع عدد منه في إيطاليا واسبانيا حيث يوجد بكثرة، ويباع بتفزة على الخصوص أدوات مصنوعة بفاس، كالاقمشة والسكاكين والسيوف والسروج والشكائم (اللجم) والقلنسوات والابر و أدوات الخياطة. فإذا أراد التجار بيع هذه الاشياء عن طريق المبادلة، سهل عليهم ذلك لان لاهل البلاد بضائع محلية مختلفة، كالرقيق والخيل والفُرَانِس (89) والفيلة والجلد والقرطبي إلخ، وإذا أرادوا بيعها نقدا كان عليهم أن يخفضوا الثمن (90) كثيرا، وتؤدى لهم القيمة حينئذ ذهبا بقطع شبيهة بالمثاقيل لكنها غير مسكوكة ولا تروج نقود الفضة في هذه الناحية.

يرتدي رجال تفزة لباسا حسنا، وكذلك نساؤهم، وهن جميعا ظريفات وفي المدينة عدد وافر من المساجد والائمة والقضاة.

وكانت تفزة في القديم تحكم على شكل جمهورية، وبعد ذلك حدثت فيها خلافات وانقسامات وراح الناس يقتتلون فيما بينهم حتى أنه في أيام شبابي قدم رؤساء فريق منهم وطلبوا من الملك التفضل بمساعدتهم على العودة إلى مدينتهم، وفي مقابل ذلك تكفلوا له بالعمل على نشر نفوذه هنالك اهتبل الملك تلك الفرصة وأصحبهم ألفي فارس خفيف وسبعمائة من رماة البنادق المختلفة، كلهم راكبون على الخيل، وكتب فضلا عن ذلك إلى أعراب من رعاياه يقال لهم زعير يستطيعون تهييء أربعة ألاف فارس، يأمرهم بمساندة رؤساء هذا الفريق متى احتاجوا إليهم، وعين الملك قائدا لهذه الحملة فارسا مغوارا يدعى الزرانكي.

---

(89) الفرانس : بضم الفاء : ج فرانسة : الأسد الغليظ الرقبة ـــ المنجد في اللغة ـــ مادة : فرس.

(90) أن يخفضوا الثمن كثيرا : أي أن يُنْزلوا الثمن إلى أقل.

(*) محمد الحسن الوزان : وصف افريقيا.

بعد أن حشد هذا القائد جيشه أخذ يهاجم تفزة، لانه وجد الفريق المعادي قد تحصن في المدينة، واستغاث بجيرانه من أعراب بني جابر، وهم نحو خمسة الاف فارس، ولما رأى القائد ذلك ترك في الحال حصار المدينة وأخذ يحارب الاعراب، فهزمهم جميعا بعد ثلاثة أيام وبقي سيد المعركة، وحينما راى أهل تفزة ألاّ أمل لهم في مساعدة خارجية بادروا بإرسال مفاوضين لاقتراح السلم، ووعدوا بأن يعوضوا الملك مصاريف الحملة ويؤدوا له زيادة على ذلك عشرة الاف مثقال كل سنة، وقبلوا أن يعود الفريق الذي غادر المدينة إليها شريطة ألا يتدخلوا في أي نشاط إداري أو أية مصلحة.

أعلم القائد من كانوا معه في الخارج بفحوى المفاوضات فأجابوا : «نحن نعرف ياسيدي قيمة الفرصة التي أتيحت لنا، أدخلنا إلى المدينة ونحن نتعهد لك بدفع مائة ألف مثقال على الفور، وحتى أكثر من ذلك وسوف لا نرتكب أي تعسف ولا نهب أي منزل وإنما سنلزم خصومنا بأداء مداخيل ممتلكاتنا التي استغلوها خلال ثلاث سنوات، والتي نريد أن ندفعها لك تعويضًا عن كل النفقات التي بذلت لصالحنا، وتبلغ هذه المداخيل ثلاثين ألف اوقية على الاقل. ثم اننا سنمكنك من محصول المدينة الذي يبلغ نحو عشرين ألف مثقال، وبعد ذلك نستخلص من اليهود جزية سنة أو سنتين إلى حدود عشرة الاف مثقال».

ما كاد القائد يسمع بهذه المقترحات حتى أرسل إلى أهل المدينة يقول لهم : «لقد وعد الملك النبلاء المنفيين بأن يساعدهم بكل ما يمكن، لذلك فهو يفضل أن يكون حكم المدينة بأيديهم لا بأيديكم على أي حال غير أنني أعلمكم أنكم إذا أردتم عدم تسليم مدينتكم إلى الملك فإن له من الوسائل ما يكفي لارغامكم على أداء كل ما يجب اداؤه.»

لما اعلن هذا الخبر حدث شقاق في صفوف السكان، منهم من أراد الخضوع للملك، ومنهم من أراد الحرب حتى أنهم شهروا السلاح ليقاتل بعضهم بعضا. جاء الجواسيس إلى القائد يخبرونه بما حدث، فعبأ على الفور نصف جيشه وأمر رماة البنادق المختلفة بمهاجمة المدينة، ودخلها بعد ثلاث ساعات دون إراقة قطرة دم من رجاله. ذلك أن الجماعة التي اختارت الخضوع للملك تجمعت وقصدت أحد أبواب المدينة الذي كان مسدودا بجدار من الطين، وأخذت تحطمه من الداخل في حين كان القائد يفعل مثل ذلك من الخارج، لانه لم يكن أحد فوق الاسوار يمنعهم من ذلك، ولأن الناس في داخل المدينة كانوا يواصلون القتال إلى أن فتح الباب ولما دخل القائد إلى المدينة رفع راية الملك على السور في وسط

الساحة، وأرسل فرسانه يقومون بدورية حول المدينة ليمنعوا من أراد الفرار منها، ونشر في الحين قرارا باسم ملك فاس يمنع تحت طائلة الاعدام أي واحد مهما كان مدنيا أو عسكريا من ارتكاب أية عملية نهب أو قتل، فعاد الهدوء فورا إلى المدينة، وسقط جميع رؤساء الفريق المعادي في الاسر، أخبر القائد هؤلاء الرؤساء أنهم سيبقون في الأسر إلى أن يتم تعويض الملك عن جميع ما أنفقه طوال شهر على هذه الفرقة من الفرسان، وتبلغ النفقة اثنى عشر الف مثقال، دفع نساء الاسرى واقاربهم هذا المبلغ وكاد يطلق سراحهم، فإذا رجال الفريق الموالي للملك يأتون للمطالبة بتعويضهم عن مداخيل املاكهم مدة ثلاث سنوات. أجابهم القائد أنه لادخل له في هذه المسألة وأن عليهم أن يعرضوا خلافهم على الفقهاء ليثبتوا حقهم، غير أنه من الممكن أن يحتفظ بخصومهم في السجن تلك الليلة، وقال الاسرى للقائد هل تخلف وعدك ياسيدي ؟ فقد وعدتنا أن تطلق سراحنا بعد أن نعوض الملك ! فأجابهم القائد : أني لا أخلف وعدي، فلست أحتفظ بكم الان في السجن لحساب الملك، ولكن لحساب من يطالبونكم بأموالهم، وسنتصرف حسب ما يقضي به القضاة والفقهاء وربما كان ذلك في صالحكم.

اجتمع صبيحة اليوم التالي مجلس الفقهاء والقضاة بمحضر القائد وتناول المدافعون عن السجناء الكلام فقالوا : أيها السادة، لقد احتفظ أقرباؤنا بأموال خصومهم حقا، ولكن ذلك وقع بسبب أن أجداد هؤلاء الخصوم احتفظوا بأموال أجداد سجنائنا مدة تزيد على عشرين سنة، فأجاب ممثل الفريق الخصم : أيها السادة لقد مر أكثر من مائة وخمسين سنة على الاحداث التي أشاروا إليها، ولم تبق في شأنها شهادة ولا بينة، وعقب على ذلك ممثل السجناء بقوله : الحجة ممكنة أيها السادة، لان القضية معلومة لكافة الناس، فأجاب الاخر : لا يمكن اعتبار الشهرة العامة حجة، فمن يعرف مدّة الزمن الذي احتفظ فيه أجداد الذين أمثلهم بالاموال المذكورة ؟ وربما كان لذلك التصرف ما يبرره، إذ يقال ويشتهر أيضا أن أجداد السجناء ثاروا ضد ملك فاس، وأن تلك الأموال كانت تخص الخزينة الملكية.

تظاهر القائد حينئذ بالشفقة على السجناء خدعة وقال لوكيل خصومهم لا ترهقوا هؤلاء السجناء المساكين ! فأجابه : قد يبدو لكم أنهم مساكين ياسيدي القائد، ولكن لا يوجد من بين هؤلاء المساكين من لا يستطيع أن يجد خمسين الف مثقال وعندما تزاح عنهم الاغلال سترونهم يطاردونكم، لقد أخذتموهم على حين غرة لذلك لم تجدوا عندهم نقودًا، ولما سمع القائد هذا الكلام أخذه الجزع

فجأة وفض المجلس متظاهرا بالرغبة في تناول وجبة الغذَاء وأمر بإحضار السجناء أمامه وقال لهم : أريد أن ترضوا خصومكم، وإلا أرسلتكم إلى فاس حيث ستلزمون بأداء ضعف ذلك. عند ذلك أرسل الاسرى في طلب نسائهم وأمهاتهم وقالوا لهن : حاولن أن تتخلصن من هذه الورطة، فقد زعموا أننا في غاية الغنى وليس لنا ثمن ما اخبروا به القائد، وهكذا لم تمض ثمانية أيام حتى حمل لخصوم الاسرى بمحضر القائد ثمانية وعشرون ألف مثقال على شكل خواتم وأساور وغيرها من حلي النساء لان النساء أردن أن يظهرن خدعة أنهن لا يملكن غير ذلك. ولما تم الاداء قال القائد للسجناء : «أيها النبلاء لقد كتبت إلى الملك في هذه المسألة وآسف لاني كتبت، إذ لا استطيع إطلاق سراحكم قبل أن يأتيني جوابه، وسوف تحررون على أي حال لانكم سددتم ما وجب عليكم للجميع، فاصبروا إذن على ما أصابكم».

استدعى القائد مستشاريه تلك الليلة وقال لهم : كيف يمكننا أن نستخلص مالا آخر من هؤلاء الخونة دون ان يتهمنا السكان بالخداع واخلاف الوعد ؟ فدبر كاتب هذه السطور مكيدة وقال : سيدي القائد ! تظاهر غداة غد بأنك تلقيت رسالة من الملك يأمرك بقطع رؤوس هؤلاء القوم وتظاهر في نفس الوقت بالشفقة عليهم، وعدم الرغبة في ارتكاب حماقة قتلهم وقل بأنه يبدو لك من الافضل والحالة هذه أن ترسلهم إلى فاس !

وكتبنا في الصباح رسالة زعمنا أنها بخط الملك، وأمر القائد بإحضار جميع السجناء، وعددهم اثنان وأربعون رجلا، وقال لهم مبديا تأثرا عميقا : أيها السادة النبلاء ! وصلني خطاب الملك حاملا خبرا سيئا أرى أن جنابه لايعرف حقيقة ما قمتم به ويعتبركم ثوارا ضد التاج، وهذا هو السبب الذي من أجله أمرني بأن أضرب اعناقكم، وإنني لآسف على ذلك، لان الجميع سيظن أنني أخلفت وعدي، لكنني لست سوى خادم ولا يَسَعُني إلا أن أَمْتَثِل لما أُمِرْتُ به.

أخذ البؤساء يبكون ويطلبون العفو من القائد فتظاهر هو أيضا بالبكاء وقال لهم : لا أرى أفضل لكم ولي لأتخلص من جميع المسؤوليات المتعلقة بأعمالكم من ارسالكم إلى فاس، فقد يعفو عنكم الملك أو يرى رأيه فيكم وسأرسلكم بعد حين مع مائة فارس».

زاد حينئذ انتحاب الأسرى وتضرعهم إلى الله والقائد، وإذاك تقدم شخص ثالث إلى القائد وقال له : «مولاي إن صاحب الجلالة الملك أوفدك هنا نيابة

عنه بحيث يمكنك القيام بما تراه أنسب فتريث قليلا لترى ما هي امكانيات هؤلاء النبلاء. وهل يستطيعون أن يدفعوا شيئا من المال لانقاد أرواحهم، ثم أخبر الملك بأنك وعدتهم ألا تقتص منهم وتوسل إلى جلالته أن يعفو عنهم كرامة لمنزلتك عنده، فربما مَالَ الملك لصالح المال».

أخذ السجناء التعساء يتوسلون إلى القائد أن يعمل بهذه النصيحة ويقولون إنهم سيدفعون عن طيب خاطر إلى الملك ما يشاء ويزيدون على ذلك هدايا عظيمة للقائد، تظاهر هذا الاخير بأنَّهُ قبل ذلك عن كره ثم فاجأهم بقوله : ماذا يمكنكم أن تدفعوا إلى الملك ؟ فقال أحدهم ألف مثقال، وقال آخر خمسمائة، وثالث : ثمانمائة، فأجاب القائد بأنه لا يريد أن يكتب إلى الملك مثل هذه المبالغ الضئيلة، ومن الافضل أن تذهبوا إلى فاس فربما قبل الملك اقتراحاتكم ! تضرعوا إلى القائد مازالوا يستعطفونه إلى أن قال لهم : انتم اثنان وأربعون نبيلا في غاية الثروة، فإذا قبلتم أن تؤدوا الفي مثقال عن كل فرد كتبت بذلك إلى الملك ورجوت خلاصكم وإلا أرسلتكم إلى فاس ! قبل السجناء عن طيب خاطر أن يجمعوا المبلغ كاملا شريطة أن يشارك كل واحد بحسب مقدرته فأجابهم القائد : «افعلوا ما شئتم» وطلبوا مهلة خمسة عشر يوما وتظاهر القائد بالكتابة إلى الملك من جديد. وبعد مرور اثني عشر يوما صرح القائد بأن الملك عطف عليه وقبل الصفح عنهم وأطلعهم على خطاب مزوَّر. وفي الايام الثلاثة التالية حمل أهل السجناء المبلغ ذهبا وقدره أربعة وثمانون ألف مثقال، فأمر القائد بوزن هذا الذهب، وعجب كثيرون من وجود مثل ذلك العدد في مدينة صغيرة كهذه عند اثنين وأربعين شخصا. وأطلق سراح السجناء في الحال، وكتب إلى الملك بتفاصيل كل ما جرى طالبا منه أن يأمره بما عليه أن يفعل.

بعث الملك في الحين اثنين من كتابه مع فارس لاستلام هذا المبلغ فحازاه ورجعا توا إلى فاس، وبعد ذلك قدم النبلاء المذكورون إلى القائد هدية قدرها نحو ألفي مثقال خيلا وعبيدا ومسكا، معتذرين بأنهم لم يبق لديهم مال نقدا، شاكرين إياه جزيل الشكر على أن أنقذ حياتهم.

وهكذا بقيت هذه الناحية خاضعة لملك فاس، تحت حكم القائد الزرانكي الذي سيقتله الاعراب بعد ذلك غدرا، ويحصل ملك فاس من هذه الناحية على خراج سنوي يبلغ عشرين ألف مثقال.

لقد اسهبت قليلا في هذه القصة الطويلة لانها وقعت بمحضري وشاركت

فيها، ولانني ربحت فيها أيضا دريهمات بما دبرت من حيلة، ورأيت فيها لاول مرة مثل ذلك المبلغ من الذهب، واعلم أن ملك فاس لم يَرَ قَطُّ مثل هذا المبلغ، لان هذا الملك المسكين الذي يجبى إليه كل عام نحو ثلاثمائة الف مثقال لم تتوفر لديه قط في الخزينة مائة الف ولا كانت أيضا لابيه.

وترون من خلال هذه الحكاية أية خدعة وأية مناورة يلجؤون إليها لابتزاز الاموال، وكان هذا الحادث عام 915 هـ. وأغرب من هذا حالة شخص آخر يهودي أدى وحده من المال أكثر مما أداه النبلاء مجتمعين لانه أُعْلِنَ عن استغراق ذمته، وكان ذلك سببا في الحكم على اليهود شرعا بغرامة تبلغ خمسين الف مثقال لانهم حابوا الفريق المناويء للملك. وكنت مع الامين المنتدب حينما استلم هذه الغرامة.»

تاكزيرت

قرية تقع اليوم على بعد 20 كلم من بني ملال في سفح الاطلس المتوسط بين بعض التلال، وينبع منها وادي درنة.

وقد ذكرت الكتب هذه القرية مشيرة إلى إمكانية توفرها على تاريخ خاص بها، كما أنه يفهم من الاشارات الواردة عنها بأنها عرفت مرحلة ازدهار مهمة في تاريخها لذلك حرصت على ذكر ما عثرت عليه في شأنها على الاقل ليكون نواة لبحث يمكن أن يهتم بها لاستخراج ملامحها القديمة.

ذكرها البيذق باسم تاكزورارت، ورَجَّحَ محقق (91) كتاب البيدق أنها مدينة قصبة تادلة الحالية، غير أن أحمد التوفيق انتبه إلى أنها تاكزيرت وليست قصبة تادلة الحالية، قال أحمد التوفيق محقق كتاب التشوف «كانت بمنطقة تادلا عدة مراكز عمرانية ذكرت في بعضها مساجد هي داي وتاكرارت وتاكزورارت التي ذكرها البيذق (92). وَرَجَّحَ أن تكون هي قصبة تادلا الحالية، ونُرَجِّحُ أنها تاكزيرت» (93).

وقد أورد الحسن بن محمد الوزان في كتابه «وصف افريقيا» (94) وصفا لتاكزيرت، وسماها أفزا «مدينة في تادلا» ووصفها بأنها مدينة صغيرة تضم حوالي 500 أسرة، مختلطة بين المسلمين واليهود، ووصفها بالمهارة في صنع البرانس «السلاهم» الصوفية، ووصف الحدائق، والبساتين الموجودة فيها على ضفتي وادي درنة، غير أنه وصف أهلها بالتماطل في تسليم السلع، ولعل ذلك راجع إلى كثرة الطلب على منتجاتهم. ووصفهم بالمسالمة والاذعان للسلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي.

وقد أورد محققا (95) كتاب وصف افريقيا إشارة في الهامش (96) تقول :

---

(91) بروفنسال.

(92) ص : 130 من طبعة بروفنسال.

(93) الهامش 631 من كتاب التشوف ص : 254 من تحقيق أحمد التوفيق.

(94) الجزء الاول.

(95) محمد حجي ومحمد الاخضر.

(96) رقم : 95.

«يدعو مارمول هذه المدينة (تبزة)، ويقول إنها في عصره 1543م عانت كثيرا من ويلات الحرب، ويفترض وجودها في موقع تغزيت عند خروج نهر درنة إلى السهل».

أما الحسن الوزان فقد وصفها بما يلي : «أفزا* مدينة صغيرة على بعد نحو ميلين من تفزا، تشتمل على قرابة خمسمائة كانون وقد بنيت على تل في سفح الاطلس، يسكنها عدد كثير من المسلمين واليهود، وتصنع فيها البرانس بكثرة وأهلها جميعا تجار أو فلاحون، يحكمهم أهل تفزة، نساء هذه البلدة ماهرات جدا في خدمة الصوف، يصنعن منه البرانس والاكسية الفاخرة، فيكسبن هكذا من المال أكثر مما يكسبه الرجال، يمر بين أفزا وتفزا نهر يدعى درنة ينبع من الاطلس ويمر بين تلال قبل أن يسيل في السهل إلى أن يصب في نهر أم الربيع، ويوجد في هذه التلال على ضفة النهر حدائق في غاية الجمال مليئة بجميع أنواع الاشجار المثمرة التي تشتهيها الانفس. وأصحاب هذه الحدائق في غاية الكرم والظرف، بحيث يدخل كل تاجر غريب إلى حدائقهم فيأكل من ثمارها ما يشاء.

يبطيء أهل أفزا كثيرا في إنجاز ما يعدون بتقديمه من بضاعة وهكذا تعود التجار أن يؤدوا ثمن البرانس المطلوبة مسبقا، على أن يتوصلوا بها بعد ثلاثة أشهر لكن عليهم أن ينتظروا سنة.

ذهبت إلى هذه المدينة في الوقت الذي جاء جيش ملكنا إلى تادلا فخضعت له في الحين، وفي المرة الثانية التي جاء إليها القائد أهدوا إليه خمسة عشر فرسا وخمسة عشر عبدا، كل عبد يمسك بزمام حصان، كما أهدوا إليه مائتي رأس من الغنم وخمس عشرة بقرة، فاعتبر القائد أهل أفزا مخلصين للملك.»

---

* يدعو مارمول هذه المدينة (تبزة)، ويقول أنها في عصره (1543) عانت كثيرا من ويلات الحرب، ويفترض وجودها في موقع تغزيت عند خروج نهر درنة إلى السهل.

تاݣرارْث

أطلالها ما تزال قائمة على بعد أقل من 20 كلم عن بني ملال وسط السهول بين الموقعين المعروفين اليوم، بالبزّازة، والقرَاقَبْ بناها يوسف بن تاشفين أثناء مروره من الاقليم، لاتخاذها قاعدة لجيوشه للانطلاق نحو بني ملال (قصبة تادلة آنذاك) وتاكزيرت (أفزا، أو تبزة) وكانت القبائل تحيط بها من كل الجهات، كما أن موقعها يتميز بالخصوبة الفلاحية وجودة أراضيه.

وقد ذكرها صاحب (97) الاستبصار في عجائب الامصار قال (98) : «مدينة تادلا : هي مدينة قديمة فيها أثار للاول، وبنى فيها الملثمون حصنا عظيما منيفا، وهو الان معمور فيه الاسواق والجامع، والبلد كله كثير الخيرات والارزاق، أحاطت به القبائل من كل الجهات فهو حقيق بالمملكة، والامر العزيز، أدام الله دوامه، ملتفت له محتاط عليه».

نقل محمد بن عبد المنعم الحميري نفس المعلومات ورتبها تحت اسم «تادلى» فقال : «تادلى من بلاد المغرب وهي مدينة قديمة أزلية فيها أثار للاول، بنى الملثمون فيها حصنا منيعا هو الان معمور وفيه الاسواق والجامع، والبلد كله كثير الخيرات والارزاق أحاطت به القبائل من جميع الجهات» (99).

واعتمد الاستاذ أحمد التوفيق على معلومات كتاب الاستبصار في الهامش رقم 631 قال : «وقد ذكر صاحب الاستبصار مدينة تادلا التي فيها بنى الملثمون حصنا عظيما وبها جامع» (100).

وتاكرارت معناها، المحلة، وقد بنى المرابطون عدة محلات منها تاكرارت مدينة مكناس قال صاحب الاستبصار في وصف محلة مكناس «ومن نظر مدينة فاس إلى جهة الغرب مدينة مكناسة الزيتون : وهي أربعة مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون، المدن منها تاقرارت وتفسيره المحلة، وهو محدث البناء، وهو

(97) كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس عشر الهجري.
(98) الصفحة : 200 من طبعة دار النشر المغربية 1985 من نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد.
(99) الروض المعطار.
(100) كتاب التشوف ص : 245. هامش : 631.

مشرف على بطاح وبقاع مملوءة بفيضات الثمار، وأكثرها الزيتون فسميت به، وهذه المدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة، وهي مدينة جليلة فيها أسواق حفيلة، وأحدث فيها الأمر العالي – أيد الله دوامه – بحائر عظيمة في نهاية من الاتساع، وجلب لها ماء نهرها وأمر بغرسها زيتونا وكروما،... ونحن في سنة 587 هـ».

يظهر من النص السابق أن يوسف ابن تاشفين كان يتخير مكان بناء محلاته العسكرية، على غرار الموقع الجميل الذي اختاره لعاصمته مراكش، كما كانت له هندسة موحدة في إحاطة هذه المحلات بالاسوار العالية، وكان له تخطيط اجتماعي واقتصادي موحد فكان ينظم بها الاسواق والمحلات التجارية، ويشجع بها الرواج التجاري من أجل أن تتحول إلى مدن حضرية تستقطب القبائل الرحل المجاورة المعتمدة على التنقل من مكان لآخر، ولربما كانت لديه فكرة الاستقرار الاجتماعي داخل المدن للاعتماد عليه من أجل ضمان استقرار ٱلأمْن داخل التراب الوطني كله.

وهناك تاكررت أخرى ذكرها محمد بن عبد المنعم الحميري قال عنها : «تاكررت : قلعة منيعة بينها وبين تلمسان مسيرة يوم بها تحصن يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان من بني عبد الوادي في سنة ست وأربعين وستمائة» (101).

أما تاكرارت المعروفة في نواحي بني ملال فقد ذكرها أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق في ثلاثة أماكن من كتابه أخبار المهدي بن تومرت(102). المرة الأولى عند تعداده للثائرين الخارجين على أمر الموحدين فقال : (–«والخامس والعشرون» – : إدريس بن بطان الصنهاجي وأخوه عطية، خرج إليهما يوسف بن سليمان وهزماهُ وكسرا تادلة، ثم خرج أيوب أكدم وبنى تاكْرارت وخرج إليها ليسكنها فسكنها، ثم خرج منها بالعسكر إلى تاورطا فهزماه ومات في تلك الهزيمة، ثم أخذها محمد بن زكو وسكنها مع الروم. وهذا في مدة أمير المؤمنين أبي يعقوب. ثم هبطت صنهاجة بعدد عديد وكان معهم ثائر يقال له بغيول إلى تاكْرارت ... فخرج إليهم بن زكو فهزمهم وقتلهم قتلا زائدا .. «والسابع والعشرون» يقال له بوسردون قتله صنهاجة وساقوا بغله ورأسه للأمير أبي يعقوب).

والمرة الثانية التي ذكر فيها البيذق مدينة تاكرارت عند تعداده للحصون التي

(101) الروض المعطار ص : 129.

(102) ص : 85

بناها المرابطون واستولى عليها الموحدون : قال : «وحصن تاڭرارت كان فيه يحيا بن سافور»(103).

والمرة الثالثة عندما كان البيذق يصف عمليات الغزو التي قام بها عبد المومن لتوطيد أركان الدولة الموحدية وبسط نفوذه على المغرب فقال بعد ذكر الاستيلاء على واوزغت ونواحيها بجبال الأطلس المتوسط : «ثم هبطنا لموضع يقال له تاكرارت(104) متاع داوود بن عائشة، ثم خرج منا جمع فأكل تاكرارت، فأقبل بغنائمها ثم رحلنا منها لموضع يقال له داي»(105).

ويتضح بجلاء من نص البيذق أن تاكرارت هي نفسها محلة داوود بن عائشة المذكورة غير ما مرة بهذا الاسم.

---

(103) أخبار المهدي بن تومرت ص : 92

(104) أشار هنا السيد عبد الوهاب من منصور في الهامش رقم 89 قائلا : «تاكرارت لاتزال أطلال هذا المعسكر المرابطي موجودة إلى اليوم، وهي واقعة على بعد 2 كلم من العدوة اليسرى لنهر درنة و12 كلم إلى الشمال من مدينة بني ملال.

(105) أخبار المهدي ص : 50

المعلومات التاريخية للمنطقة

أولا – القبائل

ثانيا – من تاريخ المنطقة

ثالثا – ملوك مَرُّوْا بالمنطقة

رابعا – مِنْ وُلَاةِ الاقليم

خامسا – من قضاة الاقليم

أولا ــ من القبائل بالإقليم

* وَرْدِيغَة
* بْنِي عْمِير
* بْنِي مُوسَى
* اسْمَاعْلة بْنِي شَكْدَال
* قبائل آيت الربع
* أولاد كْنَاوْ
* بنو جابر
* القاضي عياض في بني جابر
* قبائل بني ملال

القبائل

إن «تادلا موطن قبائل متعددة وعمارة واسعة» (1) وتحدد دائرة المعارف الاسلامية عدد القبائل العربية القاطنة بهضاب إقليم تادلا في ست قبائل «ويقطن إقليم الهضاب ست قبائل على شيء من البداوة أصلها عربي وهي : أُرديغة، وبنوخَيْران، وبنو زِمُّور، وسْمَاعلة، وبنوعامر، وبنوموسى وتعيش في وادي زم، وبُجَعَّدْ أو بُجَّدْ، واسمه الفصيح أبو الجعد، ودار ولد زيدوح».

ورديغة : قال عنها الناصري (2) «وقد يزعم كثير من الناس أن ورديغة من بني جابر ليسوا من جُشم، وأنهم بطن من بطون سَدْراتة، إحدى شعوب لواتة من البربر، ويستدلون على ذلك بموطنهم وجوارهم البربر، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك».

وأشار أحمد بوكاري إلى أن الحسن الوزان «أكد أثناء مروره بمنطقة تادلا عام 915 هـ 1509 م على أهمية هذه القبيلة، وتدخلها في الصراعات المحلية ثم أضاف، وهي «الفترة التي كان فيها أبو القاسم والد امْحَمَّد الشّرْقي فقيها ببلاد ورديغة ... وهي المنطقة التي كانت تقيم بها قبيلة «الرتْمة» إحدى بطون ورديغة، والتي تفرعت عنها عدة فرق مثل «أولاد بحر، أولاد سْمِيرْ، وهي أسماء مجموعات قبلية لازالت مستقرة إلى وقتنا الحاضر فيما يعرف بهضبة ورديغة أو هضبة الفوسفاط شمال أم الربيع» (3).

وقد كان لتدخل ورديغة في الصراعات التي تنشأ في المنطقة انعكاسات سلبية من ذلك ما أورده الضعيف الرباطي... في تاريخه من تفاصيل حملة تأديبية شنها عليهم السلطان مولاي اسماعيل .. وإن كان قد فصَّل وقائع هذه الحملة فإنه لم يذكر الأسباب التي دعت المولى اسماعيل إلى شنِّ هذه الغارات، وهو الأسلوب المتبع قبل ذلك، حتى إن القارىء يتوهم أن السلطات كانت تقوم بتلك الحملات دون داع إليها، وهو ما سنعرض له في غير هذا المكان.

ذَكَر بلاد ورديغة «أبو عسرية بن منصور : الفقيه الناظم الناثر، له منظومة

(1) أحمد التوفيق مقدمة تحقيق كتاب التشوف ص : 18.

(2) الاستقصا ج : 2 ص : 166.

(3) الزاوية الشرقاوية ص : 44.

في المراحل الحوزية رائقة رشيقة ظريفة وعظية جغرافية تاريخية نظمها وذكر دخوله لمراكش صحبة السلطان سيدي محمد بن عبد الله واغداقه عليه جزيل الاكرام [4] وذكر وصوله إلى بلاد ورديغة مع وصفها قائلا :

تأتيه ورديغة كم من حُلَّة	وكل واحد يلي محلَّه
لاغصابها الأنعـــــام	اعشابها تصلح للادامى
وأرضها تصلح للزراعة	معروفة عندهم نَفَّاعَة
كم حارث حَرَثَ حَرْثَهُ الْقَلِيلْ	فجاءه الزرع الكثيرُ يا نَبِيلْ
وهكذا أسرارُ فضل اللهِ	في خلقه ليس لها تناهى
لما ركبنا دَاخِلين يالبيبْ	بلاد ورديغة فزتُ بالنصيبْ
لقينا بعضًا من الفرسانْ	فقال ها مِحلة السلطانْ
أمامكم روغوا يسارا واطْلُبوا	مبيتَكم وفي غد تأَهَّبُوا
إلى لقاء إمامِنا الأميرْ	فقد وصلتمْ بلا نَكيرْ
رغبنا وَبِتْنَا في أمان اللهْ	بأعين كثيرَةِ المِيـــاهْ
وهم عيونُ مَازَةَ المذكورةْ	قبلُ ففي المواطنِ المشهورةْ

اشتهر من ورديغة محمد بن مبارك الورديغي التادلي.

بنو عامر : وهم بنو عُمَير وقد حدد لي الشيخ علال بن الجيلالي السباعي رحمه الله قبائلها فيما يلي : تنتمي إليها قبائل : عبد الله بن جابر، أولاد عبد الله، أولاد ارْكِيعِة، لَكْرِيفَات، اولاد هاشم إلى أولاد أحمد اَلْمَجارْمَة، وكانت قبائل بني اعْمِير تمتد إلى الفقيه بن صالح وكان أقوى مركز فيها هو مركز أولاد اعْلي.

وقد اشتهر منهم : سيدي سْعيد العميري قاضي مكناسة ورفيق المولى اسماعيل العلوي.

ومنهم أبو القاسم العميري قاضي مكناس، وعاش مع سيدي محمد بن عبد الله العلوي وهو ابن سعيد العميري السابق وهو من بني جابر.

ومنهم عبد الكريم العميري مفتي مدينة مراكش.

ومنهم محمد بن صالح العميري.

ومنهم الجيلالي العميري.

---

(4) العباس بن ابراهيم الاعلام ج : 1 ص : 348.

بنو موسى : تقتسم أخصب سهول تادلا مع بني عمير وقد حدد لي الشيخ علال بن الجيلالي السباعي قبائلها في القبائل الآتية :

قبائل بني موسى بني وَجّين : وَتَنْضَمُّ تحت هذا الاسم كلٌّ من قبائل : اولاد زيدون، أولاد رَحْمون، اولاد بُوعَزة، سوق السبت، اولاد النَّمَّةْ، ومنه إلى أولاد مبارك، فأولاد عياد (سوق السبت) أولاد بركات، بوقارون، أولاد زيدوح، ومنها إلى العيساوي، وأم رْبيع.

قبائل بني موسى أولاد اعْريف : تنتمي إليها القبائل الآتية : قبيلة الَعْسارَّة، اولاد امْراح، اولاد زْمام، اولاد زَهْرة، انْكَّار، بْني عون أولاد سْميدة، مَصْلة، لَكْرَازَّة.

ومن قادة (5) بني موسى في اولاد اعريف بالعين الزرقا : القائد علال ولد فاطنة بوزكري، وبعده القايد محمد آيت وعمود.

وهناك قادة أخرون (6) منهم القايد عبد الله بن جابر الذي كان قائدا أيام «الـسِّيبَة» والقايد عبُّو، والقائد بنعمران، والقائد عبو الركيعي «من أولاد ركيعة» وهذا الأخير كان قويا بدينا طويلا، عزيزا في قومه عارض مرور وادي أم رْبيع من أرضه أيام الحماية، فاعتقلوه إلى دار ولد زيدوح ثم إلى طنجة.

وكان هؤلاء الثلاثة جميعا قوادا أيام الحماية على أولاد زيان ووردبغة وبني وكيل.

وممن اشتهر من الأعيان بوزكري بن الشرقي يُحكَـى (7) عنه أنه حوالي 1810 — 1820 بينما كان في طريقه إلى بلاد قبيلة آيت صُوخمان البربرية زلقت رجل بغله عند كهف يسمى «اِفرِي وَغبَالْ» أي «كَافْ لَحمِير» في بلاد آيت سعيد في مكان يسمى «ايغُورْضَان» فهوى إلى الكهف العميق وكان في مُهِمَّة للصلح، فأخرجه مرافقوه وعادوا به فقضى نحبه في الطريق.

وقد حكى لي الشيخ (8) أنه «عند دخول القبائل العربية إلى المنطقة كان محطُّ خيامهم بسيدي جابر، ثم ظهر احتكار بني معدان وكطاية لمنطقة بني ملال التي لم تكن آهلة بأحد، وأرادت قبائل بني موسى أن يكون لها نصيب فيها، فقامت الحرب بين بني معدان في حلف مع كطاية ضد قبائل بني موسى، ودارت رحى الحرب بأراضي أولاد حمدان القريبة من بني ملال.

(5) عن الشيخ علال بن الجيلالي السباعي يوم 82.6.23.
(6) عن الشيخ علال.
(7) عن الشيخ علال.
(8) الشيخ علال بن الجيلالي السباعي رحمه الله.

وقتل في هذه الحرب خمسة من خير شجعان بني موسى وهم :

1 – علال ولد التَّرِيّ.

2 – المراحي السَّمْعَلي.

3 – ولد سي مُّو.

4 – بَرَحَّال النَّكرَاوي.

5 – حمادي بن هَبُّول (السَّبَّاعي) وهو عمُّ الشيخ علال بن الجيلالي السباعي الذي روى هذه الواقعة.

وتحدث إليَّ الشيخُ رحمه الله عن السلاح الذي استُعمل في هذه المعركة فقال : «كان هو بُوشَفرة، وبوحبَّة، وهما من أنواع البندقيات التي يستخدمها اليوم الفرسان أثناء ألعاب الفروسية (التَّحْراك) مع فارق واحد، هو أنهم اليوم يملأوها بالبارود فقط، بينما كانوا يضيفون للبارود حبات الحديد أو (لَالْدُون) التي تنطلق مع البارود لتصيب الهدف.

وبالاضافة إلى البندقية كان هناك (أُغْدِير) وهو سكين في طول المتر وهو حَادُّ الطرفين. وتحدث لي أيضا عن صناعته في قبائل بني موسى، فقال كان أربعة صناع مهرة يتقنون عملهم جيِّدًا وهُمْ :

1 – لَمْعلَّم عبد القادر الحداد في دوار اولاد اسْميدة.

2 – لمعلم حمادي بن أحمد الحدادآيَتْ لَمْعَلْمِينْ في دوار اولاد اسميدة.

3 – لمعلم أحمد الحداد في دوار أولاد امْراح.

4 – لمعلم صالح الحداد في دوار بْني عَوْن.

وقال : كان ذلك ابتداء من عام 1911 م وممن اشتهر من فقهاء بني موسى الفقيه محمد بن عبد الكبير التادلي من أولاد زيدوح.

والفقيه المحجوب الموساوي.

قبيلة اسماعلة بني شجدال : تناول الحديث عنها الأستاذ أحمد بوكاري فوصفها بالانتساب إلى سلالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال [9] : «ويظهر أن الانتساب للعمرية لم يكن غريبا عن منطقة تادلا، فقد أورد صاحب (التشوف الصغير) عددا من أسماء الصلحاء العُمَريين، بل قبائل بأجمعها مثل قبيلة بني

---

(9) كتاب الزاوية الشرقاوية ص : 48.

سجدال (شكدال) ومن بين هاته الأسر، عائلة أبي عبد الله الشرقي (10) وهو ما أصبح شائعا وتناقلته مختلف كتب التراجم (11)».

وقد اشتهر من علماء بني شكْدال :

سيدي أحمد بن الفقيه الشجدالي.

والشيخ علي بن الشرقي الشجدالي التادلي.

والسيدة عائشة بنت محمد بن الطاهر التادلي الشجدالي، والدة العباس بن ابراهيم مؤلف كتاب «الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام».

واشتهر من فرقة اسماعلة الشيخ سيدي محمد البصير....

آيتْ الرَّبَعْ : وتشير دائرة المعارف الاسلامية إلى أنه «استقر قوم يعرفون باسم «آيت ربوع» في الاقليم الأوسط لوادي أم رْبيع، واسمه القديم وادي وانسيفن، وهؤلاء القوم، قبائل جلها مستقر، وهم خليط من أصل عربي وبربري، وهذه القبائل هي :

كْطَاية، وسَمْكْت، وبنو مِلَّال، وأهم بلادهم قصبة تادلا، وقصبة بني ملال» (12).

وتعني كلمة «آيت» في الاصطلاح البربري أهل.

ومن ذلك أظن أن اسم «آيت ربوع» أتى من عبارة «أهل الربوع» أي أصحاب الأراضي وملاكها...

ولعل التسمية أتت من انقسام بعض القبائل على أربعة أرباع فسُمُّوْا بايت «ربوع» قال محمد الضعيف الرباطي في (تاريخ الدولة السعيدة) «ثم ورد السلطان عَلَى (13) بَجَعْدْ فوجدهم (14) حفاة عراة وكانوا مفترقين على أربعة أرباع» (15) ويقصد بالارباع : بنو خيران وأولاد الجار وفي طبعة أخرى (16) البحار، (ولعلها أولاد بحر) وبنو

---

(10) نقل عن الصومعي من كتابه التشوف الصغير الورقة 77. 86.

(11) نقل عن محمد بن الطيب القادري في نشر الثاني ج : 1. ص : 80.

(12) دائرة المعارف ص : 457.

(13) السلطان مولاي سليمان العلوي.

(14) قبائل ورديغة.

(15) تاريخ الضعيف ص : 395.

(16) طبعة م. من كتاب تاريخ الضعيف.

زمور وفرقة من السماعلة ولعل هذه التسمية هي الأكثر ميلا إلى الصواب لأن فرقة بضواحي مدينة قصبة تادلة ما تزال تعرف إلى اليوم بآيت الربع.

قبائل آيت الربع (17)

كانت تطلق هذه اللفظة على سكان المنطقة الواقعة بين بني ملال، وقصبة تادلة حاليا بالاضافة إلى أولاد حمدان واولاد عياد بني ملال، ويطلق عليهم أيضا اسم بني معدان.

وتنقسم آيت الربع إلى خمس قبائل أخرى وهي : أولاد سعيد الواد، أولاد اسماعيل، زْواير، لْبَزَّازَة، أولاد يوسف.

وقد تولى القيادة على بني معدان القايد : الجيلالي بن الحسن الربعي على عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ.

واشتهر من بني معدان العلماء والفقهاء :

- الحسن بن رحال المعداني.
- الحسن بن محمد الهداجي المعداني.
- محمد بن يوسف المعداني.
- البدر بن عامر المعداني.
- ابراهيم بن معدان.

قبيلة أولاد يعيش :

من القبائل التي توجد بين تادلة وبني ملال أيضا قبيلة أولاد يعيش تقع على الضفة اليسرى لوادي درنة ولست أدري إلى أي «يعيش» تنتسب القبيلة فهناك العديد ممن تسمى بهذا الاسم. منهم على سبيل المثال : (أبو العيش) حفيد مولاي ادريس بن ادريس قال (18) عنه علي بن أبي زرع الفاسي «هو الأمير أبو العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد القاسم ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وكان أبو العيش هذا عالما فقيها دينا ورعا حافظا للسير عالما بتواريخ الملوك وأيام الناس، وانساب قبائل العرب والبربر، عاقلا حليما شجاعا كريما كان يعرف في بني ادريس بأحمد الفاضل... فمات أبو العيش في جهاد الروم سنة

---

(17) عن والدي لطف الله به.

(18) في كتاب : الأنيس المطرب ص 87. في روض القرطاس.

ثلاث وأربعين وثلاثمائة رحمه الله 343 هـ» وقد ذكره محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني (19). ومنهم يعيش بن شعيب، قال في التشوف (20) «سمعت أحمد بن حسن يقول : حدثني يعيش بن شعيب السقطي» (21).

ومنهم عامل الناصر الموحدي على الريف، قال علي بن أبي زرع الفاسي (22) «وفي سنة إحدى وستمائة بَنَى يعيش عامل الناصر على الريف سور مدينة بادس وسور المزمة». قال الناصري (23) «وفي سنة إحدى وستمائة بنى عامل الريف من قبل الناصر (ابن يعقوب المنصور الموحدي) – واسمه يعيش – سور بادس ولمدية، ومليلية، حياطة وتحصينا من فجأة العدو».

ومنهم يعيش المطاعي شيخ سفيان قال الناصري (24) «وكانت سفيان هؤلاء أحياء حلولا بأطراف تامسنا ويطلبون بلاد حاحة من المصامدة... ورياستهم في أولاد مطاع من الحراث.. سنة ست وسبعين وسبعمائة. وشيخهم يومئذ منصور بن يعيش من أولاد مطاع».

ومنهم يعيش بن القديم، قال العباس بن ابراهيم (25) في ترجمة «مجاهد بن محمد ابن مجاهد... الأندلسي سكن مراكش».

ومنهم الحسن بن يعيش كان حاجبا للسلطان مولاي عبد الحفيظ (26). وتشتهر أولاد يعيش اليوم خاصة بانتاج البطاطا والأغنام.

وقد اشتهر منها :

الأستاذ سيدي العربي بن احمد اليعيشي.

الحاج عبد السلام اليعيشي.

قبائل أولاد كْناو : تقع حاليا في الشمال الغربي من بني ملال تبعد عنها بحوالي 12 كلم. ومعنى كلمة اكناو «الذي من بلد غانا «كانا» (27) وأكناو بالبربرية

---

(19) الجزء 2 : ص : 271.

(20) ص : 442 في الترجمة رقم 271.

(21) علق عليها محقق الكتاب أحمد التوفيق بقوله : «لم أقف على ترجمته».

(22) الأنيس المطرب ص : 271. في روض القرطاس.

(23) الاستقصا ج : 2 ص : 212.

(24) الاستقصا ج : 2 ص 169.

(25) الاعلام بمن حل مراكش. ج : 3. ص 281 في الترجمة رقم 472.

(26) العباس بن ابراهيم الاعلام بمن حل مراكش ج : 8 ص 182 هامش : 2.

(27) كتاب التشوف تحقيق أحمد التوفيق ص 316 هامش 839.

لقب معناه الكبش الأجم [28]. وتنتمي لقبائل أولاد أكناو : قبيلة أولاد اكناو – حاليا – وأولاد موسى وأولاد امبارك، وأولاد بوبكر، الطُّبِّيعة، لَعْيَايْطة» [29].

قبيلة بني جابر : أصل القبيلة يعود إلى مضر ومن جملة قبائل مضر : «بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر...

ومن قبائلها أيضا بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور المذكور في النسب السابق...

ومن قبائلها أيضا بنو هلال (بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر المذكور أيضا ...

ومن جملة قبائل كهلان القحطانيين : بنو الحرث ابن كعب بن عمرو.. وكهلان هو ابن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان...

... واعلم أن هؤلاء القبائل الأربعة التي ذكرناها هي التي ذكر المؤرخون أنها انتقلت إلى افريقيا والمغرب ... وأما خبر دخولهم إلى المغرب والسبب فيه ذكر المؤرخون أن بني سليم بن منصور وبني هلال ابن عامر لم يزالوا بجزيرة العرب برهة من الدهر إلى أن مضى الصدر من دولة بني العباس، وكانوا أحياء ناجعة بأرض الحجاز ونَجْد فبنو سليم مما يلي المدينة المنورة، وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف، ثم تحيز بنو سليم والكثير من هلال بن عامر إلى البحرين وعمان، وصاروا جندا للقرامطة، ثم غلب القرامطة على بلاد الشام وظاهرهم على ذلك بنو سليم وبنو هلال» [30]

ويشرح أحمد بن خالد الناصري سبب دخولهم إلى المغرب بتحول المعز بن بادس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي ملك افريقيا، عن المستنصر بالله معد بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز ابن المعز لدين الله سلطان مصر إلى الخليفة القائم العباسي ببغداد..

«وبلغ الخبر بذلك كله إلى المستنصر بالقاهرة فقامت قيامته، ففاوض وزيره أبا محمد الحسن بن علي اليازوري في أمر ابن باديس، فأشار عليه بأن يسرح له العرب من بني هلال وبني جشم بالصعيد، وأن يتقدم إليهم بالاصطناع، ويستميل مشايخهم

---

(28) العباس بن ابراهيم الاعلام بمن حل مراكش ج : 2. ص 426.
(29) الشيخ علال بن الجيلالي السباعي رحمه الله يوم 82.6.23.
(30) الاستقصا ج : 2 ص : 157 – 158.

بالعطاء وتولية أعمال افريقية وتقليدهم أمرها ... فبعث المستنصر وزيره إلى هؤلاء الأحياء ... وقال لهم : «قد اعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الاباق، فلا تفتقرن بعدها !» .... واعجبتهم البلاد فكتبوا لاخوانهم الذين بقوا شرق النيل يرغبونهم في البلاد فأجازوا إليهم.... وتقارعوا على البلاد، فحصل لبني سليم شرقها، ولبني هلال غربها. ثم انتشروا في أقطار افريقيا مثل الجراد، لايمرون بشيء إلا اتوا عليه» (31) «وانضم إلى بني هلال بن عامر بنو جشم بن معاوية ابن بكر، فَعَلَتْ أيديهم على الجميع» (32).

وهكذا بانضمام بني جشم إلى بني هلال حُسِمَ آلصِّرَاعُ بين السليميين والهلاليين لصالح بني هلال مما يدل على قوة وبأس بني جشم.

أما في أيام يعقوب المنصور الموحدي رحمه الله فقد أتوه طائعين فأدخلهم إلى المغرب الأقصى سنة 584 هـ «فأنزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط، فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى ازغار البسيط الأفيح هناك إلى ساحل البحر الأخضر، وأنزل قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط الأفيح ما بين سلا ومراكش، وهو أوسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن الثنايا المُفْضِيَة إلى القفار لاحاطة جبل درن (33) بها، فلم يُيَمِّمُوا بعدها قفرا، ولا ابعدوا رحلة» (34).

وبذلك يكون لبني رياح بلاد الغَرْب، وبلاد الحوز لجشم.

ورياح من بني هلال ومن بطونها خضر بن عامر قال عنه في معجم قبائل العرب (35) : «خضر بن عامر : بطن من رياح، من بني هلال ابن عامر من العدنانية، كانوا يقيمون بافريقية الشمالية» (36) وأما في الاستقصا فإن «قبيلة رياح هم بنو رياح بن أبي ربيعة ابن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة وهم بطون كثيرة» (37).

وأما جشم فهم (38) «بطن يعرف بأبي جشم بن نهيك بن هلال بن عامر بن

---

(31) الاستقصا ج : 2. ص : 160.
(32) م السابق. ج : 2 ص : 163.
(33) جبال الاطلس الكبير.
(34) الاستقصا ج : 2. ص : 163.
(35) الجزء الأول ص 346 عمر رضا كحالة.
(36) اعتمد في ذلك على تاريخ ابن خلدون ج : 6 ص 302.
(37) ج : 2. ص : 164.
(38) معجم قبائل العرب ج : 1 ص : 187.

صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان، من العدنانية» (39).

وجشم أيضا «فخذ من كليب ابن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان من العدنانية» (40).

وتسمى القبيلة اليوم بقرية سيدي جابر وتقع في الجهة الشمالية لبني ملال بمسافة حوالي 9 كلمترات في المنطقة المعروفة بِعْوِينَاتْ في طريق الفقيه بن صالح، ومن فروعها «قبيلة مصلة» ماتزال في العين الزرقاء، حيث كان القاضي عياض رحمه الله منفيا من قبل عبد المومن الموحدي، في أولاد اعْرِيف محكمة بن كَرْمَحْ» (41).

وتتحدث دائرة المعارف الاسلامية عن قبيلة جشم فتقول بأنها «أقدم القبائل العربية التي سكنت هذا الاقليم (وهم) بنو جابر وزرارة ثم جاء من بعدهم الخلط، وكان بنو سعد هم الذين استقدموا قبائل من قوم معقل» (42).

أما عبد الوهاب بن منصور، فيقول عن بني جابر من جشم «كانت مواطنهم بسفح جبل تادلة يسهلون إلى البسيط تارة ويأوون أخرى إلى قننه وهضابه إذا احسوا بتهديد، وكانت رئاستهم على عهد بني مرين في ورديغة من بطونهم» (43).

وقد أورد علي بن أبي زرع قصيدة في ذكر مفاخر عرب تادلة وهي «للفقيه الأديب البارع عبد العزيز المكناسي الدار الملزوزي النِّجَار ذكر فيها ... – من بين ماذكر – ... قبائل العرب على اختلافها» (44).

قال عنهم : (45).

فأنتم أيها العرب انتصرتم لِعِـزّكم فالزمكـم مَنَابـا
أَلَيْسَ لِحِمْيَر لكم انتساب كذلك مَرِينُ إن رَفَعوا انْتِسابا
فأنتم إخوة نَسَبًا وَصِهْـرا فما حِدْتم عَنِ الفخر اجْتِنَابا

---

(39) اعتمد في ذلك على نهاية الارب للنويهي ج : 2 ص : 337.
(40) نفس المصدر السابق.
(41) الشيخ علال بن الجيلالي السباعي.
(42) ص : 458 مادة تادلا.
(43) القبائل المغربية ج : 1. ص : 420.
(44) الأنيس المطرب ص : 364.
(45) الأنيس المطرب ص : 364.

إلى أن يقول في عرب الخلط

وللخلط السيوفُ سيوفُ حَتْفٍ تُصَيِّرُ هَامَ أعداهم قِرَابا
هبيرة من لجدهم افتخار أَخَطْبٌ هَاجَ أو حَرْبٌ أرابا
مُقَدِّمُهُم تَقَدَّمَ فِي المعالي بِهم وَمُهَلْهِل أَحْصَى الذِّبَابَا

ثم يقول في عرب بني جابر

جماعــةَ جَابِــرٍ قَومٌ كِرَامٌ كُسُوا من صِدْق نُصحِهم ثِيابا
فَجَرُّوا منه يَوم الحرْبِ ذَيْلا على الأعداء تَنْسحِب انْسِحَابا
بِيُوسف بن قيطون تَسَامَـوْا فعزوا جانبا وسَمَوْا جنابا

ثم يقول :

فلا بْنِ عَجاج الأرْضَى عَلِيٍّ فَخَارٌ يورث الشرك اكْتِسَابا
لَئِنْ أَخَّرتُمْ فِي الأرْضِ يَشْهَدْ لَكُمْ فِي سَبْقكم مَنْ حَلَّ زَابَا

ومازال في مدينة بني ملال إلى يومنا هذا عائلة ملَّالِيَةَ تَنْتَسِب إلى هذا تسمى آيت لَعْجَاجْ

وتحدث الأستاذ أحمد بوكاري عن أصل بني جابر أثناء الحديث عن سيدي امْحَمَّدْ الشرقي «يرجع أصله إلى بني جابر القبيلة العربية المشهورة التي هي من عداد قبائل (جشم) وهو الاسم الذي حملته مجموعة من القبائل الهلالية ... وقد استقرت قبيلة بني جابر بمنطقة تادلا، وفي النصف الأول من القرن 7 هـ / 13 م ربطوا علاقات تحالف مع برابرة الأطلس.

وخلال القرن 8 هـ / 14 م آلت الرئاسة إلى (ورديغة) إحدى بطونهم.

ويظهر أن قبيلة بني جابر بقيت تحتفظ بهذا النفوذ الجهوي أواخر العهد المريني، وخلال فترة حكم محمد الشيخ الوطاسي (875 – 910 هـ / 1471 – 1504) كما أن (الحسن الوزان أكد أثناء مروره بمنطقة تادلا عام 915 هـ / 1509 م على أهمية هذه القبيلة، وتدخلها في الصراعات المحلية» (46) وتتبلور هذه الأهمية من النصوص الآتية التي تثبت أن الخلفاء أصبحوا يعينون على رأسها قادة تعيينا مباشرا من ذلك النص الذي أورده الناصري (47) قال : «لما توفي (48) أبو الحسن السعيد كان عمر المرتضى

(46) الزاوية الشرقاوية ص : 43.
(47) الاستقصا ج : 2 ص : 249.
(48) في صفر ست وأربعين وستمائة.

واليا من قبله بقصبة رباط ألفتح من سلا.. فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش وعقدوا له البيعة وبعثوا بها إليه ... واستقام أمره وتلقب بالمرتضى ... وعقد ليعقوب بن كانون على بني جابر».

غير أن عمر المرتضى يتغير فيعتقل يعقوب بن كانون ووزيره ابن مسلم، «وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة خرج أبو الحسن ابن يعلو قائد المرتضى في جيش من الموحدين إلى تامسنا ليكشف أحوال العرب، ومعه يعقوب بن كانون شيخ بني جابر، فقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم، وطير بهما إلى الحضرة معتقلين» (49) غير أن الناصري لم يذكر سبب هذا الاعتقال الذي أزّم العلاقة بين عمر المرتضى وبني جابر.

«وفي سنة تسع وخمسين وستمائة 659 هـ فسد ما بين أمير المؤمنين يعقوب (المريني) والمرتضى الموحدي صاحب مراكش، فسرح في أطراف بلاده، وفيها كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين يعقوب، وجيش المرتضى، وقتل حماتهم وفر من بقي وتركوا أموالهم، وكان المرتضى قد استعد لهذه الغزاة غاية الاستعداد، وبعث فيها وجوه الموحدين، وأشياخهم وسائر عرب جشم من الخلط وسفيان، والأثبج وبني جابر وبني حسن، وقواد الروم والأندلس والأغزاز، ولم يترك بحضرته من جيشه أحدا إلا نفرا يسيرا، فهزم الكل وتركوا أموالهم وأثقالهم وعددهم وسلاحهم» (50).

وقد نقل الناصري وقائع هذه المعركة غير أنه جعلها سنة 660 هـ بينما قال ابن أبي زرع أنها كانت سنة 659 هـ. وأشار الناصري بوضوح إلى تحول بني جابر عن نصرة المرتضى، الشيء الذي أثّر في نفسية جيش المرتضى وساعد في حسم المعركة لصالح يعقوب المريني قال (51) : «ونزل الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني بسائط تامسنا فسرح إليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن عبد الله بن وانودين، فاجفلوا إلى وادي أم رْبيع، واتبعهم الموحدون والحوا عليهم فعطف عليهم بنو مرين، واقتتلوا ببطن الوادي، فانهزمت عساكر الموحدين، وغدر بهم بنو جابر، وكان في مسيل الوادي كُدْيٌ يَحْسُرُ عنها الماء فتبدو كأنها أرجل، فسميت الواقعة من أجل ذلك بأمّ الرجلين وذلك سنة ستين وستمائة».

ومن خلال وقائع هذه المعركة يظهر أن بني جابر بدأوا فعلا في تنفيذ عملية الانتقام من عمر المرتضى.

---

(49) الناصري. الاستقصا ج : 2 ص 246.

(50) علي بن أبي زرع : الأنيس المطرب ص : 302.

(51) الاستقصا ج : 2 ص : 248.

وإذا كان هناك تفاوت بمقدار السنة الواحدة في تحديد تاريخ هذه الوقعة بين ابن أبي زرع، وبين أحمد بن خالد الناصري فإن دائرة المعارف الاسلامية قد ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث جعلت هذه المعركة تنتهي لصالح عمر المرتضى بدل المرينيين في سنة 660 هـ وتجعل انتصار المرينيين على عمر المرتضى وخذلان بني جابر له في سنة 666 هـ. ولست أدري من أين استقت هذه المعلومات مع أن كتاب ابن أبي زرع قديم ويشير للواقعة بوضوح. جاء في دائرة المعارف (52) «.. وفي عام 660 هـ 1262) (1261 – أقبل الزعيم المريني يعقوب ابن عبد الحق لغزو مراكش، فأنفذ السلطان المرتضى الموحدي ابن عمه أبا دبوس لقتاله. وانهزمت الجيوش المرينية المجتمعة على أم الربيع في مكان يعرف بأم الرجلين (53) ولعلها الآن تلك المخاضة الصغيرة المعروفة بأم الرجيلات».

وأما معركة انتصار المرينيين على الموحدين فتجعلها دائرة المعارف الاسلامية في سنة 666 هـ أي بعد المعركة السابقة بست سنوات، رغم اتفاق المصادر على أن المعركة السابقة وقعت بمكان أم الرجيلات تقول (54) «وفي عام 666 هـ (1267 – 1268) م غزا السلطان يعقوب المريني تادلا وعاث فيها فسادا وأغار على الخلط وهم قبيلة عربية من جشم كانت حليفة للموحدين، فانبري هؤلاء للأخذ بناصرهم، غير أنهم هزموا لأن حلفاءهم العرب من بني جابر تخلوا عنهم خلال الوقعة».

وهكذا يظهر أن الدور الذي كانت تلعبه قبائل بنو جابر في هذه الفترة الانتقالية بين الموحدين والمرينيين كان دورا حاسما لصالح بني مرين في المنطقة. وقد ساعد على ذلك سوء العلاقة بين المرتضى وبني جابر كاعتقاله لشيخهم يعقوب بن كانون سنة 652 هـ.

وبعد وقعة الرجيلات 660 هـ بدأ العمل المكشوف لبني جابر ضد عمر المرتضى الموحدي بتعاونهم مع ابن عمه أبي العلاء ادريس الملقب بأبي دبوس بن محمد بن عمر بن عبد المومن ويؤكد ذلك ما جاء في الاستقصا (55) «.. وسار أبو دبوس يؤم مراكش ومعه سفيان وبنو جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفياني، فلما دنوا من مراكش أغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى

---

(52) ص : 459.

(53) بولعوان المسمى أم الرجلين : أحمد التوفيق محقق كتاب التشوف ص : 309 هامش : 320.

(54) دائرة المعارف الاسلامية ص : 459.

(55) الجزء : 2. ص : 249.

ركز رمحه بمصراع الباب، ودُخِلت سنة خمس وستين وستمائة، والمرتضى بمراكش غافل عن شأن أبي دبوس».

ويستمر شعور بني جابر بالقوة والغلبة إلى ما بعد ذلك بمائة عام، وربما بأكثر من ذلك حيث يقومون بحماية الوزير الحسن بن عمر الفودودي من السلطان ابراهيم المريني أخ السلطان أبي عنان، وذلك عندما أحس الوزير بتقلب شعور السلطان ابراهيم عنه : «فخشي على نفسه وخرج من مراكش في صفر سنة احدى وستين وسبعمائة فلحق بتادلة منحرفا عن السلطان ومرتكبا للخلاف، فتلقاه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه واعْصَوْصَبُوا عليه، فسرح إليه السلطان ابراهيمُ وزيرَه الحسنَ بن يوسف الورتادي، فاحتل تادلة وانسحب الحسن بن عمر إلى الجبل بها فاعتصم به ومعه كبير بني جابر الحسين بن علي الورديغي، فأحاطت به العساكر وأخذوا بمخنقهم» (56).

وقد اختلف العباس بن ابراهيم في النص السابق عن أحمد بن خالد الناصري في عدة معلومات منها :

1 – أن الحسين بن علي الورديغي كان لعهد أبي سالم المريني شيخ بني جابر عند العباس بن ابراهيم، بينما عند الناصري – معتمدا على ابن خلدون – قال : «ادركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان، حسين بن علي الورديغي، ثم هلك، وأقيم مقامه ابنه الناصر بن حسين» (57).

2 – إن نزوح الوزير الحسن بن عمر كان في مشيخة الحسين بن علي عند العباس بن ابراهيم بينما كان النزوح إلى بني جابر من طرف الوزير عند الناصري في مشيخة الناصر بن الحسين بن علي.

3 – وتاريخ النزوح عند الأول : العباس بن ابراهيم، كان سنة إحدى وستين وسبعمائة بينما يقول الناصري «ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعه عن السلطان أبي سالم المريني سنة ستين وسبعمائة ونهضت إليه عساكر السلطان فأمكنوا منه» (58).

وقال العباس بن ابراهيم بخصوص فرار الوزير واحتمائه بسكان الأطلس المجاورين

(56) العباس بن ابراهيم : كتاب الاعلام بمن حل مراكش ج : 3 ص : 145.
(57) الاستقصا ج : 2 ص : 166.
(58) الاستقصا ج :2 ص : 166.

والمتحالفين مع بني جابر «فأحاطت به العساكر وأخذوا بمخنقهم، وداخلَ الوزيرُ بعضَ أهل الجبل من برابرة صناكة في الثورة بهم، وَسَرَّبَ إليهم الأموال، فثاروا به وانفض جمعهم. وتقبضوا على الحسين بن عمر وقادوه برمته إلى الحسن بن يوسف فاعتقله، وانكفأ راجعا به إلى الحضرة، فدخلها في يوم مشهود» (59).

بينما في النص السابق * للناصري أخبر بأن عساكر السلطان تمكنت من الحسين بن عمر سنة 760 هـ، دون أن يفر إلى جيرانه بالأطلس للاحتماء بهم وأن الذي قام بالاحتماء لدى الأمازيغيين هو أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم المريني قال عنه «ثم لحق بهم (60) أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عند فراره من مراكش سنة ثمان وستين وسبعمائة 768 هـ، ونازله السلطان عبد العزيز المريني وأحاط به وبهم، فلحق ببرابرة صناكة ثم امكنوا منه على مال حمل إليهم» (61).

ويظهر أن الناصر بن الحسين بن علي الورديغي قد بالغ في إشعال الفتن بالمنطقة، بحمايته للفارين من السلطة المركزية سواء من مراكش أو فاس يقول الناصري مستطردا لما سبق «ولحق بهم أثناء هذه الفتن الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن المريني على عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب، وطلبه الوزير عمر فأخرجوه عنهم» (62).

أما الناصر بن الحسين بن علي فقد عاملته السلطة المركزية بفاس بجفاء «.. وطال بذلك مِرَاسُ الناصر هذا للفتنة، فنكرته الدولة من بعد ذلك وأطلقته، ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازي المستبد بالمغرب على ولد السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ونقلوا الرياسة عن بيته إلى غيرهم» (63).

بذلك تنتهي رئاسة قبيلة ورديغة على بني جابر، قال ابن خلدون «والرياسة فيهم لهذه العصور – يعني أواخر المائة الثامنة – في ورديغة من بطونهم» (64).

ومن النصوص السابقة يتبين أن بني جابر وأرضهم كانت مسرحا لعدة معارك شاركوا فيها بالفعل لصالح هذا أو ذاك، دون أن يساندوا واحدا منهم لطلب الخلافة لنفسه، وربما كان ذلك لاقتناعهم بعدم شرعية هذا الطلب، ونظرا لاحساسهم بالقوة

---

(59) الاعلام بم حل مراكش ج : 3 ص : 145.

* في الفقرة الثالثة.

(60) ببني جابر بسهول تادلة.

(61) الاستقصا ج : 3 ص : 166.

(62) الاستقصا ج : 2 ص : 167.

(63) الاستقصا ج : 2 ص : 167.

(64) الاستقصا ج : 2 ص : 167.

والشجاعة فإنهم كانوا يسخرون انفسهم لصالح قلب موازين القوى مقابل بعض الامتيازات والهدايا.

غير أن شيوخهم كثيرا ما كانوا يتعرضون للاعتقال أو القتل، قال الناصري «وأما بنو جابر بن جشم فكانت لهم شوكة أيضا وكان لهم أثر في الفتنة الناشئة بين المأمون (65) بن المنصور ويحيى (66) ابن الناصر بن المنصور. فكانوا شيعة ليحي، ولما ولي الرشيد بن المأمون أمر بقتل قائد وقائد ابني عامر، وهما يومئذ شيخا بني جابر فقتلا وقتل معهم حسن بن زيد شيخ العاصم، وكانوا جميعا معتقلين عند الرشيد... وولى أمر بني جابر بعدهما يعقوب بن محمد بن قيطون ثم قبض عليه قائد الموحدين أبو الحسن بن يعلو، وذلك بأمر أبي حفص عمر المرتضى الموحدي وولى رياسة بني جابر بعده اسمعيل بن يعقوب بن قيطون» (67)

ويظهر أن بني جابر هؤلاء بعد شعورهم بالضغط عليهم من طرف القادة الموحدين انتقلوا إلى إقليم تادلا لعقد الحلف مع السكان الأصليين للمنطقة «ثم تحيز بنو جابر هؤلاء عن احياء جشم إلى سفح الجبل بتادلا وما إليها يجاورون هناك صناكة من البربر الساكنين بقنته وهضابه، فيسهلون إلى البسيط تارة ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى، إذا دهمتهم مخافة السلطان» (68).

فيما يلي قائمة بأسماء شيوخ بني جابر الذين تقدم ذكرهم :

1 – قائد وقائد ابنا عامر قتلا سنة 633 هـ بأمر الرشيد بن المأمون بن يعقوب المنصور الموحدي.

2 – يعقوب بن محمد بن قيطون، وهو الذي قبضه الوزير أبو الحسن بن يعلو بأمر أبي حفص عمر المرتضى الموحدي.

3 – اسماعيل بن يعقوب بن قيطون.

---

(65) المأمون : هو أبو العلا ادريس بن يعقوب المنصور بايعه أهل الأندلس والموحدون بمراكش سنة 624 هـ بعد وفاة أخيه الناصر
الاستقصا ج : 2 ص : 225.

(66) يحي بن الناصر بن المنصور بايعوه بجامع المنصور من قصبة مراكش بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة 624 هـ
الاستقصا ج : 2 ص : 255.

(67) الاستقصا ج : 2 ص : 166.

(68) الاستقصا ج : 2 ص : 166.

4 – يعقوب بن كانون الذي اعتقله عمر المرتضى سنة 652 هـ.
5 – علوش بن كانون الذي سَانَدَ أبا دبوس للقضاء على عمر المرتضى سنة 665 هـ.

6 – الحسين بن علي الورديغي الذي قام بحماية الوزير الحسن بن عمر الفودودي من السلطان ابراهيم المريني سنة 760 هـ.

7 – الناصر بن الحسين بن علي الورديغي الذي قام بحماية أبي الفضل ابن السلطان أبي سالم المريني سنة 768 هـ والأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن ... وكان الناصر هذا آخر شيوخ قبيلة ورديغة على بني جابر ...

ومن جدود بني جابر الولي الصالح سيدي جابر المدفون بمنطقة سيدي جابر وهو من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه حسب محمد العربي بن عبد الله الوزاني المترجم له في الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام تحت رقم 952 هـ.

القاضي عياض في بني جابر

إلى منطقة بني جابر بتادلا نَفَـى عبد المومن القاضي عياض رحمه الله مبعدا إياه عن موطنه الأصلي بسبتة حيث كان قاضيا بها ويتمتع بنفوذ روحي كبير جدا على سكانها. قال أحمد بن خالد الناصري «.. واستمر عبد المومن على حاله، فنازل سبتة فامتنعت عليه، وتولى كِبْر دفاعه القاضي أبو الفضل عياض بن موسى الشهير الذكر، وكان رئيسها يومئذ بأبوته ومنصبه وعلمه ودينه...

... قال ابن خلدون: «ولذلك سخطته الدولة – يعني دولة الموحدين – آخر الأيام حتى مات مغربا عن سبتة مستعملا في خطة القضاء بالبادية من تادلا رحمه الله» (69).

وقد أخبرني الشيخ علال (70) رحمه الله بأن القاضي عياض رحمه الله كان قاضيا بالبادية في تادلا، عند عين سيدي محمد بْلِيلْ المعروفة بالعين الزرقاء، وكان مركزه وزاويته بها..

وكانت توجد بجانب القنطرة الموضوعة فوق وادي داي قرب مركز سيدي جابر الآن في طريق الفقيه بن صالح إلى الغرب من القنطرة بحوالي 2 كلم. والعين الزرقاء حسب – الشيخ علال – كانت في أولاد اعريف محكمة بن كَرْمَحْ، آنذاك.

---

(69) الاستقصا ج : 2 ص : 101.
(70) الشيخ علال بن الجيلالي السباعي السابق الذكر 88.6.23

وقد عانى القاضي عياض رحمه الله كثيرا من آلام الفراق لأحبابه بمدينة سبتة، مركز عمله وإشعاعه، ومهد شبابه وأصدقائه، وحيث وظيفة القضاء بين الناس بالعدل كانت تستهويه، ويضعها فوق كل اعتبار، وحيث المركز القيادي في الزعامة لأهل مدينة سبتة بين العلماء وعامة الناس.

لذلك لا عجب إذا وجدنا القاضي الصبور الراضي بعدل الله والمستسلم لقدر الله، يئن تحت وطأة الغربة في البادية، فتسيل العواطف الجياشة بالشجى، فتندفع الأنة مزفورة من أعماقه وهو يسمع اليمامة تشدو بالقرب منه : *

أقمرية (71) الأدواح (72) بالله طارحي
أخا شجن بالنوح أو بغناءِ
فقد أرقتني من هديلكِ رَنَّة
تهيج من بَرْحى ومن بُرَحائي
لعلكَ مثلي ياحمام فإنني
غريبٌ (73) بِدَايَ قد بُليت بِدَاءِ (74)
فكم من فلاة بين دَايَ وسبتة
وخرْق بعيدِ الخافقين قواءِ (75)
تصفق فيها للرياح لواقح
كما ضَعْضَعتني زفرة الصُّعداءِ
يُذَكِّرني سَحُّ المياه بأرضها (76)
دموعا أرِيقَت يوم بِنْتُ (77) وَرَائِي

---

* محمد بن عياض كتاب التعريف بالقاضي عياض ص : 98

(71) القمرية : اليمامة، وتسمى في هذه المنطقة «كرِيكَرْ» وهذا النوع يغادر المنطقة ابتداء من الخريف ويؤمها ابتداء من الربيع، وهو مايدل على أن القاضي رحمه الله قال القصيدة بين الربيع والصيف.

(72) الأدواح : مفردها دوح وهو الشجر.

(73) غريب مثلي : إشارة إلى أن إقامة هذا الحمام بهذه البلاد إنما هي إقامة مؤقتة وسيغادرها بانتهاء فصل الصيف.

(74) لعله كان مريضا أو أنه يشير إلى داء العبد وفراق الأحبة.

(75) أرض قفر لا أنيس بها.

(76) بأرض تادلة وخاصة المنطقة التي كان يوجد بها القاضي آنذاك، كانت كثيرة المياه، كثيرة العيون والآبار، والماء يَنِزُّ منها بلا حفر حتى سميت بالعْوِينَاتْ لكثرة العيون الصغيرة.

(77) يوم نأيت وابتعدت عن الموطن بكى اهلي وأصدقائي ومعارفي ورائي من بعدي.

ويُعجبني في سَهلها وحُزُونها
خمائـلُ أشجـار تَرِفُّ رُوَاءِ
لعلَّ الذي كان التفرقَ حكمُه
سيجمَعُ منَّا الشَّمْل بَعد تَنَائي

وفي البيت ما قبل الأخير يحاول القاضي تعزية نفسه بجمال الطبيعة بسهول تادلة وكثرة مياهها ورواء أشجارها وظلالها فيشعر ببعض التخفيف من عبء ما تحمله نفسه من هَمٍّ، فيعود إلى الأمل في الله سبحانه وتعالى وإلى الايمان بقدر الله، فيؤمل العودة إلى وطنه واجتماع شمله بأهله.

وقد «ذكر المقَّري في أزهار الرياض (78) نقلا عن ابن رشد أنه قال هذه الأبيات حين ولي القضاء بمدينة تادلة سنة واحد وأربعين وخمسمائة» (79).

وقد تبين مِمَّا سبق بأنه لم يكن منفيا في مدينة داي، وإنما في ضواحيها، على جانب وادي داي عند عين سيدي محمد بْلِيلْ ... وإذا كان نفيُّه في واحد وأربعين وخمسمائة، ووفاته سنة أربع وأربعين وخمسمائة فإن مدة نفيه بهذا المكان تتراوح ما بين الثلاث سنوات والأربع قال (80) عن وفاته : «وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة توفي الامام الهمام الحافظ البارع أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي قال ابن خلكان : توفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وقيل في شهر رمضان من السنة المذكورة، ودفن بباب إيلان داخل المدينة، وذلك في دولة عبد المومن بن علي» «وقيل دخلها (81) مريضا مرض موته وقيل مات بالطريق وحمل إليها» (82) رحم الله القاضي عياض.

عرفه ابنه أبو عبد الله محمد قال : «أبو الفضل عياض بن موسى بن عمرون بن موسى ابن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي وكان أبي رحمة الله عليه يقول : لا أدري هل محمد والد عياض أم بينهما رجل فهو جده» (83).

---

(78) ازهار الرياض للمقري مجلد : 2 ص 13 من المخطوط.
(79) التعريف بالقاضي عياض ص : 98. هامش 247.
(80) الاستقصا ج : 2 ص : 200.
(81) دخل مراكش.
(82) الاستقصا ج : 2 ص : 111.
(83) أبو عبد الله محمد، التعريف بالقاضي عياض ص : 2.

قبائل بني ملال :

تكونت بني ملال من عدة قبائل أهمها : أولاد سعيد، أولاد حمدان، مْغِيلة، وهذه القبائل كلها كانت لها أحياء داخل بني ملال القديمة المعاصرة (القصبة). وتحيط بهذه القبائل الثلاث القاطنة داخل المدينة قبائل أخرى تقطن السهول المجاورة للمدينة ومن هذه القبائل : البزازة، أولاد احمامة، أولاد عياد، وقد تفرعت عن قبيلة أولاد سعيد الملالية المعدنية عدة فخدات منها : (84)

فخدة أولاد عَكُّو، وفخدة أولاد الرغاي، وفخدة لغزافات، وفخدة لحسون، وفخدة لوحاشة أرقاق، ولوحاشة لغلاظ، وفخدة أولاد بلخير.

وقد تناول الأستاذ عبد الوهاب بن منصور الحديث عن قبائل رياح، ومنها قبيلة أولاد سعيد فقال : «قبائل رياح كثيرة ارتقى كل واحدة منها إلى مرتبة شعب ونعرض فيما يلي : أولاد سعيد : بنومالك بن رياح، كانت رئاستهم في أولاد يوسف، ومن بوطنهم أولاد عيسى ومع هذا القبيل لفائق من العرب من غيرهم مثل المخادمة النجور وتفاث» (85).

وما تزال إلى اليوم أولاد سعيد (الواد) حوالي 20 كلم عن بني ملال تجاورُ قبيلة أولاد يوسف، كما أن أولاد سعيد تدخل حاليا ضمن قيادة أولاد يوسف.

وأما القبيلة الثانية ذات النفوذ داخل المدينة بني ملال وهي قبيلة أولاد حمدان فإنه يرجع أصلها هي الأخرى إلى قبائل بني جابر الذين يرجع أصلهم إلى الجزيرة العربية ونستعرض فيما يلي مجموعة من أسماء الجدود الذين يحتمل أن يعود إليهم أصل القبيلة :

* حمدان من أهم قبائل اليمن (86)
* حمدان بطن من ذي الأصبح (87)
* حمدان فرع من الجوابرة، من المِسْوِدَة من جميل، من هذيل من اليمن (88)

---

(84) عن والدي كان الله له، وهو ينتسب إلى قبيلة أولاد سعيد المَّلالية المعْدَنِية من فخدة لُوحَاشَة أرَقاقْ.

(85) عبد الوهاب بن منصور، القبائل المغربية ج : 1. ص : 421.

(86) عمر رضا كحالة معجم قبائل العرب ج : 1. ص : 291.
اعتمد على : ملوك العرب للريحاني ج : 1. ص : 70.

(87) نفس المصدر السابق اعتمد على : قبائل العرب في مصر لأحمد لطفي السيد ج : 1. ص : 50.

(88) نفس المصدر السابق، اعتمد على : قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص : 203.

* حمدان : عشيرة بدوية من عابدة من قحطان عسير (89)
* الحمدان : عشيرة من الغُنَيْم، من موسى من جُهَيْنَة إحدى قبائل الحجاز (90)
* حمدان : بطن من بني مقرر من مجاهر، من بني سويد بن عامر بن مالك بن زغبة، من هلال بن عامر من العدنانية (91)، ربما إلى هذا البطن من حمدان يعود أصل أولاد حمدان المعروفة بني ملال. كما أنه قد يعود أصلهم إلى :

* حمدان بن جابر : بطن من بني يزيد، الذين كانت مواطنهم غربي قابس، وطرابلس (92) وقد يكون دخلوهم إلى المنطقة مع دخول وفود العرب.

---

(89) ن. م. س. اعتمد على قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص : 188.
(90) ن. م. س. اعتمد على قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة ص : 138.
(91) ن. م. س. اعتمد على تاريخ ابن خلدون : ج : 6. ص : 45.
(92) ن. م. س. اعتمد على تاريخ بن خلدون ج : 6. ص. 85.

ثانيا – من تاريخ المنطقة

- تقديم

1 – مع الأدارسة
2 – مع المغراويين وبني يفرن
3 – مع المرابطين
4 – مع الموحدين
5 – مع المرينيين
6 – مع السعديين
7 – مع الدلائيين
8 – مع العلويين

* مولاي الرشيد
* مولاي اسماعيل
* مولاي عبد الله
* سيدي محمد بن عبد الله
* مولاي يزيد بن محمد بن بن عبد الله
* مولاي سلامة بن محمد بن عبد الله
* مولاي سليمان
* مولاي عبد الرحمان
* سيدي محمد بن عبد الرحمان
* مولاي الحسن الأول

من تاريخ المنطقة

في هذا الجزء من البحث سأحاول رسم بعض الملامح البارزة في تاريخ المنطقة، وسوف لن أحيط بجميع جوَانب الموضوع، نظرا لكون البحث ليس تاريخيا صرفا يهتم بالجانب التاريخي للمنطقة حتى أتمكن من التفرغ لهذا الجانب وحده، وإشباع رغبة القارىء في الاحاطة بكل تاريخ المنطقة. وثانيا نظرا لأن الموضوع جديد كل الجدة ولا توجد مصادر أو مراجع تهتم بتاريخ هذه المنطقة وحدها. لذلك سميت هذا الجزء ب «من تاريخ المنطقة» وليس تاريخها كله.. كما أنه يمكن اعتبار الجوانب الأخرى من البحث تكملة عامة لتاريخ المنطقة، خاصة ما يتعلق بالقبائل، وما تعلق بالآثار والمدن.

وفي الحقيقة هذا الجزء من البحث هو لرصد علاقة المنطقة بالحكم المركزي، إما في فاس وإما في مراكش... ومن خلاله أريد أن أثبت هنا حقيقة واضحة جدا وهي براءة الاقليم مما نسب إليه من الفتن ومن أنه إقليم الفتن والثورات ... لقد كانت المنطقة مسرحا للعديد من المعارك التاريخية، ربما كانت حاسمَة في التاريخ السياسي للمغرب، خاصة في العهد المريني والوطاسي، بل حتى في العهد السعدي، وقيام الدولة العلوية بالمغرب ... ويتجلى ذلك في اتجاه اهتمام سلاطين المغرب إلى إقليم تادلا، بمجرد توليهم الحكم حيث يهتمون باخضاع هذا الاقليم وضمان ولائه لهم، هذا الولاء الذي كان يرجح كفة الحكم نحو فاس أو نحو مراكش، وهذا هو السبب الحقيقي الذي جعل منطقة تادلا تتعرض إلى الاقتتال دوما وعلى توالي العصور والدول دون أن تكون هناك رغبة، أو ثورة محلية قصد الوصول إلى الحكم. وهي الحقيقة التي ينبغي استيعابها.

كانت المنطقة مسرحا للحرب نعم ... لأنها كانت تمثل منطقة استراتيجية بين العاصمتين مراكش – فاس. وكان الاستيلاء عليها يعني حسم الصراع لصالح هذا الجانب أو ذاك ... وكان يساعد في حسم هذا الصراع، وجود أقوى القبائل العربية بالمنطقة، عرب بني جابر من قبائل جشم، ومما يؤكد هذا الادعاء هو أن الدور السياسي للمنطقة أصبح واضحا وبارزا جدا بعد عهد يعقوب المنصور الموحدي الذي نقل هؤلاء العرب إلى بسيط تامسنا. ومنه تحول بنو جابر إلى إقليم تادلا فأصبح هؤلاء

العرب بتضامنهم مع أمازيغيي صناكة سكان المنطقة يشكلون قوة هائلة تضمن الفوز والنصر لمن يمكن أن يضمن ولاءها له ... ورغم شعور الأهالي بالمنطقة بخطورة الدور، الذي كانوا يقومون به، فقد كانوا بعيدين عن التطلع إلى أبعد من المساعدة على تثبيت أركان الحكم هنا أو هناك، حسب حسن العلاقة أو سوئها مع العاصمتين.

وفيما يلي محاولة استعراضية لمراحل علاقة المنطقة بالحكم المركزي :

أولا : مع الأدارسة

كانت المنطقة أيام الأدارسة تعمرها غالبية من الأمازغيين المنتمين إلى صنهاجة.

وصنهاجة «جعلها ابن حزم من بيوتات البربر الذين كانوا بالأندلس، هذا على رأيه فيهم أنهم من البربر، وهو خلاف ما عند غير واحد من المؤرخين المعتمدين من أنهم من عرب اليمن، ثم من حمير منهم وأنهم لا نسب بينهم وبين البربر، وإنما تبربرت ألسنتهم، وتغيرت لغتهم بالمخالطة التي لهم مع البربر بالجوار والصهر» (93).

وقد كانت قبائل صنهاجة تختلط ببعض الأجناس من اليهود والنصارى وكانت الديانة الغالبة على السكان هي اليهودية والنصرانية.

«ويظهر أنه كان يعيش في تادلا منذ عهد بعيد، أناس يتفاوت حظهم من النصرانية واليهودية» (94) ورغم تعاقب الفاتحين العرب على المغرب الأقصى فإن المصادر التاريخية تتحدث عن إسلام القبائل الأصيلة بتادلة على يد المولى إدريس الأكبر رحمه الله «ويزعم صاحب كتاب روض القرطاس أن إدريس الثاني عندما غزا هذه المدينة (95) عام 172 هـ (789 م) وجد بها مسلمين قلائل وعددا كبيرا من النصارى واليهود (96) ويظهر بأن صاحب دائرة المعارف الاسلامية قد وهم وهما كبيرا

---

(93) العباس بن ابراهيم : كتاب الاعلام ج : 2. ص : 13 معتمدا على كتاب «في اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في انساب الصحابة ورواة الأثار» لصاحبه عبد الله بن علي اللخمي الأندلسي الشهير بالرشاطي المتوفى سنة 540 هـ واعتمد هذا الأخير على الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني في كتابه «الاكليل» وعلى ابن الكلبي وأبي عبيدة القاسم بن سلام.

(94) دائرة المعارف الاسلامية ص : 458.

(95) يقصد مدينة داي.

(96) دائرة المعارف الاسلامية ص : 458.

في أن جعل الذي غزا بلاد تادلا سنة 172 هـ هو إدريس الثاني ... لأن إديس الثاني لم يولد إلا في سنة 177 هـ.

«كانت ولادة إدريس بن إدريس يوم الاثنين ثالث رجب سنة سبع وسبعين ومائة فكفله راشد مولى أبيه» (97) وكانت وفاة إدريس الأول رحمه الله في نفس السنة في مُستهل ربيع الآخر. وهو الذي غزا بلاد تادلا سنة 172 هـ وذلك بعدما «تمت له البيعة يوم الجمعة 4 رمضان 172 هـ، فجمع جيشا كثيفا وخرج به غازيا، فبلغ بلاد تادلة (قرب فاس) ففتح معاقلها ... وعاد إلى وليلي» (98).

وقد تحدث الناصري عن هذه الغزوة بشيء من التفصيل فقال :

«ثم إن إدريس بن عبد الله رضي الله عنه اتخذ جيشا كثيفا من وجوه زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم، وخرج غازيا بلاد تامسنا ثم زحف إلى بلاد تادلا ففتح معاقلها، وحصونها، وكان أكثر أهل هذه البلاد لازالوا على دين اليهودية والنصرانية، وإنما الاسلام بها قليل، فأسلم جميعهم على يده، وقفل إلى مدينة وليلي مؤيدا منصورا فدخلها أواخر ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين ومائة هـ» (99).

ويبدو أن العلاقة الأولى للمنطقة مع الأدارسة كانت علاقة تعميم الدين الاسلامي ونشر النفوذ الادريسي على المنطقة، كما يظهر أن الأهالي تقبلوا الفتح بدون مقاومة تذكر. وأما المعاقل التي أشار إليها النص السابق فهي مدينة داي، وحصن فشتالة والتجمعات السكنية، جراوة، واشقوندة، تاجنيت، أهل نظير وتاغزوت. هذه أهم المدن والقرى التي كانت متواجدة (100) آنذاك وبعده بقليل.

وبعد وفاة المولى إدريس الأكبر سنة 177 هـ بويع لابنه المولى إدريس الثاني سنة 188 هـ وبقيت سهول تادلا خاضعة له وكان واليا عليها، وبعد وفاته أصبحت تابعة لابنه محمد بن ادريس بن ادريس وقد عين أخاه أحمد بن ادريس واليا من قبله على عدة أقاليم من جملتها إقليم تادلا (101)

ثانيا : مع المغراويين وبني يفرن

يحدد الناصري سنة 362 هـ لدخول المغراويين للمغرب قال :

(97) الاستقصا ج : 1 ص : 161.

(98) خير الدين الزركلي الاعلام، مجلد : ص :

(99) الناصري : الاستقصا ج : 1. ص : 156.

(100) أنظر بحث قبائل المنطقة، وتراجم علماء المراكز المذكورة في مكان آخر من هذا البحث.

(101) انظر الولاة الذين تعاقبوا على الاقليم في مكان آخر من هذا البحث.

«وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بعدها دخل مغراوة المغرب وملوكه وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوي» (102).

ويعتبر أبناء مغراوة وبنو يفرن أبناء العمومة لأن «مغراو ويفرن أخوين شقيقين، وهما ابنا يصليتين بن مسري بن زاكيا بن ورسيك بن الديديت ابن زانا وهو أبو زناتة» (103).

لذلك فقد كان دُخولهما للمغرب واستيلاؤهما عليه في وقت واحد ..

أما استيلاؤهم على تادلا وخضوعها لنفوذهم فكان في نفس سنة 362 هـ «قد تقدم لنا أن بني يفرن كانوا قد تحيزوا إلى نواحي سلا فاستولوا عليها وعلى مدينة شالة، ثم ملكوا تادلة وما والاها من البلاد» (104).

وتبقى تادلا خاضعة لملوك بني يفرن ما يقرب من قرنٍ من الزمن إلى سنة 449 هـ حيث سيغزوها عبد الله بن ياسين، فيتحول خضوعها من بني يفرن إلى المرابطين.

سجل علي بن أبي زرع هذه الأحداث قائلا : «وارتحل (عبد الله بن ياسين) إلى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها لقوط ابن يوسف بن علي المغراوي، فنزل عليها، ضيفا، وضيق عليه الحصار وقاتله أشد القتال، فلما رأى لقوط مالا طاقة له به اسلمها له وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه إلى ناحية تادلة، فنزل في حمى بني يفرن أربابها ودخل المرابطون مدينة اغمات وذلك في سنة تسع وأربعين وأربعمائة فأقام عبد الله بن ياسين بمدينة اغمات نحو الشهرين حتى استراح المرابطون ثم خرج بهم إلى غزو تادلة ففتحها، وقتل من وجد بها من بني يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوي فقتله، ثم سار إلى بلاد تامسنا» (105).

وهكذا يظهر بأن المرابطين أول ما بدأوا به بعد الاستيلاء على نواحي مُراكش (اغمات) شدوا الرحال إلى إقليم تادلا ولم يبق بعدها إلا العاصمة فاس .. وبذلك تكون تادلة قد دخلت تحت النفوذ المرابطي ابتداء من سنة 449 هـ. غير أن العباس بن ابراهيم يقرر بأن الأمير لقوط لم يفر إلى تادلا إلا في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة «فر أميرها لقوط المذكور إلى تادلة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وانضاف إلى بني

---

(102) الاستقصا ج : 1 ص : 205.
(103) الاستقصا ج : 1 ص : 205.
(104) الاستقصا ج : 1 ص : 220.
(105) علي بن أبي زرع الأنيس المطرب ص : 129.

يفرن ملوكها ... وكان لقوط آخر أمراء أغمات من مغراوة» (106) ويبدو أنه وقع في تناقض واضح إذ أنه قال قبل ذلك «لما فتح المرابطون ماسة وورودانة وأغمات سنة تسع وأربعين وأربعمائة، فر أميرها لقوط إلى تادلة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة» (107) إذ كيف يتأخر فرار لقوط عن أغمات بعد فتحها لمدة عامين كاملين .. ولو أنه قال بأن أبا بكر اللمتوني توجه لفتح بلاد تادلة في إحدى وخمسين لأمكن ذلك .. أما أن يكون فرار لقوط في سنة إحدى وخمسين فهو غير صحيح ويجب اعتبار ما ورد عند علي بن أبي زرع هو الصحيح لقربه من الأحداث ولقوله بأنه فر ليلا أثناء الحصار وليس بعد فتحها وهو المنطقي والمعقول.

وأشارت دائرة المعارف الاسلامية إلى أن «تادلا كانت في وقت من الأوقات ضمن امبراطورية بني يفرن، وهم من شالة (من القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر) وفي عام 449 هـ (1057 — 1058 م) غزا المرابطون أغمات فسعى صاحبها لقوط بن يوسف إلى الهرب والتجأ إلى بني يفرن في تادلا، فتبعه عبد الله بن ياسين قائد المرابطين وفتح الاقليم» (108).

وكان لقوط آخر أمراء مغراوة بأغمات، ومن الطريف المتعلق بحياته الخاصة زوجته زينب بنت إسحاق النفزاوية التي «كانت زوجة عند يوسف بن علي بن عبد الرحمان بن وطاس، وكان شيخا على وريكة وهزرجة، وتغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا أغمات فتزوج لقوط زينب النفزاوية» (109) ثم لما قَتل أبو بكر اللمتوني لقوط بن يوسف تزوجها أبو بكر اللمتوني، ولما عزم أبو بكر بن عمر اللمتوني على الرجوع إلى الصحراء، طلقها وتخلى عنها لابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 453 هـ.. وهي التي أفتت على يوسف طريقة التعامل مع أبي بكر بن عمر عندما عاد هذا الأخير من الصحراء ليتسلم ملك المغرب من يوسف، فاضطر للعودة إلى الصحراء من جديد بالهدايا دون الملك ... ولعل امرأة كهذه تقبل قاتل زوجها قاتلا بعد قاتل لابد من أن تكون تتمتع بأعصاب من حديد، وإرادة قوية في العيش والاسْتِمَتاع بالحياة. فقد «كانت مشهورة بالجمال والرياسة» (110).

---

(106) العباس بن ابراهيم الاعلام ج : 3. ص : 275.
(107) العباس بن ابراهيم المصدر السابق.
(108) ص : 458.
(109) العباس بن ابراهيم ج : 3). ص : 275.
(110) العباس بن ابراهيم ج : 3). ص : 275.

وبقي أن نختم الحديث عن بني يفرن والمغراويين بالاشارة إلى نسبهم «قال لي أبو محمد بُو يُكنِي البِرْزَالِيُّ الاَبَاضِيُّ، وكان ناسكا عالما بأنسابهم : وَلَدَ شانا بن يحي : الديديتَ بْنَ شانا، فوَلد الديديتُ : وَرْسِيكَ بنَ الديديت فولدَ ورسيكُ : الْغَانَا (ولقبه دَمَّرْ)، وزاكيا وهما شقيقان، فولد زاكيا بنُ ورسيك : مصرًا بنْ زاكيا فولدَ مصرُ : يَصْلِتَنْ، فولد يَصْلِتَنْ : مَغْرَاوْ جَدُّ بني مغراوة، وَيَفْرَنْ، وَوَاسين أمه مملوكة لأمِّ مَغْرَاوة.

وكلُّ مَنْ ذكرنا معتزلةٌ، حاشَا بني بِرْزال، وبني واسِّين، فهم إباضية وأما جمهور بني مغراوة وبني يفرن، فسُنِّيَة» (111).

ويرد ابن حزم نسب المغراويين إلى النبي نوح عليه السلام قال : «ورأيت لبعض نسابي البربر أن زناتة هو شانا بن يحي بن صولات بن ورتاج بن ضري بن سَقْفُو بن جُنْدُواذ بن يملا بن مَاذْغِس بن هوك بن هرْسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح النبي عليه السلام» (112).

ثالثا : مع المرابطين

يظهر أن المنطقة خضعت خضوعا كاملا وتاما ونهائيا للمرابطين حيث أنها عرفت هدوءا عاما إلى قيام الموحدين. باستثناء حملات يوسف بن تاشفين وبنائه مدينة تاكرارت قرب داي آنذاك.

رابعا : مع الموحدين

إبان فترة الموحدين سجل المؤرخون الحملة التي قام بها عبد المؤمن الموحدي : قال الناصري «كانت أولى البلاد التي غزاها عبد المومن الموحدي لما تمت بيعته هي بلاد تادلا فقتل بها وسبى» (113).

وفصَّل ذلك علي بن أبي زرع (114) حيث حدد تاريخ هذه الحملة بأربعة أيام مباشرة بعد بيعته العامة التي كانت «يوم الجمعة الموفي عشرين من ربيع الأول من سنة 526 هـ (9 يبراير 1132) ... فكان أول غزوة غزاها في خلافته غزوة تادلة خرج لها

(111) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص : 498.
(112) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص : 495.
(113) الاستقصا ج : 2 ص :.102.
(114) في كتابه الأنيس المطرب. ص : 186.

من تينمل يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الأول من سنة 526 هـ الموافق 13 يبراير 1132 في ثلاثين ألفا من الموحدين حتى وصل تادلة فغنمها وسبى أهلها».

وتتبين أهمية هذا الاقليم آنذاك من التوجه المباشر للموحدين إليه، ولأن ضمان ولاء هذا الاقليم يضمن ولاء ما بعده، كما أوضحت فيما سبق، وتتضح أيضا خطورة المقاومة التي كان يتوقعها عبد المومن من استعداده الجدي لهذه الحملة حيث توجه إليها وسط ثلاثين ألفا من مقاتليه المخلصين، وإن كانت الكتب لم تصور هذه المعارك، ولم توضح ما إذا كانت المنطقة قد قاومت عبد المومن أم خضعت بسهولة إلى غير ذلك فإنها أشارت إلى ما فعله عبد المومن من القتل والسبي دون الاشارة إلى رد الفعل الشعبي لهذه الحملة، أو سبب هذا القتل والسبي الذي أحدثه عبد المومن بالمنطقة.

أشارت دائرة المعارف الاسلامية (115) إلى حملة عبد المومن على إقليم تادلة قائلة «وفي عام 526 هـ (1131 — 1132) استولى السلطان عبد المومن الموحدي على تادلا وأصبح الاقليم الذي وسط المسافة بين فاس ومراكش على الطريق المباشر الذي يصل مسرحا لقتال الأسر المتنافسة».

وكان حريا بدائرة المعارف أن توضح أن هذه الأسر المتنافسة على ملك المغرب لم تكن في أي يوم من الأيام من مواطني الاقليم، وإنما كانت المعارك تجري في أرضها لصالح هذه الأسرة الحاكمة أو تلك وليس لفائدة إحدى الأسر المحلية من الاقليم ... وعوض أن توضح دائرة المعارف هذا الالتباس أضافت تعليقا آخر : «وتاريخ هذا الاقليم عبارة عن ذلك النضال والفتن المستمرة التي كانت تقوم بها القبائل العربية والبربرية التي تعيش فيه» ولست أدري ما إذا كانت الدائرة في النص السابق تقصد المدح بالنضال أو الذم بالفتن المستمرة، والواقع أن الاقليم كان هادئا في أغلب أوقاته، قبل حلول القبائل العربية بالمنطقة التي كانت في غالبيتها فرسانا متمرسين بالقتال والفروسية متعودين على الحرب أيام وجودهم بالجزيرة العربية وعند انتقالهم إلى مصر وارتحالهم إلى تونس، ثم إلى المغرب وأخيرا بإقليم تادلة «بنو جابر».

غير أن الفتن التي كانت تقوم بالاقليم لم تكن تعني السيطرة على الحكم، وإنما كانت كطاقة هائلة يمكن تسخيرها لفائدة جهة من الجهات... وأحيانا كانت تقوم فقط لازالة سطوة أحد الولاة أو تتخلى عن حاكم لصالح آخر بسبب قتل بعض زعمائها.

---

(115) ص : 459.

فإذا كان هذا الاقليم قد حُكِمَ عليه تاريخيا بأنه كان مسرحا للقتال والفتن المستمرة فإن مبرره في ذلك أن الظروف هي التي جعلت منه مسرحا للقتال دون رغبة أهله في شيء من ذلك.

خامسا : **مع المرينيين**

في معركة 660 هـ بمكان أم الرجيلات، وهو مشرع أم الرجيلات المعروف بنواحي سطات تحول بنو جابر عن الموحدين أثناء لقائهم للأمير يعقوب بن عبد الحق المريني.

وفي سنة 665 تعاون بنو جابر بالمنطقة مع أبي دبوس ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المومن ضد أبي حفص عمر المرتضى الموحدي ففتحوا مراكش عنوة على هذا الأخير.

وفي سنة 666 شن الأمير يعقوب بن عبد الحق الموحدي الغارات على إقليم تادلة بعد غاراته على يغمراسن في شرق المغرب «ثم كر (116) راجعا (117) إلى مراكش في شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبر وادي أم الربيع شن الغارات على النواحي، وبث السرايا في الجهات وطال عيثه في البلاد» (118).

ويمكن تفسير حملة يعقوب بن عبد الحق المريني على إقليم تادلة بما أشار إليه الناصري من أن الامير يعقوب حنق على ادريس لكونه خالف وعده السابق له والمتمثل في مقاسمته إياه في جميع ما يغلب عليه من السلطان وما يستفيده من الذخيرة والمال وذلك عند اقدام أبي دبوس على الاستيلاء على مراكش بمعاونة الجيوش المرينية من طرف يعقوب بن عبد الحق (119).

ويقول بن أبي زرع «وإذ حنق على ادريس أبي دبوس فخرج إلى مراكش لغزو أبي دبوس الناكث لعهوده، حتى وصل إلى وادي أم الربيع فأقام هنالك إلى أن دخلت سنة سبع وستين وستمائة في غرة المحرم منها (الاثنين 10 شتنبر سنة 1268) فارتحل عن وادي أم الربيع إلى ناحية تادلة، فنزل بوادي العبيد فأقام هناك أياما» (120).

---

(116) الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني.

(117) من حملته على يغمراسن.

(118) الاستقصا ج : 2 ص : 252.

(119) الاستقصا ج : 2 ص : 248.

(120) الأنيس المطرب.

وتصف دائرة المعارف الإسلامية مضمون إقامة يعقوب المريني بتادلة «في عام 666هـ (1267 - 1268م) غزا السلطان يعقوب المريني تادلا وعاث فيها فسادا، وأغار على الخلط وهم قبيلة عربية من جشم كانت حليفة للموحدين»(121).

وفي سنة 761هـ خرج الوزير الحسن بن عمر الفودودي «من مراكش فلحق بتادلة منحرفا عن السلطان ومرتكبا للخلاف فتلقاه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه» (122) وهذا الموقف الذي وقفه بنو جابر بالمنطقة لصالح الوزير ضد السلطان ابراهيم المريني (123) جلب لهم نقمة السلطان «فسرح إليهم السلطان ابراهيم وزيره الحسن بن يوسف الورتادي فاحتل تادلة» (124) غير أن مداخلة الوزير الرسمي للسكان من صناكة بالمال جعل الموقف ينتهي بتسليم الوزير الملتجىء الحسن بن عمر الفودودي لوزير السلطان واعتقاله إلى مراكش.

وتتحدث المصادر عن تحول المنطقة من جديد في منتصف القرن العاشر الهجري إلى مسرح للاقتتال بين السعديين الدولة الناهضة، والوطاسيين الدولة المتلاشية، ومن ذلك ما كان في سنة 943 هـ «وفي هذه السنة حرك الوطاسي لمراكش، وخرج لحربه أبو العباس الشريف الحسني فالتقى الجمعان على وادي العبيد من بلاد بني جابر، ووقع بينهما حرب شديد، فكانت الهزيمة على أحمد الوطاسي... وبقيت محلته بيد الشريف وقصبة تادلة» (125).

أما محمد الصغير اليفراني فيحدد تاريخ هذه الوقعة كما يلي «فالتقيا بأبي عقبة أحد مشارع وادي العبيد فوقعت الهزيمة على المريني، وكان يوم الجمعة 8 صفر 943 هـ» (126).

ويحدد اليفراني نتائج المعركة في الصلح بينهما كما يلي (... الصلح انبَرم بين السلطانيين على أن للأشراف (السعديين) من تادلا إلى السوس، وللمريني من تادلا للمغرب الأوسط».

ويشير خير الدين الزركلي إلى أن أحمد ابن محمد بن محمد الوطاسي المذكور أعلاه «في سنة 943 هـ عقد صلحا مع برتغال مدينة آسفي على ثلاث سنين ليتفرغ

---

(121) ص : 459.

(122) العباس بن ابراهيم ج : 3. ص : 145.

(123) وهو أخ السلطان أبي عنان.

(124) العباس بن ابراهيم ج : 3. ص : 145.

(125) أحمد ابن القاضي : جذوة الاقتباس ج : 1. ص : 321.

(126) نزهة الحادي ص : 20 ,21.

لقتال السعديين» وهو ما يسجل نظرة أحمد الوطاسي إلى الترتيب في الاعداء، فهو يعقد الصلح مع البرتغال ليحارب المغاربة أمثاله ؟ ! وتسجل دائرة المعارف الاسلامية (127) معركة أبي عقبة (حَدْ بُوعَكبةْ) فتشير إلى أن تادلة ستصبح مسرحا للقتال لثاني مرة، وذلك عند شروع السعديين في الاستيلاء على المغرب «وقدر لتادلا أن تشهد القتال لثاني مرة عند مقدم بني سعد، إذ حاقت بالمرينيين هزيمة منكرة في الوقعة الفاصلة عند مخاضة أبي عقبة بوادي العبيد في صفر من عام 943 (يوليو 1536 م).

سادسا : **مع السعديين**

تعتبر وقعة أبي عقبة (حد بُوعَكْبة) سنة 943 هـ بداية انتشار نفوذ الدولة السعدية في الاقليم ونهاية النفوذ المريني.

وتتجلى عناية السعديين بالاقليم واهتمامهم بضمان ولايته لهم ببناء قصبة الزيدانية على الضفة اليسرى لنهر أم رْبيع بين مدينة قصبة تادلة والفقيه بن صالح.

وقد كان واليا عليها في إبان حكم أحمد المنصور السعدي ابنه زيدان بن أحمد المنصور، وقد كان «الأشراف الزيدانيون يتداولون ويتوارثون مصحف عقبة بن نافع الفهري المصحف الكبير العقباني الذي كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثماني» (128).

وفي هذا العهد كان نفي أبي العباس سيدي أحمد بن أبي القاسم الصومعي إلى مراكش من طرف أحمد المنصور بعد سوء تفاهم حصل بين سيدي أحمد وبين الأمير زيدان.

وربما كان لهذا الحادث أثر في تحول الناس بتادلة عن السعديين إلى الدلائيين.

سابعا : **مع الدلائيين**

وهم من «برابر مَجّاط، بطن من صنهاجة حسب ما ذكره ابن خلدون وغيره» (129).

ابتدأ نفوذ الدلائيين في المنطقة بعد وقعة أبي عقبة (حد بُوعَكّبة) «في منتصف – القرن السابع عشر الميلادي – أزاحت تادلا عن كاهلها سلطان بني سعد

---

(127) ص : 459.

(128) الاستقصا ج : 2 ص : 130.

(129) محمد الصغير اليفراني ص : 274.

وأضحت جزءا من إمارة بربر زناكة، وهم من زاوية دلاء، وقد تمكن محمد بن الحاج (130)، وهو واحد منهم، أن يهزم السلطان محمد الشيخ السعدي عند مخاضة أبي عقبة عام 1050 هـ (1668 — 1669) (131).

وبعد هذه المعركة أصبح إقليم تادلا تابعا للزاوية الدلائية بناحية زاوية آيت اسحاق حاليا.

ويصف محمد الصغير اليفراني هذه الشخصية قائلا : «وكان السيد محمد الحاج رحمه الله أحسن سيرة .. وفي أيامه تكامل أمر أهل الزاوية الدلائية وشاع وعلا صيته وذاع حتى ملأ الأسماع وتمهد الأمر لأبي عبد الله محمد الحاج وأولاده وإخوته وبني عمه، إلى أن تملك مدينة فاس ومكناس وأحوازهما وكافة القطر التادلي .. ووقعت بينه وبين السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي وقعة أبي عقبة فهزم السلطان المذكور وانتشر جمعه وذلك في حدود 1050 هـ ومن تم قطع النظر عما وراء وادي العبيد» أي أنه بعد هذه المعركة أصبح إقليم تادلة ابتداء من وادي العبيد خارجا عن نفوذ الدولة السعدية وتابعا للنفوذ الدلائي.

ثامنا : **مع العلويين**

مولاي الرشيد

غير أن هذا النفوذ سرعان ما ينتهي بعد اللقاء العسكري الذي وقع بين المولى الرشيد العلوي وأبناء محمد الحاج وذلك عندما «التقت الفئتان بموضع يقال له بطن الرّمّان (132) فوقعت الهزيمة على أهل الدلاء وذلك أوائل المحرم سنة تسع وسبعين وألف» (133).

«ولما دخل مولانا الرشيد الزاوية غير محاسنها وفرق جمعها وطمس معالمها وصارت حصيدا كأن لم تغن بالأمس» (134).

ومن تم انتقل ولاء الاقليم من الدلائيين للمولى الرشيد ضمن الدولة العلوية، إلى أن توفي «وكانت وفاته رحمه الله بمراكش ليلة الجمعة حادي عشر ذي الحجة عام اثنتين وثمانين وألف» (135).

---

(130) تسمية دائرة المعارف محمد بن الحاج بينما هو الحاج نفسه : أبو عبد الله محمد.
(131) دائرة المعارف الاسلامية ص : 459.
(132) يسمى بو الرمان على بعد 12 كلم من خنيفرة بينها وبين قصبة تادلة.
(133) محمد الصغير اليفرني نزهة الحادي ص : 284.
(134) محمد الصغير اليفرني نزهة الحادي ص : 304.
(135) محمد الصغير اليفرني نزهة الحادي ص : 304.

مولاي اسماعيل

ابتدأ نفوذ المولى اسماعيل على الاقليم بعد البيعة مباشرة «وكانت مبايعته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الأربعاء سادس عشر ذي الحجة من عام اثنين وثمانين وألف ... وكانت سِنّهُ يوم بويع ستا وعشرين سنة» (136).

وقد كان مولاي أحمد بن محرز قد اعتزم الاستيلاء على الاقليم وضمه إليه وذلك بعد أن «استولى على جبل وريكة، ومسفيوة وآيت عتاب ووادي نفيس فعظمت شوكته، وعزم الاستيلاء على جبل تادلا فبلغ خبره إلى عمه الخليفة مولاي اسماعيل» (137).

وقد كان المولى اسماعيل رحمه الله يدرك الأهمية الاستراتيجية البالغة للاقليم، لذلك نهض لمنع انتشار نفوذ ابن أخيه أحمد بن محرز على الاقليم فتلاقى معه عند (حد بوعكبة) وتقول دائرة المعارف الاسلامية «في سنة 1084 هـ (1673 — 1674 م) هزم السلطان اسماعيل العلوي ابن أخيه أحمد بن محرز عند أبي عقبة وكان قد انتقض عليه» (138).

وأما العباس بن ابراهيم فيؤرخ هذه المعركة بسنة 1085 هـ أي بزيادة سنة عن التاريخ الذي حددته دائرة المعارف الاسلامية حيث قال : «في سنة خمس وثمانين عاد المترجم (139) إلى مراكش واستولى عليها وخرج المولى اسماعيل لحربه في العساكر على طريق تادلة مكان اللقاء بينهما على أبي عقبة من وادي العبيد فاقتتلوا وانهزم ابن محرز وقتل كبير جيشه حياة الطويري ورجع أدراجه إلى مراكش فتبعه السلطان والقى بكلكله عليها أوائل سنة 1086 هـ» 140.

ويقدم لنا محمد بن الطيب القادري تاريخا آخر لوقعة (حد بُوعَكبة) قائلا : «ووقع حرب بوادي العبيد مع جيش مولاي أحمد بن محرز ومات فيه قائده بوجيدة الطويري في ليلة الأحد تاسع شوال 1086 هـ» (141) ولعله هو الصواب لأنه أقدم من سابقيه، ولأنه قدم تاريخا مضبوطا باليوم والشهر. وقد علق هاشم العلوي القاسمي على

(136) محمد الصغير اليفرني نزهة الحادي ص : 305.

(137) محمد بن الطيب القادري نشر المثاني ج : 2. ص : 332.

(138) دائرة المعارف ص : 459.

(139) هو أحمد بن محرز ترجم تحت عدد : 240.

(140) الاعلام للعباس بن ابراهيم ج : 2. ص : 198.

(141) محمد بن الطيب القادري. التقاط الدرر ص : 198.

مكان الوقعة في الهامش (142) وعرفه «بالموضع المعروف (بأبي عقبة) على بعد 12 كلم من دار ولد زيدوح وبهذا المكان يتم العبور على وادي العبيد، فهو مركز استراتيجي بين شمال المغرب وجنوبه الغربي، ولهذا كان مسرحا لحروب حاسمة في تاريخ المغرب، بين المتنافسين على السلطة في مراكش وفاس فالانتصار أو الانهزام فيه يقرر مصير المدينتين معا، وحسب التقاط الدرر يكون تاريخ المعركة بين مولاي اسماعيل وابن محرز هو 9 شوال 1086».

ويظهر أنه بعد سنتين يعود الغليان إلى المنطقة بسبب أطماع الدلائيين في إعادة النفوذ إلى المنطقة وإلى ذلك أشار محمد بن الطيب القادري «ووقع حرب (143) بين البربر وعرب تادلا مع «المخازنية» خدم السلطان (144)، وهزم العرب وأخذت تادلا وقصبتها (145)، ووقعت حروب مع البربر كبيرة» (146).

العرب المشار إليهم أعلاه هم عرب بنو جابر من جشم، وأما البربر فهم قبائل بلاد ملوية والبلاد المجاورة لفاس ومكناس، ويحدد محمد بن الطيب القادري تاريخ اجتماع هؤلاء على أحمد الدلائي كما يلي :

«في نصف ربيع الأول عام 1088 هـ ثارت قبائل ملوية من البربر واجتمعوا على الرئيس أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي، ونصروه» (147) وبعد أن استعرض الغارة على القبائل المجاورة لضم ولائها إليه، أشار إلى أنه وقعت حروب بينه وبين عرب تادلة، واخرجوا منها المخازنية وحدد لذلك تاريخ «يوم الأحد أو الاثنين مهل جمادى الثانية» (148) من سنة 1088 وبعد هذه المعركة أرسل المولى اسماعيل «ألفين من المخازنية وجمعوا عليهم عرب تادلا مع القبائل المجاورة للبربر من بلاد ملوية ومعه قائده يخلف» (149).

ويصف القادري ما وقع بعد ذلك قائلا : «فوقعت بينهما حروب قتل فيها من جيش الخليفة نحو الألفين، وقائده يخلف، وانهزم الجيش ثم وجه جيشا آخر ووقعت

(142) الهامش رقم (3) من الصفحة : 198.
(143) عام 1088 هـ.
(144) السلطان مولاي اسماعيل العلوي.
(145) المقصود بالقصبة هي مدينة داي – بني ملال.
(146) التقاط الدرر ص : 204.
(147) نشر المثاني ج : 2. ص : 229.
(148) نشر المثاني ج : 2. ص : 229.
(149) نشر المثاني ج : 2. ص : 229.

مقتلة عظيمة بينهم» (150) ويظهر أن المعركة لم تحسم لصالح المولى اسماعيل لذلك فقد «توجه إلى حربه مولانا الخليفة اسماعيل بن مولانا الشريف الحسني، فنزل عليه بتادلا وحاصره بقصبتها» (151).

ومعلوم أن القصبة المشار إليها هي بني ملال حاليا، وربما لهذه الأسباب فكر المولى اسماعيل في إنشاء ثكنة عسكرية قريبة من المنطقة تكون وسط القبائل العربية للتضامن معها وضمان الولاء المطلق للسلطة المركزية، وبعيدة نسبيا عن الجبال وقريبة في نفس الوقت للتدخل السريع ومما يزيد في الموقع الاستراتيجي لقصبة تادلة هو وجودها للاشراف على القنطرة التي شيدها المولى اسماعيل بجانب القصبة، ودور هذه القنطرة هو عبور النهر بطريقة سريعة وسليمة للرجال والعتاد الحربي، وعلى طول أيام السنة وفصولها وكيفما كانت أحوال النهر المائية، وهو الشيء الذي كان يتعذر إبان فصل الفيضان مما كان يعطي فرصة للقبائل إلى يسار النهر في توحيد صفوفها.

كل ذلك بطبيعة الحال بالاضافة إلى المنافع التي تستفيدها منها القوافل التجارية، والاختلاط اليومي لسكان الضفتين.

وقد أشارت دائرة المعارف الاسلامية إلى الفتنة التي أشعلها أحمد الدلائي ضد المولى اسماعيل بما يلي : «وفي عام 1088 هـ (1677 — 1678 م) واجه مولاي اسماعيل فتنة خطيرة قام بها زناكة تادلا بتحريض أحمد بن عبد الله الدلائي» (152).

ويظهر أن التحركات العسكرية استمرت في سنة 1089 هـ من طرف إخوة مولاي اسماعيل وبمساندة من قبائل بني عمير، وآيت عطة.

يقول محمد بن الطيب القادري «وفي تاسع عشر رمضان (1089) ورد إلى فاس خبر خروج إخوان مولانا الخليفة اسماعيل بن السلطان مولاي الشريف الحسني عليه وهم مولاي الحران ومولاي هاشم، ومولاي أحمد ثلاثة، ويُظْهِرُ هُم بعض بني عمير، وساروا إلى آيت عطة من البربر... فوجه إليهم مولانا اسماعيل المحلة.. فالتقى الجمعان بموضع يعرف بغيطة من بلاد آيت عطة» (153).

وتشير دائرة المعارف الاسلامية إلى أن المولى اسماعيل اضطر إلى انفادِ حملة

---

(150) نشر المثاني ج : 2. ص : 229.
(151) نشر المثاني ج : 2. ص : 287.
(152) ص : 459.
(153) نشر المثاني ج : 2. ص : 252.

أخرى على إقليم تادلة، وذلك بعد إحدى عشرة سنة من معركته ضد آيت عطة وبعض بني عمير. وفي هذه الحملة الأخيرة أشارت دائرة المعارف إلى أنه قام ببناء قصبة تادلة الحالية وجعلها على شكل ثكنة عسكرية أحاطها بسور عال جدا وزودها بكل ما تحتاج إليه من مخازن للذخيرة، والقوت، والأسلحة، والمسجد الجامع، بما في ذلك السجن تحت أرضية جزء منها. وكان بناء هذه القصبة مشرفا على القنطرة الرابطة بين ضفتي نهر أم ربيع وذلك لحمايتها من التدمير.

وكان ذلك كما أشارت إليه دائرة المعارف «في عام 1099 هـ (1687 — 1688 م) اضطر إلى انفاذ حملة أخرى انتهت ببناء قصبة في كل من أدخسان بالقرب من خنيفرة وتادلا ودلاء» (154).

وبذلك تكمل خلال هذه السنة 1988 ثلاثة قرون على بناء القصبة بإقليم تادلا ... ألا تدفعنا هذه الذكرى إلى الاحتفال بعظمة هذا السلطان ؟! ... ألا تدفعنا إلى الاهتمام بهذه المدينة من جديد بصفة خاصة، واقليم تادلا بصفة عامة ؟! ... ألا تدعونا إلى الاهتمام والعناية بالترميم والاصلاح لهذه القصبة التي ما تزال قائمة شامخة تتحدى الزمن ؟!!!.

أما مهمة هذه القصبة بالاضافة إلى ما ذكر سابقا فإنها كانت ضمن استراتيجية عامة لضمان النظام والأمن داخل الوطن المغربي أيام المولى اسماعيل بواسطة الجيش النظامي الذي أنشأه المولى اسماعيل.

وفي ذلك يقول أحمد عسة (155) «ولم تكن مهمة الجيش في عهد اسماعيل قاصرة على الدفاع عن حوزة المملكة، وإنما كانت تناط به مهام الأمن الداخلي كذلك، ولهذا أقام مولاي اسماعيل معاقل في كل النقاط الستراتيجية داخل البلاد وعلى حدودها، وخصص لكل معقل منها حامية يتراوح عددها بين ثلاثة وأربعة آلاف جندي، وقائد كل حامية مسؤول عن أمن منطقته وسلامتها».

وبذلك تتحول السلطة الاقليمية من (داي / قصبة تادلة / بني ملال) إلى القصبة الاسماعيلية المعروفة اليوم بقصبة تادلة، ومن يد شيوخ القبائل بالمنطقة إلى قائد الحامية بالقصبة، ومنذ تأسيس قصبة تادلة (حاليا) سيتحول الاهتمام المركزي من قصبة تادلة (داي سابقا) إلى القصبة الاسماعيلية التي أصبحت عاصمة للاقليم بدل مدينة داي.

---

(154) ص : 459.

(155) المعجزة المغربية ص : 90.

مولاي عبد الله

بعد أن عرف الاقليم الولاء لمولاي اسماعيل لمدة أكثر من نصف قرن فقد قَضى عام 1727 و «عاش المغرب بعد وفاة مولاي اسماعيل ثلاثين عاما (من 1727 إلى 1757) ذاق خلالها من الويلات والاضطراب والدماء والفوضى الوانا» (156).

وكان السبب في هذه الويلات والحروب الأهلية المتعددة والمتواصلة في نظر أحمد عسة «فريقان : أولهما أولاد مولاي اسماعيل الذين تنافسوا على السلطان، وثانيهما كبار رجال الجيش الذين طمعوا بمال الدولة» (157).

أما المولى عبد الله فقد وصل إلى العرش بعد وفاة أُخَوَيه أحمد ولي عهد مولاي اسماعيل، وعبد الملك «وكان وصوله إليه من الجيش عبيدا وودايا وبإقرار كبار رجال القصر» (158).

غير أن الوصول انقطع خمس مرات ولم يثبت المولى عبد الله في العرش إلا في العودة السادسة لعرش المغرب...

لذلك كان ولاء الاقليم تارة يتصل بالحكم المركزي، وتارة ينقطع لتبقى السلطة في يد القواد المحليين أو بعض شيوخ القبائل، وأحيانا سائبة بدون رقيب، إلا رقيب القوة الشخصية ورهبة السلاح.

ويستنتج من استقراء النصوص التاريخية أن المولى عبد الله كان يلقى التأييد المطلق من قبائل تادلا حتى أنه كان يتخذها مقرا لتسيير شؤونه المدنية والعسكرية، ومكانا يشرف منه على تنظيم جيشه وجمع التأييد حوله قبل الدخول لاحدى العاصمتين (مراكش أو فاس) وأشار الضعيف الرباطي إلى هذه التحركات التي كان يلقى فيها التأييد من القبائل بتادلا قال : «ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف 1143 هـ، فيها نهض إلى ناحية تادلا، فاستولى عليها وعلى أعمالها وعلى آيت يمور ومن جاورهم من البرابر من آيت مالو وزمور» (159).

وأشار الضعيف الرباطي كذلك إلى اتخاذ المولى عبد الله لاقليم تادلا مركزا لتسيير العمليات العسكرية فقال : «وفي تلك السنة (160) أتوه بيوسف أحنصال

(156) أحمد عسه المعجزة المغربية ص : 95.

(157) المعجزة المغربية ص : 95.

(158) المعجزة المغربية ص : 98.

(159) تاريخ الضعيف ص : 112.

(160) سنة 1143 هـ

مقيدا في السلاسل والأغلال، وكان ثار بأطراف سوس وقَبَضَتْه هناك محلة العبيد وبعثوه إلى حضرة مكناسة مقيدا في الحديد فاعتقلوه بسجنها إلى أن بعثوه إلى أمير المؤمنين مولاي عبد الله بتادلا... ولحقوا بأمير المؤمنين بتادلا» (161).

ورغم ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية من أن مولاي عبد الله «في عام 1142 هـ (1729 – 1730 م) اضطر إلى امتشاق الحسام ثانية في تادلا فقاتل آيت يمور وهزمهم هزيمة منكرة» (162).

رغم كل ذلك فقد استمر الاقليم على ولائه لمولاي عبد الله.

ومما يثبت ولاء الاقليم لمولاي عبد الله، واحترام شخص السلطان فيه قُدومه على اقليم تادلا بعدما خلعه رؤساء العبيد سنة 1147 هـ، وبقاؤه فيها لبعض الأيام في سلامة وأمن. قول الضعيف في تاريخه «وفي يوم الأحد الثامن والعشرين من ربيع الثاني من عام سبع وأربعين ومائة وألف خلعه رؤساء العبيد وتابعهم على ذلك أهل فاس ... وسار السلطان مولانا عبد الله مع جملة من أصحابه إلى ناحية تادلا وأقام بها بعض الأيام» (163).

وأما ما يثبت أن مولاي عبد الله قد اتخذ من إقليم تادلا مقرا لتسيير شؤون الدولة فهو ما أوردته المصادر، وأشار إليه أحمد عسَّة قائلا : «نقل المولى عبد الله مقره من واد زم إلى مكناس، ليتخلص من عبث الجيش الزنجي أمامه، ولكن نقل مقر إقامته لم يخفف متاعبه» (164).

سيدي محمد بن عبد الله

وتنتهي علاقة الولاء بين الاقليم ومولاي عبد الله بوفاته رحمه الله عام 1757 حيث بويع لابنه سيدي محمد بن عبد الله في نفس العام ويظهر من بعض النصوص أن بعض القبائل بدأت تتحرك بطريقة أو بأخرى، مما دعا السلطان سيدي محمد بن عبد الله في أواسط شوال (165) إلى أن يذهب «لآيَتْ يمور بتادلا فأوقع بهم، وقتل

---

(161) تاريخ الضعيف ص : 112.
(162) دائرة المعارف الاسلامية ص : 460.
(163) تاريخ الضعيف الرباطي ص : 115.
(164) المعجزة المغربية ص : 101.
(165) تاريخ الضعيف ص : 174.

منهم ما ينيف على الستمائة، وقطع رؤوسهم، وبعث بها إلى الرباط وسلا، ومنها إلى مكناسة ومنها إلى فاس، وأمرهم بتعليقها بباب افتوح» (166).

غير أن المؤرخ لم يذكر أسباب هذا الانتقام الذي قام به سيدي محمد بن عبد الله ضد قبائل آيت يمور بتادلا.

وقد أرخ الضعيف لهذه الوقعة في مكان آخر من كتابه وذلك عندما جمع مولاي سلامة ابن سيدي محمد بن عبد الله أعيان آيت يمور في سنة 1206 هـ واعترف لهم بالفضل والشهامة وروح الانضباط العالية فيما يتعلق بالأسرة المالكة وقال «لما أوقع بكم أبي رحمه الله بتادلة، سنة ست وسبعين ومائة وألف، كنت صغير السن فجمى فرسي معكم فما آذيتموني» (167).

ومن ذلك يظهر الاحترام الكبير الذي تكنه القبائل بالاقليم للأسرة المالكة مهما بلغت العلاقة من تأزم، ومهما كان العقاب أو شكله، فإن الأمر لا يتعدى التعبير عن الذات بشكل أو بآخر ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتحول الأمر إلى عداء واضح أو انتقام ذنيء، أو تطلع غير مشروع.

ويتجلى هذا الاحترام كذلك في الانصياع لأوامر سيدي محمد بن عبد الله القاضية بترحيل سكان آيت يمور من إقليم تادلة إلى اقليم فاس، واحلال قبائل سمكت وكطاية ومجاط محلهم، أشارت إلى ذلك دائرة المعارف بقَوْلِهَا «وفي عام 1179هـ (1765 - 1766م) لم يجد السلطان محمد بن عبد الله بُدّاً من إبعادهم مدة من الزمن إلى جبل سلفاط بالقرب من فاس، وأسكن مكانهم بصفة مؤقتة كطاية وسمكت ومجاط» (168).

كما أشارت المصادر (169) كذلك إلى أنه «في عام (1199 هـ) (1784 – 1785م) اضطر السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى تخريب زاوية بُوجَّدْ، وحبس رئيسها محمد العربي الشرقاوي» (170).

مولاي يزيد بن محمد بن عبد الله

«خلف مولاي يزيد والده سيدي محمد عند وفاته ولم يدم ملكه أكثر من

(166) عام 1179 هـ.
(167) تاريخ الضعيف ص : 246.
(168) ص : 460 مادة «تادلا».
(169) دائرة المعارف الاسلامية.
(170) ص : 460 مادة (تادلا). بُوجَّدْ : بُوجَّعْد.

عامين» (171) إذن علاقة الاقليم بالسلطان مولاي يزيد لم تزد على السنتين، وربما لم يقع في هذه الفترة شيء يذكر بالاقليم... «وجاء مقتل المولى يزيد مفاجئا في معركته مع أخيه هشام» (172).

مولاي سلامة بن محمد بن عبد الله

استطاع مولاي سلامة أن يدرك الطبع الحقيقي لقبائل إقليم تادلا والمتميز بمعرفة الحدود المرسومة التي لا ينبغي تخطيها، لذلك استدعى رؤساء آيت يمور وكرْوان بالاقليم.

«في يوم الاثنين الثالث من شعبان، (173) عَمُرَ المشور بالظهر الطويل ... ومَجَّد آيت يمور وكروان وَأثنى عليهم بالشجاعة... ثم قال : لما أوقع بكم أبي رحمه الله بتادلة سنة ست وسبعين ومائة وألف كنت صغير السن، فجمى فرسي معكم فما آذيتموني، والآن نأمركم أن تتعرضوا لمحلة العبيد التي ترك أخونا اليزيد بمراكش فإنها داخلة لمكناسة» (174).

وهكذا فرغم معاينة مولاي سلامة للوقيعة التي أوقعها والده بآيت يمور فإنه رآى من وفائهم وتفانيهم في خدمة المشروعية ما شجعه على استخدامهم ضد جيش العبيد المتسلط على السلطة في البلاد وهو نفس الموقف الذي شجع جده مولاي عبد الله على اتخاذ اقليم تادلا مقرا لتنسيق عملياته الحربية كلما عزله جيش العبيد، إنه الموقف المنسجم مع المشروعية، والمدافع عنها أبدا أينما كانت.

مولاي سليمان

يظهر من النصوص التي أوردها محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي، في تاريخه أن العلاقة بين أهل الاقليم والحكم المركزي قد عرفت نوعا من التوتر، ويتجلى ذلك في الحملات التي نظمها على (البربر) بالمنطقة عام 1215 هـ، والاصطدام الذي حدث بين أهل تادلا وَورْدِيغة وبني موسى، وعَامِل السلطان على الاقليم الغازي بن المواق بن المدني الشاوي، في العام الموالي 1216 هـ، يقول محمد الضعيف : «وفي يوم

---

(171) أحمد عسه المعجزة المغربية ص : 116.

(172) المصدر السابق ص : 177.

(173) عام 1206 هـ.

(174) تاريخ الضعيف ص : 246.

الاثنين 10 جمادى الثانية (1216 هـ)، اشتعل الحرب بين محلة السلطان (175) وأهل تادلا من بني موسى فانهزموا... وفي يوم الجمعة 12 من رجب، ورد على الرباط العبيد والودايا الحاركين من تادلا. تركوا الغازي مع الشاوية بِٱلْغْشَا على ورديغة واشتعلت النار بين أهل تادلا وبين المحلة وثار البعض من أهل تادلا على المحلة ببُجَّعْد فأنزلوهم على الخيل، وبقي ابن الغماري محصورا بِبُجَّعْدِ، وخرج سيدي العربي ليرد الخيل من أهل تادلا... لأن السلطان عَمَّلَ عليهم الغازي بن المواق بن المدني الشاوي فلم يريدوه» (176).

وربما استمرت القلاقل بالاقليم لسبب أو لآخر، وهو ما دفع مولاي سليمان «عام 1222 هـ (1807 — 1808 م) إلى أن ينفذ حملة على بني موسى وآيت عتاب ورفالة لتأديبهم» (177) غير أن المصدر لم يشر إلى الداعي لهذه الحملة التأديبية للاقليم.

ويضيف نفس المصدر (178) أنه في العام (1224 هـ 1809 — 1810 م) انفذت حملة أخرى على تادلا (آيت سري) وثالثة على عرب أرديغة» (179).

ولعل هذه الأحداث جعلت السلطان، مولاي سليمان ينظر بعين غير راضية على أهل الاقليم وإن كانت المصادر التي تحت يدي لم تشر إلى أسباب هذه القلاقل التي أحدثت الجفوة بين السلطان وبين أهل الاقليم، ويتجلى غضب السلطان فيما أورده محمد الضعيف في تاريخه من أن مولاي سليمان «في يوم الأحد 17 صفر (1227 هـ) وجه صاحبه القائد الجماهري لثلاثة رجال من البرابر فقطع أيديهم — وهم من ناحية تادلا — وأرجلهم أيضا» (180).

وإلى سنة 1231 هـ ما يزال هذا التوتر قائما بين السلطة المركزية والاقليم، ويتبين ذلك من خلال النص الذي سأورده من تاريخ محمد الضعيف الرباطي، وفيه أن مولاي سليمان خرج من مراكش إلى تادلة، حيث قامت الجيوش بتمزيق أهل ورديغة وسماعلة بجوار مدينة بجعد «اَلْمَكْرَطْ» يقول الضعيف «ولما خرج السلطان من مراكش يوم الأربعاء (ربيع الأول 1231 هـ) ونزل بطرف بلاد بني مسكين، وفي يوم

---

(175) السلطان مولاي سليمان ص : 323.

(176) تاريخ الضعيف ص : 323.

(177) دائرة المعارف الاسلامية ص : 460.

(178) دائرة المعارف الاسلامية ص : 460.

(179) تاريخ الضعيف ص : 369.

(180) تاريخ الضعيف ص : 369.

الجمعة 24 منه سار لبجعد، وفي يوم الأحد 3 ربيع الثاني رحل عنهم بعدما ودع الهداية، وقد نزلت المحال على ورديغة قبل نهوض السلطان من مراكش نزل الباشا العربي بن بلال بعرب الويدان، ونزل عليهم الباشا أُقْرِيرَان مع قبائل الشاوية، وابن الغازي الزموري، بمحلة البرابر، فرحلت قبيلة ورديغة ونزلوا على بجعد بالمكرط وزاوكوا (181) به» (182).

ورغم هروب ورديغة إلى بجعد فإن هروبهم لم يُجْدِهِمْ شيئا مع قادة الجيش الذين انقضوا عليهم «وحين قطع السلطان وادي أم الربيع نام بفسطاطه نحو الساعة والنصف وفي هذا الوقت الذي نام ذهبت المحال لقبائل ورديغة فأكلوهم أَكْلًا لَمًّا بِالْمَكْرَطْ، وفي مقدار تلك الساعة ونصف انْتَكَلَتْ ورديغة ولم تبق لهم باقية، ونهبوا مالهم وخيامهم وسبوا نساءهم وبقوا عبرة للمعتبرين وجاء الخبر للسلطان وسيدي العربي (183) معه» (184).

ولعل من الأخطاء التاريخية للمؤرخين السابقين أن يصوروا الحملات العسكرية على هذا الاقليم أو ذاك، ويذكرون الخسائر والخراب والدمار الذي يعقب هذه الحملات دون ذكر الأسباب الداعية إليها حتى يستطيع القارىء أن يُكَوِّنَ نظرة شاملة عن الحدث تتناول الأسباب أولا ثم العواقب ثانيا، ليتمكن من إصدار الأحكام المعقولة والموضوعية.

أما أن نعرض الحدث التاريخي من وجهة واحدة فهو تحيز لجانب وتحامل على الجانب الآخر.. وضبابية في الأخير، وعجز عن إصدار الأحكام.

ويستطرد محمد الضعيف في الوصف للحدث السابق «ثم ورد السلطان على بجعد فوجدهم حفاة عراة، وكانوا مفترقين على أربعة أرباع : أما بني خيران وأولاد الجار فأكلوا بتشرافت، وأما بنو زمور – فرقة كبيرة من اسماعلا – فأكلوا بالقصابي وقطعوا من رؤوسهم (122 رأسا) ونزل السلطان بقروم وكانت هذه الوقعة الأولى يوم الأحد 26 ربيع الأول (1231 هـ» (185).

هكذا يورد الضعيف هذه الوقائع المفجعة دون أن يذكر الأسباب المؤدية إليها

---

(181) اعتصموا به واحترموا به.

(182) تاريخ الضعيف ص : 365.

(183) سيدي محمد العربي الشرقاوي شيخ الزاوية الشرقاوية آنذاك.

(184) تاريخ الضعيف ص : 395.

(185) تاريخ الضعيف ص : 395.

لا من بعيد ولا من قريب ... إلا أنه يلقي الضوء على جانب من تسيير أمور الجيش فهو يشير إلى نوم السلطان في فسطاطه لمدة ساعة ونصف، ثم يقرر بأن هذا الوقت كان كافيا لحسم الموقف في المنطقة، وكأنه يريد تبرئة مولاي سليمان ... غير أنه لم يلبث أن يشير إشارة أخرى إلى ورود الخبر إلى «السلطان وسيدي العربي معه، وكان يظن أنه قبل شفاعته» (186). أي شفاعة سيدي العربي في أهل تادلا. ثم في آخر النص يورد ما يوحي بتجاوز بعض قادة الجيش إرادة السلطان كنوع من المبالغة في إظهار الولاء والاخلاص، حتى ولو تعلق الأمر بأسلوب يتنافى مع إرادة السلطان، أو بتأديب جماعة يعلم السلطان ولاءها وطاعتها له وهو ما أشار إليه الضعيف حينما قال : «وأما الباشا العربي بن بلال وابن الغازي الزموري فأكلا الفرقة الباقية من اسماعلا، ولم يرد السلطان أكلهم لأنهم كانوا طاعة» (187).

وهنا في استعراض علاقة الاقليم بالسلطان مولاي سليمان العلوي لابد من الاشارة إلى العلاقة الودية التي كانت بين السلطان مولاي سليمان وسيدي محمد العربي الشرقاوي شيخ زاوية بجعد، رغم ما كان يعكر صفو هذه العلاقة من أحداث مزعجة بين أهالي الاقليم ومولاي سليمان، وكانت تلك العلاقة الطيبة هي التي دعت مولاي سليمان إلى اعطاء هبة مالية للزاوية (188) وبناء مسجد بوجعد (189) وهو الذي ما يزال يعرف بجامع مولاي سليمان (190).

مولاي عبد الرحمان بن مولاي هشام العلوي

أشارت دائرة المعارف الاسلامية (191) إلى أن السلطان مولاي عبد الرحمان نظم حملة على بني موسى لقتلهم واليهم أحمد بن زيدوح تقول : «وفي عام 1269 هـ (1852 – 1853 م) اقتصَّ السلطان عبد الرحمان بن هشام من بني موسى لقتلهم واليِهم أحمد بن زيدوح».

ويبدو أن حملة مولاي عبد الرحمان كانت حملة تأديبية انتقامية لاعتداء بني موسى على أحمد بن زيدوح، غير أن هذا المصدر اغفل هو الآخر الأسباب التي

(186) تاريخ الضعيف ص : 395.

(187) تاريخ الضعيف ص : 395.

(188) أحمد بوكاري الزاوية الشرقاوية ص : 237.

(189) دائرة المعارف الاسلامية ص : 460. والاستقصا ج : 8. ص : 173.

(190) أحمد بوكاري الزاوية الشرقاوية ص : 235.

(191) ص : 460 مادة «تادلا».

دعت إلى قتل الوالي، لأنه بدون ذكر الأسباب تبقى صورة بني موسى في الأذهان هي صورة الفوضى، والشغب، والقسوة وعدم الانضباط والامتثال للحكم المركزي الذي يمثله الوالي في المنطقة.

سيدي محمد بن عبد الرحمان

ولنفس الغاية التي من أجلها نظم مولاي عبد الرحمان الحملة على بني موسى نظم ابنه سيدي محمد بن عبد الرحمان كذلك حملة أخرى على قبائل تادلا وبني موسى عام 1289 هـ (1872 — 1873 م) «وهم السماعلة وبنو زمور وبنو عمير، لانتقاضهم على واليهم» (192).

وهكذا تتكرر الحملات على الاقليم بسبب سوء علاقة الولاة بأهالي الاقليم، مما يستدعي التدخل المركزي لتدعيم موقف الوالي.

مولاي الحسن الأول

أما في عهد المولى الحسن الأول فإن المصادر تشير إلى أن السلطان «لم يجد مناصا من الاغارة على بني عمير وبني موسى كي يستتب الأمن في البلاد، واقتص في العام التالي من آيت اعتاب» (192) مكرر.

وإذا كان المصدر السابق لم يحدد تاريخ هذه الاغارة فإن العباس بن ابراهيم أورد بعض التفصيلات لهذه الغارة قائلا : «ثم نهض السلطان بعد عيد الفطر (السنة 1294 هـ) من زبيدة (من،بلاد زعير) يؤم البلاد المراكشية، فاجتاز بتادلة وسكن قبائلها وأوقع ببني عمير، وقبض منهم على ما يناهز أربعمائة مسجون سيقت في السلاسل والاغلال إلى السجن، وفر بنو موسى إلى رؤوس الجبال حتى استنزلهم السلطان على الامان، ودخلوا في الطاعة والتزموا الخدمة» (193).

وبعد هذه الحادثة بسنتين يعود السلطان مولاي الحسن الأول إلى المنطقة «ثم كان نهوض السلطان أيده الله من مراكش قاصدا بلاد الغرب غرة جمادى الأولى سنة ست وتسعين ومئتين وألف، فاجتاز في طريقه بتادلة واناخ على قبيلة آيت عتاب، فأوقع بهم في أوعارهم وأعز معاقلهم وأوكارهم، وقطع منهم واحدا وعشرين رأسا، ثم زحف إلى بني موسى فأدوا الطاعة وقاموا بواجبها» (194).

---

(192) دائرة المعارف الاسلامية ص : 460.

(192) مكرر : دائرة المعارف الاسلامية ص : 460.

(193) الاعلام بمن حل مراكش ج : 3. ص 188.

(194) العباس بن ابراهيم. الاعلام بمن حل مراكش ج : 3 ص : 188.

وهكذا أيضا يورد صاحب الاعلام هذه الحملات دون ذكر السبب الذي استوجبها.

أما مولاي الحسن الأول فقد شاءت الأقدار أن يوافيه الأجل المحتوم «في تادلا على أم الربيع عام 1311 هـ يونيه 1894 م» (195).

ويفسر أحمد عسة سبب وجوده في تادلة وقت وفاته رحمه الله قال : «رحم الله مولاي الحسن الأول، فقد قضى في تادلا عام 1894 م عندما كان في طريقه مع جيشه من مراكش إلى شمال المغرب لقمع فتنة قامت في الريف بعد أن جلس على عرش «الامبراطورية الشريفة» كما كان يدعى المغرب قبل استقلاله، إحدى وثلاثين عاما» (196) والواقع أنه قضى إحدى وعشرين سنة وليس واحدا وثلاثين عاما كما ذكر سابقا. فقد تولى العرش بعد وفاة والده سيدي محمد الرابع عام 1873 م (197) وتوفي عام 1894 م أي بعد واحد وعشرين عاما من ولايته العرش.

وقد فصَّل الناصري الحديث عن وفاة السلطان مولاي الحسن الأول بتادلة حيث قال : «وفي آخر هذه السنة (1311) هـ، كانت وفاة السلطان مولاي الحسن بن محمد رحمة الله عليه ورضوانه فإنه خرج من مراكش فاتح ذي القعدة من السنة المذكورة غازيا قبائل البربر الذين بجبال فازاز لاسيما آيت سخمان الذي انحدروا بأصحابه وابن عمه حسبما تقدم قريبا، وكان رحمه الله قد قدم من حركة تافيلالت وهو مريض مرضا خفيفا في الظاهر ولكنه مزمن في الباطن، فكان يتكلف معه الخروج للناس وينفذ القضايا ويجلس للوفود ويجيزهم ويفعل جميع الأمور المخزنية، ثم خرج من مراكش في التاريخ المذكور على مابه من الألم والمرض وتحامل حتى انتهى إلى وادي العبيد من أرض تادلا فأدركه أجله هنالك في الساعة الحادية عشرة من ليلة الخميس ثالث ذي الحجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، وحمل في تابوت إلى رباط الفتح ودفن بإزاء جده الأعلى سيدي محمد بن عبد الله رحمة الله على جميعهم آمين. وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر» (198).

---

(195) دائرة المعارف الاسلامية ج : 460. مادة – تادلا –.
(196) المعجزة المغربية ص : 141.
(197) المعجزة المغربية ص : 130.
(198) الاستقصا ج : 9. ص : 207.

ثالثا – ملوك مروا بالمنطقة

1 – مولاي ادريس

2 – عبد الله بن ياسين

3 – أبو بكر بن عمر اللمتوني

4 – يوسف بن تاشفين

5 – عبد المومن بن علي

6 – يعقوب بن عبد الحق المريني

7 – مولاي اسماعيل

8 – مولاي عبد الله

9 – سيدي محمد بن عبد الله

10 – مولاي سليمان

11 – مولاي الحسن الأول

ملوك مَرُّوا بالاقليم

في هذا الجزء من البحث سأحاول استعراض ماوصل إلى علمي من زيارات الملوك إلى اقليم تادلة سواء تعلق الأمر بالزيارات التفقدية أو زيارات بسط النفوذ، وسأعرض هذه الزيارات حسب تسلسلها التاريخي :

1 – **مولاي ادريس بن عبد الله الحسني،** كانت زيارته الأولى للاقليم في سنة 172 هـ وارتبطت ببسط نفوذه، ونشر الاسلام (199).

2 – **عبد الله بن ياسين** من الدولة المرابطية كانت زيارته في عام 449 هـ عندما غزا مدينة اغمات وأقام بها «نحو الشهرين ريثما استراح الجند، ثم خرج إلى تادلا ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوي فقتله» (200).

3 – **أبو بكر بن عمر اللمتوني،** مر من تادلة أثناء عودته إلى الصحراء عندما علم باضطراب الأحوال فيها، فسافر «من أغمات وجعل طريقه على بلاد تادلة ... وكان سفر أبي بكر بن عمر إلى الصحراء في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة 453 هـ» (201).

4 – **يوسف بن تاشفين،** خرج من مراكش عام 454 هـ قاصدا فاس حيث دارت المعركة (202) في مدينة صدينة قرب فاس، انتصر فيها يوسف وبذلك وسع نفوذه من جنوب المغرب إلى نواحي فاس.

5 – **عبد المومن بن علي الموحدي،** كانت بيعته العامة في يوم الجمعة 20 ربيع الأول سنة 526 هـ (9 يبراير 1132 م) «وكانت أول غزوة غزاها في خلافته غزوة تادلة

---

(199) علي بن أبي زرع. الأنيس المطرب، ص : 20.
الاستقصا ج : 1. ص : 156. الاعلام للزركي (ادريس بن عبد الله).

(200) الاستقصا ج : 2 ص : 14. الاعلام بمن حل مراكش ج : 1. ص : 197.

(201) الاستقصا ج : 2 ص : 20. الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام ج : 1. ص : 202.

(202) الاستقصا ج : 2 ص : 25.

خرج لها من تينمل يوم الخميس 24 ربيع الأول من سنة 526 هـ (13 يبراير 1132) ... حتى وصل تادلا فغنمها وسبا أهلها وانصرف» (203) كانت زيارة عبد المومن للاقليم زيارة لبسط النفوذ الموحدي، مكان النفوذ المرابطي.

6 – **يعقوب بن عبد الحق المريني** عام 666 هـ في رجوعه من حربه مع يغمراسن «غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأثخن فيهم، واستباحهم ثم نزل وادي العبيد فأقام هنالك أياما» (204) وجعل علي بن أبي زرع هذه الغارة ليعقوب بن عبد الحق على تادلة في سنة 667 هـ (205).

7 – **مولاي اسماعيل العلوي**، عندما ثار عليه ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز «في سنة خمس وثمانين عاد (ابن محرز) إلى مراكش واستولى عليها وخرج المولى اسماعيل لحربه في العساكر على طريق تادلة فكان اللقاء بينهما على أبي عقبة من وادي العبيد» (206).

8 – **مولاي اسماعيل**، عاد إلى منطقة تادلة في سنة 1088 هـ عندما ثار عليه أحمد بن أحمد بن محمد الحاج الدلائي فتوجه «إلى حربه مولانا الخليفة اسماعيل بن مولانا الشريف الحسني فنزل عليه بتادلا وحاصره بقصبتها» (207).

9 – **مولاي عبد الله بن اسماعيل العلوي**، اتخذ من قصبة تادلة الحالية شبه عاصمة له، كما كان يلجأ إليها كلما عزله العبيد عن الحكم ومن هذه الزيارات والاقامات التي كان يقيمها بقصبة تادلة :

1) إقامته بها عام 1143 هـ «دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف 1143 هـ، هـ، فيها نهض إلى ناحية تادلا، فاستولى عليها وعلى أعمالها» (208) وفي إقامته هذه قتل يوسف أحنصال.

2) عاد مولاي عبد الله إلى قصبة تادلة عام 1147 هـ عندما عزله عبيد

---

(203) علي بن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص : 186.
أحمد بن خالد الناصري الاستقصا ج : 2. **ص** : 106. ص : 100.

(204) الاستقصا ج : 2. ص : 252.

(205) الأنيس المطرب ص : 306.

(206) العباس بن ابراهيم. الاعلام ج : 2. ص : 322.

(207) محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني ج : 2. ص : 287. ص : 229.

(208) محمد الضعيف الرباطي. تاريخ الضعيف ص : 112.

البخاري ... «وسار السلطان مولانا عبد الله مع جملة من أصحابه إلى ناحية تادلا، وأقام بها بعض الأيام» (209).

3) «في سنة ثمان وأربعين ومائة وألف، وفيها ظهر السلطان مولانا عبد الله بتادلا في خاصة من أصحابه، ونزل عليها، وهناك لحقته بيعة العبيد، وأهل مكناسة الزيتون» (210) وكانت هذه هي البيعة الثانية لمولاي عبد الله «في يوم عشرين من ذي الحجة من عام ثمان وأربعين ومائة وألف .. وقتل في هذه المدة رؤساء وكبراء عبيد الرملة سالم الدكالي ... القائد قدور العسري وعلي الدكالي وأولاد الباشا سالم الدكالي، القائد عبد الرحيم، فجعل كل واحد في خنشة من الكتان وشد عليه شدا وثيقا ورماهم في وداي أم الربيع» (211).

4) وكان مولاي عبد الله بتادلة عام 1149 هـ عندما أعاده الجيش إلى السلطة ففرح بذلك أصحاب الزوايا ورجال الفكر والدين لاحترامه وتقديره لهم ... لذلك «خرج الشرفاء والعلماء من فاس فلاقوا مولاي عبد الله بتادلا ففرح بهم» (212) وهذه المرة اتخذت قصبة تادلة شكل العاصمة السياسية لمولاي عبد الله حيث أخذ في تسيير شؤون البلاد من مقره بها.

5) عاد مولاي عبد الله إلى تادلة في عام 1158 هـ حيث «رحل السلطان لتادلا، فجبى من أهلها أموالا» (213).

6) سيدي محمد بن عبد الله، قام بزيارة تأديبية لايت يمور بتادلا، في أواسط شوال عام 1179 هـ وربما في هذه الزيارة بالذات «أصابه مرض شديد في القصبة التي على أم الربيع، وكان طبيبه أحمد أدراق يباشره حتى أفاق من علته، وعاوده ما عرف من صحته فأعطاه ألف دينار وقال له هذه دية المسلمين الأحرار، فقال له الطبيب

---

(209) تاريخ الضعيف ص : 115.

(210) تاريخ الضعيف ص : 119.

(211) تاريخ الضعيف ص : 120.

(212) أنظر الاتحاف جزء : 4 ص : 308. الزياني : الترجمان : ورقة : 392.
محمد بن الطيب القادري التقاط الدرر ص : 369 ويظهر أن هناك اختلافا في تحديد تاريخ البيعة الثانية لمولاي عبد الله بين الضعيف وبين القادري ويقول مولاي هاشم العلوي محقق كتاب التقاط الدرر للقادري «وهي البيعة الثانية التي أدت إلى إعادة مولاي عبد الله إلى الحكم وتولي السلطة مرة ثانية وتمت هذه البيعة بتادلا في حجة 1148 هـ ماي 1736 م (التقاط الدرر ص : 368 هامش : 8).

(213) التقاط الدرر ص : 400.

ياسيدي هذه هي دية مطلق الناس، فزاده ألف دينار أخرى» إذن فقد مرض سيدي محمد بن عبد الله بالاقليم فأقام بقصبة تادلة تحت الرعاية الطبية لطبيبه المشهور أحمد أدراق حتى عاوده نشاطه المعتاد.

7) مولاي سليمان قام بحملة تأديبية لقبائل اسماعلة وبني خيران وورديغة وارفالا وانتيفا وبني عياظ بعد عيد المولد النبوي لعام 1224 هـ «ثم نزل السلطان بقصبة تادلا وأقام بها» (214).

8) وعاد مولاي سليمان لتأديب قبائل ورديغة بأبي الجعد عام 1231 (215)

9) أما مولاي الحسن رحمه الله فقد اجتاز بإقليم تادلا عام 1294 هـ «وسكن قبائلها وأوقع ببني عمير» (216).

10) وعاد مولاي الحسن إلى الاقليم غير أن المنية وافته «في تادلا على أم الربيع عام 1311 يونيو 1894» (217).

---

(214) تاريخ الضعيف ص : 347.

(215) تاريخ الضعيف ص : 395.

(216) العباس بن ابراهيم الاعلام ج : 3 ص : 188.

(217) دائرة المعارف الاسلامية مادة : تادلا : 460.

رابعا – ولاة الاقليم

في هذا الجزء سأحاول استعراض الولاة الذين قاموا بتمثيل السلطة المركزية بإقليم تادلة بادئا بالأسبق فالذي يليه حسب التسلسل الزمني، وسأذكر النصوص التي اعتمدتها في ذلك، تاركا الحديث عن ترجمات الشخصيات المذكورة إلى عدد آخر من هذا البحث.

1 – **الأمير أحمد بن ادريس الثاني**، كان واليا على مدينة تادلة (داي، فشتالة) وسائر بلاد الاقليم ضمن عمالة واسعة كانت تضم مدينة مكناس وبلاد خنيفرة، وذلك إبان فترة حكم أخيه محمد بن ادريس الذي تولى بعد أبيه فولى «أخاه أحمد مدينة مكناس وبلاد فازاز ومدينة تادلة» (218).

2 – أما في أيام **يوسف بن تاشفين** فإن إقليم تادلا أصبح تابعا لمنطقة الجنوب (مراكش وسوس) تحت امرة الأمير تميم بن يوسف وذلك «في سنة سبع وستين وأربعمائة ... وفيها فرق عماله على المغرب ... فولى ولده تميما مدينتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلة وبلاد تامسنة» (219).

3 – في أواخر أيام **عبد المومن الموحدي** «عقد لابنه السيد أبي الحسن علي على فاس وأعمالها» (220). فكان الاقليم تابعا لفاس.

4 – في دولة **يوسف (المنتصر) بن محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) الموحدي** «عقد للسادات على عمالات ملكه فعقد للسيد أبي ابراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن – ويلقب بالظاهر – على فاس وأعمالها وهو أخو المنصور ووالد المرتضى» (221).

(218) علي بن أبي زرع الانيس المطرب ص : 51.
أحمد بن القاضي جذوة الاقتباس ج : 1. ص : 203.
أحمد بن خالد الناصري الاستقصا ج : 1. ص : 172.

(219) علي بن أبي زرع. الأنيس المطرب ص : 142.
الناصري الاستقصا ج : 2 ص : 28.

(220) الناصري الاستقصا ج : 2 . ص : 119.

(221) الاستقصا ج : 2. ص : 218.

5 – في خلافة **الغالب بالله السعدي** كان ابنه الأمير الناصر خليفة لأبيه على إقليم تادلا [222].

6 – وفي خلافة **أحمد المنصور السعدي** «عقد لابنه أبي الحسن : علي على مكناسة وما ولاها وعقد لزيدان على بلاد تادلة» [223].

7 – «ثم عكس لأمر اقتضاه، فنقل زيدان لمكناسة ونقل أبا الحسن لتادلا، ولم يزل أمرهم على ذلك» [224].

وقال [225] عنه في الاعلام في الترجمة رقم 76 هو : «أبو الحسن بن أحمد المنصور الذهبي، ذو السمت الحسن والهدوء المستحسن قام في رعيته مقسطا عادلا لما أن ولاه والده تادلة».

هؤلاء الولاة الذين سبق ذكرهم كلهم كانوا أمراء بارزين مقربين من السلاطين الحاكمين، وهو ما يبلور الحيوية التي كانت للاقليم لدى سلاطين المغرب نظرا للاستراتيجية المهمة التي يلعبها الاقليم بحكم موقعه بين العاصمتين، وبتواجد أهم القبائل العربية بجوار قبائل صناكة المتواجدة بالاقليم سواء في السهل أو في الجبل. غير أنه فيما بعد أصبح يتولى هذه المهمة بالاقليم عمال أو باشوات أو قواد ذوي رتب عسكرية في الجيش المغربي ومن هؤلاء.

8 – في خلافة **مولاي اسماعيل**، كان الباشا عبد الكريم بن رحمون السوسي متوليا شؤون الاقليم، ذكره أحمد بوكاري «طلب الباشا عبد الكريم بن رحمون السوسي من سيدي العميري فقيها يصلي به ويعلم أولاده دينهم بقصبة تادلة» [226].

واصطلاح الباشا يعني «رتبة عسكرية اقتبسها المغرب من تركيا في العصر السعدي، تكتب بالألف مقصورة وهو الأكثر وبتاء وهو الأقل، وباشته أي باشاه، والضمير يعود على السلطان» [227].

9 – وفي أيام **المولى اسماعيل** كذلك تولى الامارة **مولاي أحمد ابن مولاي اسماعيل**، كان يقوم بمهمة العامل بالاقليم.

---

(222) محمد الصغير اليفراني نزهة الحادي ص : 100.

(223) المصدر السابق ص : 100.

(224) المصدر السابق ص : 100.

(225) العباس بن ابراهيم ج : 1. ص : 229.

(226) الزاوية الشرقاوية ص : 200.

(227) عبد الوهاب بن منصور الاعلام ج : 5. ص : 234. هامش (1).

10 – **القائد موسى الجراري** كان يخلف الأمير **مولاي أحمد** على الاقليم عندما يكون الأمير خارج منطقة ولايته وقد توفي القائد «مقتولا مع أصحابه على يد السلطان عبد الله بن اسماعيل العلوي وقد كان من قواد المولى اسماعيل» (228).

11 – **ولد الراضي الورديغي** كان عاملا على اقليم تادلا، في مدينة تادلة، ثم اعتقله السلطان **سيدي محمد بن عبد الله** في منتصف جمادى الثانية 1192 هـ (1778 م) وأودعه السجن مع باشا مراكش محمد القسطالي، ثم «قطع يد والد الراضي الورديغي، بعد أن دخل على داره بتادلا الباشا محمد بن أحمد الدكالي فوجد فيها ثلاثين قنطارا فِضَّة فاحتوى على خيله وماله» (229).

واضح من النص السابق مدى الغنى الفاحش الذي كان يعيشه بعض العمال وممثلي السلطات في الاقليم، وذلك نتيجة النهب الصريح لأموال الناس، وهو ما يفسر الآن ردود الفعل التي كانت تحدث بين الحين والآخر متجلية في رفض هذا العامل أو ذاك، وهو السبب نفسه الذي دعا بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إيداع ولد الراضي الورديغي السجن وقطع يده باعتباره سارقا لأموال الناس والدولة، وربما كان سبب هذا الغنى الفاحش يكمن في المهمة المنوطة بالعامل آنذاك، يحددها الحسن بن محمد الوزان كما يلي : «العامل هو صاحب السلطة المشرف على القضايا المدنية والجنائية .. ويستفيد العامل أموالا طائلة من الغرامات التي تفرض في كل وقت وربما كانت أشد عقوبة على المجرم هي جلده بمحضر العامل، مائة جلدة أو مائتين أو أكثر... ويأخذ العامل مثقالا وربع مثقال عن كل محكوم عليه بالاضافة إلى بعض المغارم المعينة، يؤديها له بصفة خاصة طائفة من التجار والصناع المعيَّنين لهذا الغرض، ومن بين الموارد التي يتمتع بها العامل : دخل جبل يستفيد منه ألف مثقال في السنة .. وليس للعامل قاض ولا كاتب، وإنما ينطق بالاحكام بصوت عال كما يشاء» (230).

من النص السابق يتضح بأن مهمة العامل في غياب الضوابط القانونية، والمراقبة الرسمية لتصرفاته تجعل من العامل – بهذه الصفة – مبتزا لأموال الناس بالباطل، لأنه يحكم كيف يشاء ويستطيع فرض الغريمة والغرائم التي تحلو له على من يشاء من الناس..

---

(228) الزاوية الشرقاوية ص : 162.
معتمدا على الناصري ج : 7. ص : 134.
الروض الفائح للمعداني. ص : 187.

(229) تاريخ الضعيف ص : 179.

(230) الحسن بن محمد الوزان وصف افريقيا. ج : 1. ص : 195.

بل نجد أن له الحق في أن يأخذ عن كل مجرم مثقالا وربعا، وهو ما سيدفعه إلى الاستكثار من المجرمين .. وفرض المغارم عليهم، وعلى الصناع والحرفيين، بالاضافة إلى حق التصرف في المناجم وغيرها. ولمعرفة مدى الثراء الذي سيجنيه العامل من مهمته، نشير إلى أن المثقال كان آنذاك أعلى عملة للتعامل بين الناس حيث كان المثقال يساوي عشرة دراهم والدرهم يساوي 4 موزونات والموزونة تساوي وجها وبذلك يساوي المثقال أربعين موزونة أو وجها. (231).

وقد لا يقتصر الأمر على الغنى الفاحش لبعض مسؤولي الأقاليم إذ يتعداه إلى أبعد من ذلك كما فعل أحد القواد المدعو القائد الحبيب عندما «تزوج ثمان عشرة آمرأة وخرج عن حد الشريعة وقيل إنه كان له دوار ليس فيه إلا النساء ولا يدخله الرجال إلا هو وكان يأخذ النساء من غير صداق، فقبضه السلطان بمكناسة في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، وجعله في مطمورة، فحلف أن لا يأكل الطعام لِيَلّا، يَزْبل تحته كالثور إلى أن توفي جوعا في المطمورة» (232).

والسلطان المشار إليه في النص هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وقد أورد الضعيف النص السابق تحت عنوان «أحد نماذج الفوضوية».

12 – **الباشا محمد بن أحمد الدكالي**، كان متقلدا الباشوية بتادلا أيام سيدي محمد بن عبد الله، وهو الذي تولى تفتيش دار العامل ولد الراضي الورديغي، ووجد فيها ثلاثين قنطارا من الفضة فاستولى عليها، وعلى خيله وماله من الغنم وغيره، لفائدة الدولة. وكان ذلك في منتصف جمادى الثانية عام 1192 هـ (1778 م).

13 – **عبد الرحمان بناصر**، كان عاملا على إقليم تادلا قبل عام 1203 هـ من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الله (233).

---

(231) تاريخ الضعيف. ص 274. هامش : 1804.
ويراجع عن سعر الوجه.

– Martin (A.G.P) Quatre siècles D'histoire Marocaine P : 14

ويمكن أن ينظر عن تطور العملات المغربية.

– Arch – Mar. Vol : XI et volume XIII Page : 285 – 286.
et Vol : XXI P : 208.

– Massignon : Le Maroc. P : 101 – 102.

(232) تاريخ الضعيف ص : 174.
(233) تاريخ الضعيف ص : 196.

14 – في عام 1203 توجه الأمير **الحاج علي السلاوي** بأمر من والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إقليم تادلا عاملا عليه (234).

15 – **عبد المالك الدريبكي الأودي**، كان عاملا على الاقليم في عام 1213 هـ قال عنه الضعيف «في أواخر محرم (1213 هـ) وجه السلطان (مولاي سليمان) العسكر مع القبائل للشاوية لمزاب، وفي 8 صفر أتى الخبر للسلطان أن المحلة قد انكسرت، وأن ابن مالك الدريبكي الأودي رابط بصخرة الدجاجة، وكان عاملا على تادلا» (235).

ثم يتحدث الضعيف بعد هذا عن مصير الدريبكي قائلا : «وفي يوم الاثنين 27 ربيع الثاني (1213 هـ) دخل عامل تادلا وهو ابن عبد الملك الدريبكي الأودي» (236) بعد ثلاثة أيام من إقامته بمكناسة «قبض عليه (السلطان مولاي سليمان) ووجهه لفاس، ودخل الدريبكي مكبلا لفاس، عشية يوم الأحد 3 من جمادى الأولى (1213 هـ) (237).

ولم يشر الضعيف للسبب الصريح لاعتقال الدريبكي عامل تادلة.

16 – **أحمد بن عبد المالك الدريبكي**، لعله ابن عبد المالك السابق، وقد كان عاملا لتادلا مع الأمير مولاي الطيب أخ السلطان مولاي سليمان في نفس العام 1213 هـ.

17 – **الأمير مولاي الطيب** أخ السلطان مولاي سليمان بعثه السلطان مولاي سليمان «في يوم 10 رمضان (1213 هـ) من فاس الجديد بعد أن أتى من مكناس عاملا على تادلا والشاوية، وخليفة أحمد بن عبد المالك الدريبكي» (238) «وكان خروجه لتادلا يوم السبت 17 رمضان (1213 هـ» (239).

18 – **الغازي بن المدني**، ولاه السلطان مولاي سليمان عمالة اقليم تادلة عام 1214 هـ غير أن سيرته فيها جعلته ينهزم في مهمته بها، أشار إلى ذلك الضعيف في

---

(234) تاريخ الضعيف ص : 196.
(235) تاريخ الضعيف ص : 307.
(236) تاريخ الضعيف ص : 311.
(237) تاريخ الضعيف ص : 311.
(238) تاريخ الضعيف ص : 313.
(239) تاريخ الضعيف ص : 314.

تاريخه قال : (240) «وفي يوم الأربعاء ثامن جمادى الثانية (1214 هـ)، ورد الغازي بن المدني عاملا على الشاوية من ناحية السلطان، وأعطاه السلطان قبائل تادلا وولاه عليها فلم يقدر عليها، واعصوصبوا عليه، فوجه السلطان أخاه مولاي موسى شقيق السلطان» (240).

19 - **الأمير مولاي موسى** شقيق مولاي سليمان، وجهه السلطان إلى تادلة عاملا عليها بعد أن رفضت قبائل تادلة الغازي بن المدني وقد كان الأمير موسى بتادلة في رمضان 1214 هـ عندما تهيأ مولاي سليمان لحرب البربر تحت زعامة ولد مهاوش واشراردا، لذلك فقد «وجه السلطان لأخيه مولاي موسى عامل تادلا على أن يجمع عليه أهل تادلا» (241). ويكون مستعدا لتعزيز الجيش الذي جمعه السلطان من «أهل الحوز وأهل السوس وحاحة وعبدة ودكالة وأحمر وغيرهم.. كما بعث لناحية الصويرة وأكادير» (242).

20 - **أبو القاسم الزياني**، عينه مولاي سليمان في العام الموالي 1215 هـ عاملا على إقليم تادلا ويظهر من النص الآتي ذكره أن العامل الأسبق ولد الراضي الورديغي في سلطنة سيدي محمد بن عبد الله كان ما يزال يعيش في الاقليم بين بني قبيلته «ورديغة» رغم ماسبق أن فعله به السلطان سيدي محمد بن عبد الله من قطع يده بسبب الثلاثين قنطارا من النقود الفضية التي كان قد جمعها إبان عمالته، لذلك فإن من أول المهام المنوطة بالزياني كانت هي القبض من جديد على ولد الراضي، يقول الضعيف «أما (السلطان مولاي سليمان) فقد وجه بلقاسم الزياني عاملا على تادلا، وأمره أن يقبض على ولد الراضي، فقبضه ودخل به قصبة تادلة، ثم أهل تادلا تعصبوا عليه، وأطلقوه من يد بلقاسم الزياني بالسيف وكرها منه، واشتعل الحرب بين أهل تادلا والبربر وكان مع البربر السيد أحمد زروق من أولاد سيدي الغازي بن أبي القاسم ونزلوا بورديغة» (243).

ومن النص يظهر أن من نتائج القبض على ولد الراضي اشعال نار الحرب بين عرب تادلة من ورديغة المتعصبين لولد الراضي، وبين بربر زيان المتعصبين لبلقاسم الزياني.

---

(240) تاريخ الضعيف ص : 316.
(241) تاريخ الضعيف ص : 317.
(242) تاريخ الضعيف ص : 317.
(243) تاريخ الضعيف ص : 320.

21 - **الأمير مولاي محمد بن مولاي سليمان**، كان عاملا بالمنطقة ممثلا لوالده بها إلى حدود سنة 1218 هـ حيث «وجه ولده مولاي محمد عاملا على درعة مع محمد الزعري، وكان قبل مع محمد الزعري عاملا على تادلا» (244).

22 - **محمد الزعري**، كان عاملا بتادلة مع الأمير محمد بن مولاي سليمان، ثم نقله السلطان مع الأمير لتولي العمالة بإقليم درعة وكان ذلك في عام 1218 هـ.

23 - **الحبيب البلغيتي**، صهر السلطان مولاي سليمان تولى عمالة إقليم تادلة مباشرة بعد نقل الأمير سيدي محمد بن محمد الزعري إلى إقليم سوس .. قال الضعيف، «وكان العامل بتادلا السيد الحبيب البلغيتي صهر السلطان، لما ولى السلطان ولده على سوس ودرعة، وأمره أن يرتحل من تادلا هو ومحمد الزعري وولى تادلا للسيد الحبيب» (245) غير أن السلطان لم يلبث في العام الموالي أن عزل صهره عن عمالة الاقليم وذلك يوم 20 ربيع الثاني 1219.

24 - **الحاج سليمان الوديي**، تولى العمالة مباشرة بعد عزل الحبيب البلغيتي، أشار الضعيف إلى ذلك قائلا : «وفي يوم السبت متم 20 ربيع الثاني (1219 هـ) عزل السلطان صهره عن تادلا لما رجع سيدي العربي من مكناس، ووجه الحاج سليمان الوديي عاملا على تادلا» (246).

ويظهر من إشارة الضعيف أن عزل الحبيب البلغيتي عن عمالة تادلا كان بتوصية من سيدي العربي الشرقاوي شيخ زاوية أبي الجعد أنذاك، والذي كان يحظى بتقدير خاص من السلطان مولاي سليمان العلوي.

وفي نص آخر يشير الضعيف إلى هذا النفوذ والمكانة الخاصة التي كان يتمتع بها سيدي العربي الشرقاوي، ويظهر ذلك جليا من قوله : «وقبل نهوض الحبيب من تادلا بأربعة أيام، ورد سيدي العربي على بجعد ومعه الحاج سليمان الوديي المذكور عاملا على تادلا» (247). مما سبق يتضح جليا أن لسيدي العربي يدا في نقل الحبيب البلغيتي عن الاقليم وتعيين سليمان الوديي مكانه.

---

(244) تاريخ الضعيف ص : 329.
(245) تاريخ الضعيف ص : 332.
(246) تاريخ الضعيف ص : 332.
(247) تاريخ الضعيف ص : 333.

25 – الباشا الغازي الشاوي، سعى في الايقاع بين السلطان مولاي سليمان من جهة، وبين قبائل ورديغة بزعامة سيدي العربي الشرقاوي من جهة ثانية، وذلك بكتابته تقريرا للسلطات المركزية بمكناس بأن «ورديغة يقطعون الطريق ويأكلون القوافل وخرجوا عن حكم الباشا الغازي الشاوي، وهو الذي كتب بهم وبسيدي العربي بن المعطي، بخلاف أهل تادلا بإذن سيدي العربي» (248).

ويظهر من النص السابق أن الباشا الغازي كان يسعى في خلق علاقة توتر بين السلطات المركزية وقبائل تادلة بصفة خاصة للايقاع بسيدي العربي والنيل من مكانته الخاصة لدى السلطان باتِّهامِه بزعامة قبيلة ورديغة وتحريض قبائل تادلة ضد السلطان وكان ذلك في عام 1223 هـ.

26 – القائد محمد بن العربي البخاري «كان عند المحلة الرابطة بقصبة تادلا» (249) عام 1233 هـ.

27 – القائد الجيلالي بن الحسن الملالي، عينه السلطان المولى الحسن الأول رحمه الله في يوم 6 صفر الخير عام 1308 هـ قائدا على أولاد أكْناو وبني ملال، وفيما يلي ظهير توليته :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد

خدامنا الأنجاد أولاد اكناو وبني ملال، وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد، فقد ولينا عليكم أخاكم خديمنا الأنجد القائد الجيلالي بن الحسن الملالي، وأسندنا إليه النظر في أموركم، فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الأمر والنهي في أمور خدمتنا الشريفة، أسعدكم الله به وأسعده بكم، ووفق الكل لما فيه رضاه والسلام.

---

(248) تاريخ الضعيف ص : 346.

(249) تاريخ الضعيف ص : 401.

في 6 صفر الخير عام 1308 هـ.

الطابع الشريف بداخله :

الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله وليه (250) وعلى الظهر في الزاوية ولاية القائد الجيلالي بن الحسن الربعي على إخوانه من أيت الربع.

وكان القائد الجيلالي يستعمل خاتما من فضة مكتوبا عليه «خديم المقام العالي بالله الجيلالي بن الحسن الملالي وفقه الله».

طابع القايد الجيلالي بن الحسن الربعي على عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ وبداخله.

«خديم المقام العالي بالله الجيلاني بن الحسن الربعي وفقه الله» وإلى جانبه : الجراب الجلدي الصغير الذي كان يحفظه فيه.



(250) عن الظهير الأصل لأسرة المعني بالأمر، وتعرف الأسرة اليوم باسمها العائلي : فهد. ومن حفيده المسمى : فهد حمّادي أخذت ظهير تولية جدّه.

خامسا – من قضاة الاقليم

* أبو عبد الله الركراكي

* سيدي العربي بناصر

* ادريس بن المهدي المشاط

* سيدي العربي بن عبد الله الادريسي

من قضاة إقليم تادلة

كان بودي أن استعرض كل القضاة الذين مارسوا مهنة القضاء بهذا الاقليم، ولكن ذلك يحتاج إلى بحث مستقل يخصص له صاحبه كل وقته للبحث في الوثائق المخزنية، والمخطوطات ليستخرج منها أغلب الأسماء التي احتوتها المخطوطات والوثائق، لذلك فإنني أضطر إلى إيراد بعض الأسماء فقط، وهي قليلة تاركا بقية البحث لغيري للقيام بهذه المهمة، وللاستمرار على الدرب الطويل ويكفيني أن أثير انتباه الباحثين والمهتمين بهذا الاقليم إلى هذا الجانب من جوانب البحث لاتمامه فيما يستقبل.

وسأبتدىء هذا العرض السريع بذكر مهمة القاضي، كما حددها **الحسن بن محمد الوزان** في كتابه وصف افريقيا (251) «... القاضي مكلف بالأحكام الشرعية، أي بتطبيق القوانين المستخرجة من كتب الفقه الاسلامي، وقاضي آخر يعتبر كنائب للقاضي السابق، مكلف بمسائل الزواج والطلاق والنظر في الشهادات، ومؤهل كذلك للاطلاع على جميع الأسباب المتعلقة بهذا القضاء ...».

ويستمر بعد هذا الحسن بن محمد الوزان في وصف مهمة القاضي – باعتباره يصف ذلك للأجانب، في إيطاليا، وهم سبب تأليفه كتابه عن افريقيا – بوصف استقلالية القاضي المادية ومنها يستمد أيضا استقلالية الحكم الشرعي بعد الإستناد على دعامة الشريعة حيث يشير إلى أن مهنة القضاء لم تكن مهنة مستقلة يتعيش منها صاحبها وإنما كانت مهمة اجتماعية شبه تطوعية يمارسها القاضي إلى جانب ممارسته لحرفة من الحرف. وفي ذلك يقول : «ولا يتقاضى القضاة الشرعيون أي أجر أو تعويض، لأن ذلك محظور في الشريعة الاسلامية، فلا يجوز للقاضي أن يأخذ أي مرتب عن عمله، غير أنهم يتعيشون من موارد أخرى، إذ هم مدرسون وأئمة في بعض المساجد» (252).

تلك نظرة سريعة عن بعض مهام القاضي وظروف عمله، وأنتقل إلى استعراض بعض أسماء القضاة الذين تولوا القضاء بالاقليم :

---

(251) وصف افريقيا الجزء الأول ص : 195.

(252) الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا ج : 1. ص : 195.

1) منهم القاضي **أبو عبد الله الرجراجي**، المتوفى 1022 هـ [253] تولى قضاء تادلا في خلافة السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي والمقصود بتادلة آنذاك هو مدينة بني ملال المسماة، قصبة تادلة سابقا، وداي فيما سبق.

2) القاضي **سيدي العربي بناصر**، أورده محمد بن الطيب القادري في التقاط الدرر ضمن وفيات عام 1108. قال «توفي قاضي تادلا سيدي العربي بناصر» [254] وقد عاصر العربي بناصر السلطان مولاي اسماعيل، وقد كان أيضا قاضيا ببني ملال.

3) القاضي **ادريس بن المهدي المشاط**، ذكره محمد بن الطيب القادري في التقاط الدرر ضمن وفيات عام 1142 هـ قال «وفي هذا العام توفي الفقيه الأستاذ القاضي الخطيب «ادريس بن المهدي المعروف بالمشاط ولي قضاء تادلا ثم بعده خطابة مسجد الأندلس بفاس ثم سافر للحج فتوفي ودفن بالموضع المسمى بعجرود» [255] وقد عاصر هذا القاضي السلطان مولاي اسماعيل.

4) القاضي **سيدي العربي بن عبد الله الادريسي**، ذكره العباس بن ابراهيم في الاعلام [256] قال عنه : «الفقيه العلامة سيدي العربي بن عبد الله الادريسي اليعيشي كان قاضيا ستين سنة على بني مسكين وتادلة والسراغنة ... مات القاضي المذكور أوائل العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر (1291)» عاصر القاضي السلطان مولاي الحسن الأول بن سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي وكان القاضي من قبيلة أولاد يعيش المعروفة اليوم على بعد 12 كلم من بني ملال في الطريق إلى مدينة قصبة تادلة الحالية.

---

(253) الأستاذة نجاة المريني : شعر عبد العزيز الفشتالي ص : 419. هامش : 1.

(254) التقاط الدرر ص : 354 الترجمة رقم : 502.

(255) التقاط الدرر ص : 271 تحقيق مولاي هاشم العلوي.

(256) الجزء : 1. ص : 311.

بعض المعلومات الاجتماعية للمنطقة

أولا – اللغة في الحياة الاجتماعية
ثانيا – من الأمثال السائدة
ثالثا – العادات
رابعا – الألعاب
خامسا – المأكولات

الجانب الاجتماعي للمنطقة

تطرقت لهذا الجانب الذي لا تخفى أهميته. وقصدت من ورائه إعطاء فكرة ولو موجزة عن بعض الجوانب الاجتماعية بالمنطقة، فحاولت في الجانب اللغوي إرجاع العديد من الكلمات الدارجة إلى أصلها العربي بالرجوع إلى الجذور والأصل اللغوي للكلمة، ورميت من وراء ذلك كله إلى تقديم المجتمع الملالي على أنه مجتمع عربي أصيل، رغم استيطانه إلى جوار المجتمع الأمازيغي المتأصل بالمنطقة، وأود أن أثبت حقيقة واضحة جدا في بني ملال هي أن الأباء والأجداد في المنطقة من بني ملال كانوا لا يتكلمون الأمازيغية إطلاقا وإنما اللغة العربية -«الدارجة -» اللهم إلا معرفة بعض الكلمات بسبب الاحتكاك اليومي بامازيغي المنطقة لا ترق إلى مستوى الخطاب. وهو بخلاف ما يعتقده الكثير من سكان المدن المغربية الأخرى. إذ كثيرا ما كان يفاجأ بعض الشباب - في الملتقيات الوطنية - عندما أؤكد لهم بأني من بني ملال وأجهل الأمازيغية، بل ولا يتحدث بها الأباء والأجداد بالمدينة - بني ملال - وهذا السبب هو الدافع الذي حفزني على التفكير في إضافة الجانب اللغوي لهذا البحث للدّلالة على عروبة أهل المدينة بالاضافة إلى محاولة إعطاء نظرة متكاملة عنه بتقديم جزء من البحث يتناول على الأقل دراسة الكلمات والمفردات السائدة بالمنطقة في مختلف ميادين الحياة سواء تعلق الأمر بالأفعال والحركات، أو الأسماء والمصطلحات الفلاحية بالمنطقة، وأسماء الأدوات والصفات والمأكولات، والأصوات، بالاضافة إلى نماذج من الأمثال السائدة بالمنطقة.

ولا أدعي أنني قدمت شيئا يذكر في هذا الباب لأنني مازلت أشعر بأنني لم أذكر بعد كل ما أريده أن يكون في هذا الباب.

وأما العادات المتوارثة في الاقليم فقد كان اهتمامي بها يتزايد منذ أزيد من عشرين سنة، فقد كنت أشعر بأن الزمن يسير بسرعة أكثر والعادات تسير بسرعة أكبر نحو الاندثار.

فكنت أرغب مُنْذُ رَدْحٍ من الزمن أن أسجل هذه العادات والفت الانتباه إليها فإن في بعضها ما يمكن الاحتفاظ به بل وتطويره نحو الأفضل، ومنها ما يمكن

تسجيله ووضعه في المتحف الاجتماعي للمنطقة ليبقى شاهدا على مرحلة من مراحل تطور الفكر الشعبي في المنطقة. والعادات المتناولة في هذا البحث هي للاستيناس فقط وليست للحصر، كما أنني لم أعلق على هذه العادات مؤجلا ذلك إلى فرصة أخرى.

وما نقلته عن العادات بصفة إجمالية هو نفس الشيء بالنسبة لعادات الألعاب والأكل بالمنطقة.

وأفسح المجال للقارىء الكريم للاطلاع وإبداء الرأي، معتذرا له عما يمكن أن يفسره تقصيرا مني حيث يريد التوسع والتفصيل، متذرعا بكون العمل أول تجربة، وبكونه يصدر في شكل تعريفي للمنطقة، وليس في شكل متخصص ومتعمق يرضي غرور الباحث المتخصص المنقب عن كل جديد.

أولا ـــ اللغة في الحياة الاجتماعية

* لغة في الافعال والحركات
* لغة في الفلاحة
* أسماء للادوات
* لغة في الاسماء والصفات
* لغة فيما يؤكل
* لغة في الاصوات
* من الامثال السائدة

لغة في الافعال والحركات

هنا في هذا الجانب سأحاول جمع بعض الكلمات التي تدل معانيها على حركة أو فعل، وأحاول اعطاء الاصل اللغوي العربي معتمدا على بعض المصادر العربية أو الاشعار العربية القديمة في ذلك.

عَوَّجْ : المقصود منها فعل أمر بمعنى، انْحَرِفْ إلى كَذَا... وتأتي مرة أخرى بمعنى الثَّنْي : اثْنِ كَذَا. والكلمة قديمة جدا ذكرها امرؤ القيس الجاهلي في البيت :

عوجا على الطلل المحيل لعلنا
نبكي الديار كما بكى ابن حذام(1)

طَاحْ : بمعنى سقط، وتأتي منها معنى كلمة «تَايْتَوْطَحْ» أي يدور في غير ما اتجاه وفي غير ما فائدة ويقال للفتى الذي يقضي وقته يتجول بدون فائدة. وقد صور المعنى الشاعر جَرانُ ٱلْعَوْدِ في البيت (1).

واذناب خيل علقت في عقيصة
ترى قرطها تحتها يَتَطَوَّحُ

زَعْزَعْ : بمعنى حرك الشيء من مكانه، «تَايْتْزَعْزَعْ» بمعنى يتحرك وغير ثابت في مكانه. في المختار من صحاح اللغة (2) الزَّعْزَعَة تحريك الشيء، يقال زعزعه فتزعزع وَرِيحٌ زَعْزَعَانٌ، وزَعْزَعٌ والجمع زَعَازِع : أي زَعْزَع الاشياء. وقد قال ذو الرمة (3)

تذكرني بدراً زَعَازِعُ حجرة
إذا عَصَفَت إذا عَشِيَّاتُها الغُبْرِ

---

(1) ديوان الشاعر، أو كتاب مقدمة القصيدة العربية للدكتور حسين عطوان ص 173 مكرر : الشعر والشعراء ص 369.

(2) تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي ص 216.

(3) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 358.

وهذه تماضرُ بنت مسعود بن عقبة (4) في أبيات لها تحن فيها إلى طبيعة الصحراء وحياتها :

وصوت شمال (5) زعزعت بعد هـدأة ألاء وأسباطا وأرطى من الْحَبـل

أَحَبُّ إلينـا مـن صِيَـاح دجاجـة وديكٍ وصوتِ الريح في سَعَف النَخْل

وَزْوَزْ : الصوت الرقيق الذي يشبه صوت الصراصير وتطلق اللفظة أيضا على الرِّجْل أو الأصْبُع التي تبعث ألما رقيقا حادًّا فيقال : صَبْعِي تَيْوَزْوَزْ اعْلَيَّ قال أبو الزحف : (6)

إلـيك أشكـو وجَعًـا بركبتـي وهَدَجَانًا لم يكن من مشيتي

كهَدَجَانِ الرَّأْلِ خَلْف الْهَيْـقَت مُزَوْزِيًـا لما رآهـا زَوْزَتِ (7)

وظاهر أن الكلمة وقع فيها قلب لمكان الحروف

هَبَّاشْ : يقال تَيَهْبَشْ في الارض بمعنى يحفرها برفق. ويقال هَبَّاشٌ في البيت للذي يبحث أركان البيت، وحاجياته. والكلمة قديمة استخدمها النابغة الذبياني في وصفه لاحد كلاب الصيد الكثير الكسب.

محالف الصيد هبـاش لـه لحم ما إن عليه ثياب غير أطمار (8)

ازْوَانِي : بمعنى ضربني إلى بطني فآلمني، وفي المختار من صحاح اللغة (9) زَوَىٰ الشْيْءَ يَزْوِيه زَيًّا : جمعه وقبضه، وهو ما يحدث للمعدة عندما تأخد لَكْمَةً قوية فإن صاحبها يتثنى وينحني وكأنه يتجمع على نفسه.

كَاعَدْ : بمعنى قاعد أي جالس، قال عروة بن الورد (10)

ينـام عشاء ثم يصبـح قاعـدا يَحُثُّ الحصى عن جنبه المُتَعَفِّرِ

---

(4) مقدمة القصيدة العربية ص 51 عن الأمالي للقالي 2 : 30 (الطبعة الثالثة).

(5) ريح الشمال.

(6) هو ابن عطاء الخطفي ابن عم جرير الشاعر.

(7) الشعر والشعراء ص 351.

(8) مقدمة القصيدة العربية ص : 43.

(9) ص : 222.

(10) الشعر والشعراء ص : 344.

يشُوفْ : بمعنى ينظر إلى شيء واضح، في مادة ش و ف، من المختار من صحاح اللغة (11) شاف الشيء جلاه، ودينار مشوف : أي مجلو وتشوف إلى الشيء : تطلع، ونقول لمن يطل برأسه لينظر مالا نريده أن يراه : آشْ تَاتْشُوفْ أي إلى أي شيء تتطلع ؟ وقد دخل علي بن الهيثم سوق الدواب... فقال : اردت فرسا قد انتهى صدره، وتقلقت عروقه، يشير بأذنيه، ويتعاهدني بطرف عينيه ويَتَشَوف برأسه (12)....

يحَرّشُو : في المختار (13) التَّحْرِيش : الاغراء بين الناس وبين الكلاب أيضا. والمقصود بالكلمة دفع الشخص إلى فعل شيء ضد شخص آخر
بَهْظُو : تقال الكلمة عندما يفعل الشخص شيئا غريبا لا تتوقعه منه فنقول بَهَظَكَ وأصل الكلمة هو الاعجاز وعدم القدرة على شيء بَهَظَهُ الْحَمْلُ : أثقله وعجز عنه، فهو مَبْهُوظٌ وأمرٌ بَاهِظٌ : أي أمرٌ شَاق (14).

تْكَعْبَرْ : تقال الكلمة للشيء إذا سقط وتدحرج «وفي اللسان : ويقال كَعْبَرَهُ بالسيف، أي قطعه، ومنه سمي المكَعْبَرُ الضَّبِّي، لانه ضرب قوما بالسيف» (15).
تَعْرَكْ : تقال الكلمة : لَعْرِيكْ : بِمَعْنَى فَرَكَ الشيء باليدين فتستعمل الكلمة في التصبين «عْرِيكْ الثِّياب» وتستعمل في العجين «عْرِيك العجينة» وقد استعمل زهير بن ابي سلمى الجاهلي الكلمة في بيت الشعر (16).

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم
وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ
مَتَى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وَتَضْرَ إِذَا أَضْرَيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرَكُكُم عرك الرحى بِثِفالها
وتَلقح كِشَافاً ثم تَحْمِل فَتُتْئِم

صَبَّاتْ : بمعنى نزلت الأمطار أو أمطرت السماء وأصل الكلمة ابدال ألف المد من مكانه : صابت، أي مطرت.

---

(11) ص 277.
(12) الدكتور محمد عيد : الرواية والاستشهاد باللغة ص : 108.
(13) ص : 98 مادة : ح ر ش.
(14) المختار من صحاح اللغة ص : 49.
(15) الهامش رقم 3 من البيان والتبيين ج 1. ص : 9.
(16) شوقي ضيف العصر الجاهلي ص : 308.

قال علقمة بن عبدة الشاعر التميمي المشهور في مدح معارك الحارث الاصغر (17).

كـأنهم صَابَتْ عـليهم سَحَابَـةٌ صَوَاعِقُهـا لِطَيْرِهِـنَّ دَبِـيب

وفي المختار (18)، الصوب : نزول المطر، وصابه المطر : أي مَطَرَ. وجاءت الكلمة في بيت شعر (19) الاعشى عند مدحه لقيس بن معد يكرب.

فتـرى لـه ضرا على أعدائـه
وتـرى لنعمتـه على مَـنْ نَالَهـا
أثَـراً مـن الخير المزيَّـنِ أهْلَـهُ
كَالْغَـيْثِ صَابَ ببلـدة فأسَالَهـا

حَثْحَثْ : بمعنى فتَّتَ الشيء وجعله فتاتا. جاءت الكلمة في بيت شعر للشاعر الجاهلي «تأبط شرا» في أبيات يصور فيها جريه السريع أثناء الهروب : (20)

ليلة صاحـوا وأغـروا بي سِرَاعَهُـم
بالْعَيْكَتَيْـنِ لَـدَى مَعْـدى ابْـنِ بَرَّاق(21)
كـأنما حثحثـوا حُطّـاً قوادِمُـه
أو أم خِشْفٍ بـذي شَثٍّ وَطُبَّاق(22)

الخَزْر : بمعنى النظر إلى الشيء شزرا أي بحنق وغيض وبمؤخر العينين استعمل النابغة الذبياني الكلمة أثناء وصف قوة جيوش عمرو بن الحارث الغساني(23).

تراهـن خلـف القـوم خـزرا عيـونها
جلـوس الشيـوخ في ثيـاب المراتب(24)

---

(17) شوقي ضيف العصر الجاهلي ص : 42.
(18) ص : 295 مادة ص و ب.
(19) شوقي ضيف الشعر الجاهلي ص : 349.
(20) شوقي ضيف العصر الجاهلي ص : 378.
(21) العيكتان : موضع ــ معدى : عَدْوٍ : الجري.
(22) جاء في الهامش (2) القوادم : ما يلي الرأس من ريش الجناحين، الحص جمع أحصى وهو ما تناثر ريشه وتكسر لسرعته يريد بذلك الظليم. الخشف ولد الظبية، والشت والطباق من نباتات الصحراء.
(23) شوقي ضيف العصر الجاهلي ص : 283.
(24) في الهامش رقم 1 خزر العيون : جمع اخزر وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه المرانب : ثياب سواء.

عَوِّلْ عْلَيَّ : جاء في المختار من صحاح اللغة (25).
وعَوَّلَ عَليه تعويلا : أَدَلَّ عليه دَالَه وحمل عليه ويقال عول علي بما شئت أي استعن بي : كأنه يقول، احمل علي ما أحببت.
تْبَعَّجْ : تقال الكلمة للشيء إذا دخله الماء كثيرا فنقول للخبز إذا سقط في الماء تْبَعَّجْ بالماء أو بالغين «تْبَغَّجْ بالماء» أو بالزيت أو العسل، والكلمة قديمة في قريش (26) «قال الرياشي حدثني أبو العالية عن أبي عمران المخزومي قال أتيت مع أبي واليا على المدينة من قريش وعنده ابن مطير وإذا مطر جَوْدٌ فقال له الوالي صفه... فقال من بين ما قال :

ذابَ السَّحَـابُ فهـو بحر كلـه
وعلى البحـور مـن السحـاب سماءُ
ثَقُـلَت كُـلاَهُ فَنَهَّـرَتْ أَصْلاَبَـه
وَتَبَعَّـجَتْ مـن مائـه الأحشَاءُ

رْزَمْ : تقال للرجل إذا عجز عن النهوض أو أظهر اعياء كبيرا. فتعيره بالقول : رْزَمْتِ.
واستعمل الكلمة أمية بن أبي الصلت في وصف الحية(27).

إذا دعا باسمها الانسانُ أو سَمِعتْ
ذاتَ الإلـه بَـدَا فِـي مَشْيها رَزَمْ

وفي الهامش رقم 1 والرزم : عدم القدرة على النهوض هُزالاً أو إعياء.
تَايْوَنِّي : أي يحفر جوانب الخيمة حتى لا يدخل ماء المطر إليها.... والكلمة معروفة وكانت مستعملة كثيرا في القبيلة «بني ملال»... استعملها النابغة الذبياني في البيت التالي من معلقته :

إلاَّ ٱلأَوارِيَ لأْيـاً مَـا أُبَيِّنُهَـا
والنـؤْيَ كالحوض بالمظلومـة الْجَلَدِ(28)

---

(25) صفحة : 364.
(26) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 27.
(27) عبد الحفيظ السطلي ص : 462.
(28) بالهامش رقم 1 من المرجع : العصر الجاهلي ص 294 الاواري : الأوتاد وما يربط بها من حبال. النؤى : حفرة حول الخيام تمنع عنها السيول المظلومة : الأرض صعبة الحفر، الجلد : الصلبة.

تايْقَرْقَفْ : إذا كان يرتعد، نقول تايقرقف من البرد والقرقف : الخمر التي تُقَرقف شاربها أي تٌرْعِده وقال العجاج (29).

قَطَّـف مِـنْ أعنابِهَـا مَـا قَطَّفَـا
فغمَّهـا حَوْلَيْـن، ثم استودَفَـا
صهبـاء، خُرطومـا، عُقـارا، قَرْقَفـاً
فسنَّ في الإبريـق منها نُزَفـا
مـن رَصيـفٍ نـازع سيا رصَفَـا

في الفلاحة

أسماء النبات :

النَّوّارْ : وهو الازهار المختلفة الالوان والرائحة ونجد هذه الكلمة في كتاب رسالة الغفران (30) قائلا : ويعارض تلك المدامة أنهار من عسل مُصَفًّى ما كسبته النحل الغادية إلى الانوار.

الجعدة : برسالة الغفران ص 38 معروفة

الشيح : برسالة الغفران وهي معروفة

الحدج : برسالة الغفران وهي معروفة

الدفلى : برسالة الغفران وهي معروفة ص : 39

الخزامى : يقول عنها كأنه رائحة خزامى سهل ص : 40 ويقول عنها في الرسالة. (31) :

كـأن المدام وصوب الغمـام وريح الخزامـى ونشر القطـر
ويعـل بـه بـرد أنيـابها إذا غـرد الطائـر المستحـر

لَقَرُنْفَلْ : ذكره المعري في صفحة 136 في بيتين لامريء القيس

(29) رسالة الغفران ص 27 وفي الهامش رقم 8 من نفس الصفحة. الصهباء : الخمر التي لونها أحمر وأشقر. الخرطوم : الخمر السريعة الاسكار القرقف : الخمر التي تقرقف شاربها أي ترعده. النزف الماء القليل.

(30) لأبي العلاء المعري ص : 30 ونجد في الهامش رقم 10 من ص 30 : الأنوار الواحد نور، الزهر، أو الأبيض منه.

(31) جاء في الهامش رقم 4 من صفحة 137 : الخزامى : خيري البر، عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهر طيبة الرائحة لها نور كنور البنفسج.

كَدَأْبك من أم الحويرث قبلها وجـارتها أم الربـــاب بمأسل
إذا قامتـــا تضوع المسك منها نسيم الصَّبا جاءت بِرَيَّا القَرُنْفلِ

النَّعْنَاعْ : في المختار من صحاح اللغة (32) في مادة : ن ع ع النعناع بَقْلة، وكذا النعنع.

الدلاّح : ذكره المعري (33) في بيت الشعر

قد نِمْتَ عَنِّي بَات البرد يُسهـرني
كما استضاء يهودي بمصبـــــــاحِ
تهدي الجنـوب بـأولاه وَنَـاءَ بـه
أحجـــاز مُـــزْن يسوق الماء دَلاَّح(34)

آلْخَلُّ : ذكره المعري في صفحة 135. في إوزة الجنة «وبعضهم معمولة بلبن وَخَل».

الْبَنَانَةُ : ذكر في المختار من صحاح اللغة (35) : البنانة واحدة البنان وهي أطراف الاصابع.

الرُّمَّان : ذكره أمية بن أبي الصلت في بيت الشعر : (36).

وآخرون على الاعراف قد طمعـوا
بجنـــة حَفَّهـــا الرمـــان والخضر

آلْكَرْعَة : في المختار (37) : الْقَرَعُ : حمل اليقطين، الواحدة : قَرْعَةٌ

الخِيار : ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (38) في قوله : «يسمون (39) القِثّاء خيارا، والخيار : بِالفارسية».

الطَّلح : في المختار ص 312 – بوزن الطَّلْع – شجر عظام من شجر العضاة، الواحدة طلحة.

---

(32) ص : 529.
(33) ص : 139.
(34) نجد في الهامش رقم 1 من نفس الصفحة الدَّلاَّح : المثقل بمائه.
(35) ص : 48.
(36) ديوان أمية بن أبي الصلت لعبد الحفيظ السطلي ص 390.
(37) ص : 418.
(38) الجزء الأول ص : 18.
(39) أهل الكوفة.

أسماء الادوات :

اَلْمَدْرَة : ذكرها في المختار (40) في مادة : م د ر : اَلْمَدَرَةُ – بفتحتين – واحدة المدر، وينطق بها بالدراجة بتسكين الدال «المدرة» واهمال نقط التاء، ورسَمَتْها الموسوعة العربية الميسرة (41) «مذراة» بإعجام الذال وزيادة الالف أمام الراء : ووصفَتْها بِأنها : «شوكة من الخشب طولها حوالي 2 مترين ذات خمسة فروع، تستعمل لتذرية الحبوب المدروسة في الهواء، استخدمها المصريون القدماء وغيرهم». وفي جذوة الاقتباس (42) بترجمة ابراهيم ابن احمد المصمودي «ودفن بتامدرت» شرحها محققوا الكتاب، بالهامش (123) : وتامدرت لفظ عربي تَبَرْبَرَ أصله المذرى، أي المكان الذي يُذَرَّىٰ به الحب. وفي مجلة التراث الشعبي (43) : «وأما المذراة فتستعمل لتذرية القمح، وفصله عن التبن، ويدخلها الفلاح بكومة القمح بعد درسها ويلقي للاعلى، فيطير التبن بفعل الهواء ليبقى القمح.»

البرذعة والدبرة : ذكر المعري البيت (44).

أَوْ مُرْتَقَــى نِيــقٍ عَلَــى نِقْنِـــقٍ
أَدْبَــرَ عَــوْدٍ، ذِي إِكاف قَمُـــوصِ

وجاء في الهامش رَقْم 4 : الادبر : الذي أصابته دَبْرة وهي قرحة تحدث من الرحل وغيره «والاكاف» البرذعة. في المختار (45) «الدبر بسكون الباء وضمها، مخففا ومثقلاً : الظهر» لذلك فإن قرحة البرذعة التي تحدث في ظهر الدابة تسمى دبرة، كأنها قرحة الظهر.

المحراث التقليدي : يتكون من مجموعة من الادوات بعضها لها أصل عربي والبعض الآخر أجهل إلى حد الآن مصدر تسميته وأدواته :

اَلْحْلاَسَة : وهي التي تكون فوق كتف البغل أو غيره لجر المحراث وتُصْنَعُ عادة من الدوم تُبَطَّن الجهة الداخلية منها أي التي توضع على كتف الحيوان ببعض قطع القماش لتليين ملمسها. وتطلق اللفظة عموما على كل قطعة خشنة من القماش أو غيره يمكن فرشها إلى الأرض تحت الفراش الذي يجلس عليه الفلاح. وأصل

(40) صفحة : 490.
(41) صفحة : 1675.
(42) الجزء الأول ص : 99.
(43) عدد 5 سنة 1977 ص 102.
(44) ص : 56.
(45) ص : 154.

الاسم في مادة ح ل س من المختار (46) جِلْسُ البيت : كساء يبسط تحت حر الثياب.

تَزَاكْلُوتْ : وتربط بها «الحلاسة» بحبلين من طرفيها وتكون تزاكلوت مثقوبة من الوسط.

شْبِيُّو : بسكون الشين وكسر الباء وضم الياء. ويكون عادة من المطاط السميك يفتل على شكل ثمانية لربط عمود «تزاكلوت» بعمود الطمون بتشديد الميم وضمه.

الطَّمُّونْ : وهو عمود خشبي طويل مثقوب من رأسه يرتبط «بتزاكلوت» بواسطة «شبيو» وقطعة خشب تدخل من ثقب وسط تزاكلوت إلى ثقبها. ويكون الطرف الآخر مذببا ليدخل في ثقب «الكْعدة».

الْكْعْدَة : تكون على شكل حرف اللام مع توسع قاعدته من أسفل وتكون من أعلاها رقيقة في حجم لمّة اليد. بينا تكون قاعدتها السفلى عريضة في الوسط ومثقوبة من الخلف ليرتبط عمود الطمون بها بواسطته كا يكون فيها ثقب آخر من أسفل القاعدة ليتربط بعمود «الطمون» بواسطة «السيف» وينتهي طرف الكعدة بشكل مدبب تدريجيا، تُركَّب السكة في آخره والكْعدة : كا هو وَاضح : تحريف لكلمة القاعدة.

السِّيف : قطعة خشب على شكل سيف لها رأس غليظ ورأس رقيق يدخل الرأس الرقيق من أسفل القاعدة ويخرج من عمود «الطمون» ويضرب من أسفل القاعدة على الجهة الغليظة إلى أن يشتد تمكنه من القطعتين معا، ويقوم بدور منع عمود الطمون من الانفلات من ثقب الكْعدة الخلفي.

السَكَّة : قطعة معدنية مَثْنِيَة الجانبين من الخلف لتدخل في آخر الكْعدة وحادة من الطرف المواجه للارض لتتمكن من الغوص في الارض. وفي المختار من صحاح اللغة (47) السكة : حديدة تحرث بها الارض.

بقي أن نشير بأن كل بهيمة مرتبطة بالكْعدة. بواسطة حبل تُجَرُّ بِهِ البهيمة إلى اليمين أو إلى اليسار كا أن هناك حبلا قصيرا يربط بين رأس البهيمة والاخرى، فإذا جر الفلاح حبل اليمن انحرفت بهيمة اليمين إلى اليمين، فتجر معها بهيمة اليسار بواسطة الحبل الذي يربطهما معا من رأسيهما. وإذا جر الفلاح حبل اليسار حدث العكس.

---

(46) ص : 144.

(47) ص : 242.

وقد وصفت مجلة التراث الشعبي (48) المحراث التقليدي نفس الوصف مع اختلاف في الاسماء فقط :

«يتكون المحراث البلدي كما هو في الشكل من قطعتين خشبيتين ومن الاسفل يرتبط به رأس حديدي مذبب يسمى (بالحسمة) وهناك (المنساس) ويستعمل للضغط على المحراث ليغوص في الارض أكثر. ويتصل المحراث (بالنير) الذي يربط بالحيوان الذي يجر المحراث».

وبطبيعة الحال فالمجلة المذكورة تصف المحراث التقليدي بالشرق الاوسط والذي ورثوه عن الفراعنة مع تغييرات قليلة ولكن الشيء المثير هو اشتراك المحراث المحلي في نفس خصائص المحراث بالشرق. كما أن هناك تقليدًا في الالفاظ المستخدمة أثناء عملية الحراثة :

كْعَّدْ : يخاطب بها الفلاح حيوانه عندما ينزل إلى الخط المرسوم للحراشة أي عندما يكون راجعا مع نفس الخط المحروث الذي قدم منه فيأمره الفلاح بأن يصعد إلى الجهة غير المحروثة لكي ينسجم مع قاعدة الحرث : أن يسير مع الخط من الجهة غير المحروثة ويعود مع الخط الذي ذهب به من الجهة غير المحروثة كذلك فيكون مصدر الكلمة هو «قعَّدَ» أي استعمل قاعدة الحرث ويفهمها الفلاح بمعنى الصعود : فيدعو على حيوانه «كْعَّدْ اللَّهْ يِكْعَّدْ أَيَّامْ مُولاَكْ» بمعنى أن يكون حظ صاحبه في صعود.

سَالْ : ويعني بها الفلاح عكس معنى «كْعَّدْ» فإذا كانت الاولى تعني معنى الصعود والانحراف إلى الجهة غير المحروثة، فكلمة «سال» يقصد بها الفلاح العودة الى الحرف المحروث وعدم الابتعاد عنه أو ترك مسافة قليلة أو كثيرة بين الخط المحروث بمعني النزول والانحراف والاقتراب من الخط المحروث سابقا وأصل الكلمة من «سَلَّ» يَسُلُّ إذا أخرج الشيءَ برفق، لذلك فهي فعل أمر بمعنى الخروج برفق من الخط الذي يسير فيه الحيوان إلى الخط الصحيح للحراثة لذلك يدعو الفلاح على حيوانه قائلا : «سَالْ اللَّهْ يِسَلْ عَيْنِينْ الْعَدْيَانْ» أي أن يخرج الله أعين أعداء الفلاح من محجريهما حتى لا يصيبوا انتاجه بمكروه نتيجة الحسد أو الغيرة.

جْبَدْ : عندما يغوص المحراث كثيرا في الارض يثقل سير الحيوانين فيخاطبهما الفلاح آجْبَدْ. بمعنى تقويا وابذلا أقصى جهدكما وأصل الكلمة عربي جَبَدَ الشيء : مثل جَذَبَهُ مقلوب منه (49).

---

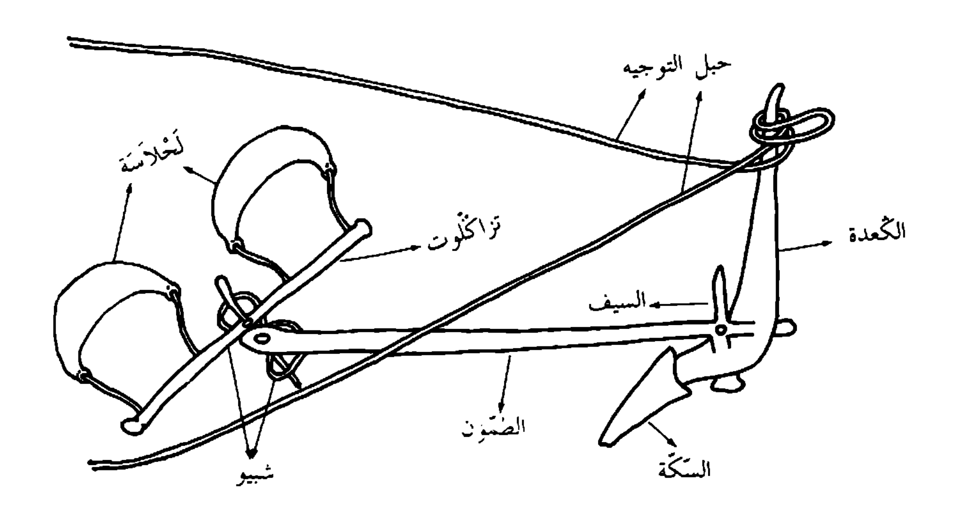
(48) عدد 5 سنة 1977 ص : 101.

(49) المختار من صحاح اللغة ص : 67.

عَايَدْ : عندما يصل الفلاح بحيوانه إلى آخر الخط فإنه يخرج المحراث من الارض ويحمله بيد بينما يجل حبل البهيمة لِكَيْ تعود إلى خط الحراثة منضبطة، وأثناء هذه العملية يصيح على البهيمة المجرورة بكلمة «عَايَدْ» ومعناها واضح وهو «عائد من حيث أتيت»

سِيرْ : بعد اتمام عملية العودة والاستواء مع خط الحراثة يخاطب الفلاح بهيمته بقوله سير... سِيرْ عَلى اللّه، سِيرْ عَلَلّه.

ويظهر مما سبق أن جميع الكلمات والاصطلاحات المستعملة في عملية الحراثة التقليدية لها أصل عربي... باستثناء بعض الاسماء لبعض المعدات التي تدخل في تجهيز المحراث مثل : شبيو – تزاكْلوت – الطمون – قد يكون لها أصل بربري أو أصل أقدم من ذلك قد يعود إلى الفراعنة.



لغة في الاسماء والصفات

لُوشَمْ : اسم للتزاويق التي ترسمها النساء على ظاهر اليد أو في العنق أو غيره من سائر البدن.

وقد ذكر الكلمة طرفة بن العبد في مقدمة معلقته :

لخولـةَ أطـلالٌ بِبُرقَـةَ تَهْمَـدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد (50)

وذكرها زهير بن أبي سلمى يرثي هرم بن سنان

هَـاج الفـؤادَ معـارفُ الـرَّسم قفر بـذي الهَضَبَات كالـوشم (51)

دَادُوشْ : كلمة تقال للصبي الصغير يأخذه أبواه من يديه ليعلمانه المشي فيقولان له : دادوش... وأصل الكلمة هو «الدَّدُ» أي اللهو واللعب. قال أبو وَجْزَة السعدي في قصيدة يمدح فيها ولد الزبير بن العوام (52).

يا أيها الرَّجُلُ المُوكَّلُ بِالصِّبَي فيم ابنُ سَبْعِين المُعَمَّرُ مـن دَدِ

وفي الهامش رقم 1 من المصدر المذكور «الدد : اللهو واللعب وفي الحديث : ما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ مني».

ومن شعر أمية بن أبي الصلت (53)

فاغفـر لعبـد إن أول ذنبـه شرب وإيسار يشاركهـا دَدُ

سُرْبة الخيل : أي جماعة الخيل. قال الشنفرى في وصف غارة من غارته مع أصحابه (54).

---

(50) مقدمة القصيدة العربية ص : 89.

(51) ديوان زهير ص : 382.

(52) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص : 360.

(53) عبد الحفيظ السطلي، أمية بن أبي الصلت ص : 367.

(54) شوقي ضيف العصر الجاهلي ص : 380.

خرجنا من الوادي الذي بين مشعل

وبين الجبا، هيهات، أنشأت سربتي (55)

الرَّغْوة : معروفة وتقولها العرب في المثل الآتي : «تحت الرغوة اللبن الصريح» (56).

آلسَّالَف : وهو شعر جانبي الرأس، وكانت النساء تجتهدن في الاعتناء بالشعر ليكون سالفه طويلا، قال الرمَّال (57).

وسالفة كالسيف زايل غمده وعين لعين الرئم في البلد القفر

وفي المختار من صحاح اللغة (58) والسالفة : ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط.

لَبْعَرْ : كلمة تقال للشيء عند استقباحه، مثلا عندما يؤكد شخص على شيء على أنه واقع أو موجود، بينما يكون الشخص الثاني متأكدا من خلاف ذلك، فيجيب بغضب وعنف «لَبْعَرْ اِللِّي مَوْجُود» والبَعْرُ هو نِفاية البقرة، والجمل أو الشاة. في المختار من صحاح اللغة (59) «البعرة واحدة البعر والابعار، وقد بعر البعير والشاة».

لَكْسِيرْ : وهو العظم يحمل اللحم الجيد، قال أمية ابن أبي الصلت (60).

فقدوره بفنائه للضيف مترعة زواخر

تبدو الكسور من انْضِرَا جِ الغلي فيها والكراكر

وَاعَرْ : بمعنى صعب، يقول الثعالبي : «فإن سلامة اللفظ تتبع سلاسة الطبع... وترى الجافي الجلف منهم كَزَّ الالفاظ جَهْمَ الكلام وَعَرَ الخطاب» (61).

---

(55) في الهامش رقم 4 من الكتاب : مشعل والجبا : موضعان، السربة : الجماعة أنشأت : أظهرت من مكان بعيد.

(56) العصر الجاهلي ص : 409.

(57) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص : 369.

(58) الصفحة : 245.

(59) الصفحة : 42.

(60) عبد الحفيظ السطلي ديوان أمية بن أبي الصلت ص : 412 الهامش رقم 3 الكسور : مفردها كسر، وهو العضو أو العظم بما عليه من لحم.

(61) الدكتور محمد عيد الرواية والاستشهاد ص : 165.

سَقْرَامْ : يصفون بهذه الكلمة الانسان الشح البخيل الذي لا ينفع الناس وفي المختار من صحاح اللغة (62) في مادة : ق ر م – اَلْمُقْرمُ : البعير المكرم لا يحمل عليه» وقال الزمخشري قرم البعير فهو قرم، إذا استقرم. والمعنى السابق هو الاكرام، والمعنى المنسلخ من الكلمة في التعبير العامي هو تحويل معنى إكرام البعير بعدم تشغيله في أي شغل من حمل أو غيره إلى المعنى التحقيري من أنه لا ينفع الناس في شيء.

الكْمَاكَمْ : تقال للاشخاص غير المرغوب فيهم وهي وصفة للتحقير، أصلها الجماجم. مفردها جمجمة أي عظمة الرأس... وتنطق بالقاف أيضا «القماقم» ومفردها «قمقوم» ويطلق على مقدم الوجه وأحيانا يختص الفم بهذه الصفة. وتنطق أيضا بالكاف «كمكوم».

قال كعب بن مالك شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم (63)

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها   به الاكف كأنها لم تخلق

مْهَاوَشْ : تكون هذه الصفة للانسان المفتون بالشيء لا يطيق عنه صبرا وفي المختار من صحاح اللغة (64)، الهوشة : الفتنة والهيج والاضطراب، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه «إياكم وَهَوْشات الليل وهَوْشَاتِ الاسواق».

اللجلاج : اللجلاج في الكلام : الانسان الذي يدخل الكلام في بعضه فلا تكاد تفهم منه شيئا.

جاء في البيان والتبيين (65) استعراض لانواع العيوب في الكلام، قال في أولها : «وليس اللجلاج والتمتام....»

التمتام : قال الاصمعي (66) إذا تَتَعْتَعَ اَللِّسان في التاء فهو تمتام وإذا تَتَعْتَعَ في الفاء فهو فأفاء وانشد لرؤية بن العجاج :

---

(62) صفحة : 419.

(63) الدكتور محمد عيد الرواية والاستشهاد ص : 202.

(64) مادة هـ و ش، ص : 535.

(65) ج 3. ص : 12.

(66) ج 3. ص : 12 البيان والتبيين.

يــاحمد ذات المنطـــق التّمْتـــام كـــأنّ وسواسك في الهمـــــام
حــديث شيطـــان بنـــي همَّـــام

وليس ذلك بشيء وإنما هو كما قال أبو الزحف.

لست بفأفـــــاء ولا تمتـــــــام ولا كـثير الهجــر في الكـــلام

آلشَّنّيَارْ : تقال الكلمة للاستنكار من شيء قبيح لا يطاق «آشْ هَذَا الشَّنّيار» وأصل الكلمة هو الشَّنّار أي العار. قال المعري في فصل الطواف على الشعراء حين ذكره للاعشى (67) فيقول : أخبرني كيف كان خلاصك من النار، وسلامتك من قبيح، الشنار (68).

لغة فيما يؤكل

آلْكْدِّيدْ : بإبدال القاف «كافًا» أصل الكلمة «القديد» وردت في رسالة الغفران (69) «جاز أن يقول وحوارى (70) بضرب، وهُوَ اللبن الحامض، ويجوز بإرب، أي بعضو من شواء أو قديد»

الإِدَامْ : تنطقه العامة «لِيدَامْ» وهو كل دهن، من سمن أو زيت أو زبدة قال أمية بن ابي الصلت (71).

والبـان والـزيت والسمـراء أخرجهـــا
هـذا الدهـان وهـدا النقـــل والأُدُمُ(72)

السَّفَّةُ والْفَطِير : السَّفَّة ما يُسَفُّ ناشفا غير مبلول، والفطير، الخبز غير الخامر والكلمتان تستعملان كثيرا في القبيلة. وهما عربيتان قديمتان قال أمية بن أبي الصلت (73).

---

(67) رسالة الغفران ص : 47.
(68) العار وأقبح العيب.
(69) ص : 33.
(70) رغائف رقيقة ما تسميه القبيلة في بني ملال : «المسمن» والمطلوع وبُوشَيَّارْ.
(71) ديوان أمية بن أبي الصلت ص : 463.
(72) جاء في هامش رقم 4 من الصفحة 463 : والادم : جعلها جمعا لآدام. مثل كتاب وكتب، عمود وعمد، والادام : ما يؤتدم به مع الخبز.
(73) نفس المصدر ص : 397.

سَنَـــةٌ أَزْمَـــةٌ تَخَيَّـــلُ بِٱلنَّـــا   سِ للـــــعضاةِ فيها صريـــــراً
إذا يسفُّـــونَ بالدقيـــق وكانـــواْ   قبلُ لاَ يَأْكُلُـونَ خُبْـزاً فَـطِيراً

الكُرْصَة : بإبدال القاف «كافا» وهي الخبزة الصغيرة «القرص» والقرصة من الخبز، وجمع القرصة : قرص» (74).

الزَّعْبُولْ : هو التين الشوكي المعروف «بكرموس» النصارى والاسم يظهر كأنه غريب عن العربية ولكن عند استقصاء معناه في قواميس اللغة، نجد أنه من صميم العربية «الزَّعْبَل» «معناه في العربية انتفاخ وتضخم من تحت، ودقة من فوق وتطلق في العادة على بطن الصبي العليل الذي ينتفخ بطنه وتدق عنقه» (75).

---

(74) المختار من صحاح اللغة ص : 417.

(75) لسان العرب ج : 13 ص : 323. القاموس المحيط 400/3.

لغة في الاصوات

وَاحْ : كلمة تقال للالم، قال أمية بنُ أبي الصلت (76)

شُمْــطٌ وَشُبَّــانٌ بَهَــا لِيــلُ مَغَاوِيــرٌ وَحَــاوِحْ

وقال في الهامش (77) والوحاوح : مفردها وحواح، وهو السيد الشديد القوة «وكأن المقصود بِالْوَحْوَاحِ السيد الذي يصبر لما يؤلمه.

آحْ : نفس معنى الكلمة السابقة، وإنما تستعمل هذه الأخيرة لما يؤلم أكثر : قال عبد المؤمن بن عبد القدوس (أبو الهندي) (78).

فلم يبق في الصدر من حبها سوى أن إذا ذكرت قلت آحا

والموضوع طويل جدا يحتاج إلى أطول من هذا الفصل لاستقصاء معظم المفردات في الأدوات المستعملة في الحياة الاجتماعية، وفي اللباس، والاكل، والاسماء، وغيرها...

بقي أن أشير إلى أن ابدال حرف القاف، بالكاف في دارجتنا المحلية هي أيضا لها مَثِيلا تُهَا في الشرق الاوسط.

من ذلك :

قرصة الخبز : كرصة.

القلب : الكلب.

القمر : الكمر.

قريني : اكريني.

القديد : الكديد. الخ...

وقد عثرت على ملاحظة تابعة لمقالة بعنوان :

«من العتابة الفلسطينية» (79) تقول : «في لهجة أغلب القرى الفلسطينية أمثال :

---

(76) ديوان ابن أبي الصلت ص : 346.

(77) ص : 346.

(78) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص : 347.

(79) لكاتب فلسطيني رمز لنفسه ب : م. س.

جبع، وعين غزال، والطنطورة وعين حوض، وغيرها يقلب حرف ال : (ك) في بعض الكلمات إلى (ج) كما ويقلب حرف (ق) إلى (ڭ). مثلا :
يقطفونك : يڭطفونك.
يرزقك ربُّ السماء : يرزڭك رب السماء» (80).

وهي نفس اللهجة التي يحتفظ بها الاهالي العرب في صحرائنا المغربية.

---

(80) مجلة التراث الشعبي عدد : 5 سنة 1977 ص : 171.

من الأمثال السائدة

ابتدئ الحديث عن الأمثال بما قاله عنها شكر حاجم الصالحي من «أنها وإن اختلفت في تركيب عباراتها وجملها ومدلولاتها العديدة فهي تشكل سِفرًا رائعا وكبيرا يطالع فيه المتتبع من خلالها تاريخ الأمم وأمجادها وروحيتها ففيها نجد الحديث عن الشقاء والفقر، والقوة، والجمال والضعف، والتحدي، والصمود، والقبح، والفضيلة، والرذيلة والبذاءة وإلى غير ذلك مما يعتمر في أذهان الجماهير الواسعة» (81).

سأحاول أن أعرض هنا بعض الأمثال التي كانت سائرة ومتداولة بين أفراد القبيلة إلى عهد قريب كما أحاول أن أربط بينها وبين مثيلاتها في الشرق العربي.

1 – إلى احْمَارَتْ في الْعَشِي. بَرْذَعْ احْمَارك واسْتَعَد لْمْشِي
وَإِلَى احْمَارَتْ في الصّبَاحْ غِيرْ كَيَّدْ حْمارك وَارْتَاحْ

بمعنى إذا احمرت السماء عند الغروب فإن الغد سيكون صحوا والسماء ستكون صافية بلا أمطار، لذلك ينبغي على الفلاح أن يهيء لوازم العمل وأما إذا احمرت السماء صباحا من المشرق فما على الفلاح إلا أن يربط الحمار ويعول على الاستراحة من العمل، والأمثال الفلاحية كثيرة جدا.

وعكسها في الأمثال الفلسطينية «قوس قزح».

«إنْ طَلَعَ القَوْسْ مْسِيَّة دَوَّرْ لَكْ عَ مْغَارة دْفِية. وَإِنْ طَلَعَ القَوْسْ صُبْحِيَة احْمَلْ عْصَاتَكْ وَامْشِ هْنِية. فإذا ظهر مساءا أو عصرا فيجب أن تبحث لك عن مغارة دافئة تختبئ فيها وتقضي فيها ليلتك فالمطر سيكون غزيرا. أما إذا ظهر قوس قزح صباحا فلا بأس منه إذ أن السماء ستصفو» (82)

2 – الأمْ دْجَاجَة والأبْ عْجَاجَة: بمعنى إذا فُقِدَ الأب من الأسرة فإن الأم تحضن ابناءها كالدجاجة، وإذا فُقِدت الأم من الأسرة فإن الأب يتزوج فيتفرق شملها وكأنه عجاجة تفرق كل شيء.

---

(81) بعض الملامح الايجابية في المثل الشعبي الفلسطيني مجلة التراث الشعبي العراقية العدد 5 سنة 1977 ص 80

(82) أمثال وفوازير قروية جمع م.ع ي مجلة التراث الشعبي العدد 5 سنة 1977 ص 169.

وعن الأم يقول المثل الفلسطيني «الأمْ بِتْلَمْ» وهو كناية عن أن الأم هي عماد البيت الذي يلم شمله (83).

3 – قَطْرَانْ بْلَادِي وَلَا عْسَلْ الْبَلْدَانْ : يستعمل هذا المثل لحب الوطن وما يأتي منه، والترفع عما في الأوطان الأخرى ولو كانت أفضل من الوطن.. وفي الأمثال القروية الفلسطينية «زْوَانْ بْلَادك وَلَا قَمْحْ الْغريب» يعني به النهي عن الزواج بالأجنبيات، ويقول أن أي فتاة من بني قومك خير من أجنبية ولو أعجبك حسنها» (84)

4 – قَطْرَة عْلَى قَطْرة حَتَّى يَحْمَلْ الْوَادْ : بمعنى القليل مع القليل يصير الشيء الكثير. ومثله المثل الفلسطيني «شَعْرَة عَ شَعْرَة بِتْصِيرْ ذَقَنْ».

«حيث نجدُ نُبْل المشاعر التي تدعو للتعاون والتآزر والتآلف ... فهؤلاء بتعاضدهم وكل حسب طاقته وقدرته يستطيع أن يسهم في بناء الحياة الأفضل» (85)

5 – اِيدْ وَاحْدَة مَاتَشْطَحْ : بمعنى اليد الواحدة لا تصفق أي أن المجهود الفردي وحده في معزل عن تعاون الآخرين يحول دون الوصول إلى النتيجة المطلوبة وفي المثل الفلسطيني.

«اِيدْ وَحْدَهَا مَا بِتْصَفَّقْ» «ففيه دعوة صريحة ومشروعة لرص الصفوف ووحدة الأيدي والقلوب من أجل هدف شريف وخير» (86)

6 – «دِيرْ رَاسَكْ بِيْن الرُّوسْ وُعَيَّطْ أَقَطَّاعْ الرُّوسْ» : بمعنى ضع نفسك حيث يضع الناس أنفسهم ولا تخشى شيئا، وفي المثل الفلسطيني :

«حط رأسك بين الروس وقول يا قطاع الروس»

«أي ضع رأسك أيها المتحدي بين الرؤوس الشامخة المناضلة ولا تخشى الجلاد ومقصلته» (87)

7 – «لَهْبِيلْ تَابَعْ النَّاسْ وَالْحَادَكْ تَابَعْ النَّاسْ» : هذا المثال شبيه بسابقه بمعنى

---

(83) المصدر السابق ص 169.

(84) المصدر السابق ص 170.

(85) بعض الملامح الايجابية في المثل الشعبي الفلسطيني شكر حاجم الصالحي مجلة التراث العشبي العراقية عدد 5 سنة 1977 ص 82.

(86) المصدر السابق ص 82.

(87) المصدر السابق ص 85.

أن على الانسان أن يخضع لحكم الأغلبية سواء كان أُحْمَقَ قليل العقل أو كان حاذقا ذكيا، فالكل مع الأغلبية.

8 – الجْمل ما تَيْشوف كُعْبارته» : بمعنى أن الجمل لا يرى حدبته وهو مثل يضرب لمن ينتبه لعيوب الآخرين ويغفل عن عيوبه.

وفي المثل الفلسطيني : الجمل ما بيشوف حدبته.

وفي المثل العراقي : الجمل لو يشوف حدبته فإن انكسرت ركبته (88)

9 – «مَا يْشُوفْ لِيكْ غي شَفْرِك»

«وَمَايْحُكْ لِيكْ غِي ظَفْرِك»

بمعنى أن الحماس والعناية بالأمر لا يمكن أن يصدر فيما يهمك إلا منك وأنك لا تجد أحدا يقوم به جيدا كما تريد أن تقوم به بنفسك.

وفي المثل الفلسطيني (89)

ما بيحك جسمك غير ظفرك

وفي المثل العراقي :

ما حك جلدك مثل ظفرك.

10 – «لَبْرَى تَتْقْرى مَنْ عَنْوَانْها» : يقال المثل لمعرفة الشيء من أول علامة عليه، وفي المثل الفلسطيني (90)

والمكتوب مْبَيَّنْ من عنوانه

وفي المثل العراقي

المكتوب ينعرف من عنوانه

11 – «كُلْ سْبع في غَابْتُه زَهَّارْ»

– تقال لكل ذي صولة في حِماه

وفي المثل الفلسطيني (91)

كل ديك عَ مَزْبَلْته بِيْصِيح

---

(88) مهدي حمودي مقارنة بين الأمثال الشعبية الفلسطينية والعراقية عدد 5 سنة 1977 ص 121 مجلة التراث الشعبي.

(89) المصدر السابق ص 123

(90) المصدر السابق ص 123.

(91) المصدر السابق ص 123.

وفي المثل العراقي
الديجْ ع المزبلة ويصيح
12 – «النَّاسْ بَالنَّاسْ، وُنَاسْ بَاللّٰه»

يضرب المثل لاتكال بعض الناس على غيرهم والتدخل لصالح شؤونهم، ويضرب للناس الذين اعتمادهم على الله دون غيره. وقد استعمل الجزء الأول معرفا «الناس» للكثرة، و «ناس» الأخيرة بغير تعريف «للقلة».

وفي المثل الفلسطيني (92)
الناس بالناس والقطه بالنفاس
وفي المثل العراقي
الناس بالناس والقرعة تمشط الراس

13 – «النَّفْسْ غْرَارَة وَرْبَاطْهَا عْقَلْ» : بمعنى أن النفس غرور لا ينتهي، ولكنَّ العاقل من يستخدم عقله لكبح جماحها.

ويقول المثل الفلسطيني (93)
النفس خضرا.
وفي المثل العراقي
النفس خضره.

14 – «حَرْ ساعة يْفُوت» : يضرب المثل لتحمل المعاناة دفعة واحدة مهما بلغ الألم فيها أقصاه، خير من أن تبقى المعاناة تتكرر مرة بعد أخرى وفي المثل الفلسطيني والعراقي (94)
وجع ساعة ولا كل ساعة

15 – «قْطَعْ الدَّبْرة تَبْرة» : وهو شبيه بسابقه بمعنى اقطع المشكل من جذوره مهما بلغت التضحيات فإنك سترتاح بعد ذلك.

والمقصود بالدبرة هي الجرح الذي يحدث فوق ظهر الدابة من كثرة احتكاكه بالبردعة.

---

(92) المصدر السابق ص 123.
(93) المصدر السابق ص 224.
(94) المصدر السابق ص

16 – «غَادِي جَايْ بْحَال خَيْط السَّدَاية» : يضرب لمن يكثر التحرك أمام الناس ذهابا وإيابا. والسداية هي التي تأخذ كومة الصوف وتوزعها بين امرأتين جالستين تأخذان منها طرف الخيط الواحدة تلو الأخرى لبناء النسيج للحياكة.

وفي المثل الفلسطيني (95)

رايح جاي مثل مكوك الحايك.

وفي المثل العراقي

رايح جاي مثل منكوك الحايج.

17 – «بَيْضَة فِي الْيَدْ خْيَرْ مَنْ طَاير فِي السّمَا» : يضرب المثل للرزق المضمون ولو قل أفضل من كثير غير مضمون.

وفي المثل الفلسطيني (96)

بيضة اليوم ولا دجاجة بكره.

وفي المثل العراقي

بيضة اليوم ولا دجاجة باجرْ.

18 – «اللَّهْ تَيَعْطِي الْفُول غِيرْ اللِّي مَا عَنْدُو ضْرَاسْ» : يضرب المثل للذي يملك شيئا لا يستحقه أو لايدري ما يفعل به.

وفي المثل الفلسطيني (97)

الله بيعطي اللوز لِلّي مَالُوشْ سْنَانْ تَكْسِره.

وفي المثل العراقي

يعطي الجوز لِلمَا عَنْدهُ سْنُون.

وسأختم القول في الأمثال بالرغم من طول هذا الموضوع، بإيراد مثالين محليين استُنْبِط كلٌّ منهما إثر قصة خاصة به.

1 – حْكَامَتْ بَالْشْعَلْ (98)

ويضرب هذا المثل في قسوة الحكم على الناس، أو قسوة الانتقام، وبلشعل كان

(95) المصدر السابق ص 125.

(96) المصدر السابق ص 126.

(97) المصدر السابق ص 126.

(98) عن والدتي عام 1970 تغمدها الله برحمته.

قائدا أيام السيبة لبني موسى بدار ولد زيدوح، فأعطى للناس بالمنطقة الشعير والأرض، ليحرثوها ويزرعوها شعيرا....
فأخذ بنو موسى الشعير فأكلوه، ولم يزرعوا منه شيئا. فلما حان الحصاد لم يقدموا للقائد شيئا، وعلم بحقيقة الأمر فنادى عليهم، وأمرهم بحصاد ما انبتث الأرض من «بوبال» و«زريقة» : عَسْلُوجْ : كَرْنينة وأن يجمعوه في شكل «نْوَادَرْ (99) القمح أو الشعير»، وأقسم عليهم بأن يُرْبطوا كما تُربط الدواب إلى بعضها في عملية الدراسة حافيي الأقدام والدماء تسيل منها.

فقيل : هَاكْ عْلَى حْكَامَت بَلْلَشْعَلْ.

فذهبت مثلا في القسوة.

2 – اَرْفِيسَهْ مَا تْخَلَّصْ الدَّيْن (100)

يحكى أن شخصا في بني ملال كان يدعى «حمادي الحسين» وكان يقرض الناس ما يحتاجونه من مال : 10 ريال، أو 20 ريال، أو 30 ريالا.
ويسمح للشخص ببناء «نوالة» في دوار النوايل مقابل «كَرْشْ» ومن مميزاته أنه كان يأكل الفحم الرطب. وكان إذا جاء إلى أحد من مَدْيُونِيه وفتح له الباب دخل فأكل وشرب فيسكت عن مفاتحة مديونه بالدين. وإذا لم يرحب به صاحب الدار بالدخول أو بأكل أو شرب يطالبه بتسديد ما عليه من دين.

فكان أنِ اقْتَرض منه أحدُهم مالًا، وعَرَف فيه هذه العادة، فأخذ كلما جاء عنده للمطالبة بالدّين هيأ له «رْفيسة» خبزا مقطعا أطرافا صغيرة مغموسة في الزيت، أو اللبن، أو الحليب، أو غيره. فيصيب منها حمادي الحسين ما يشاء ويخرج...

غير أنه أكثر من زياراته لمديونه هذا. فحدث مرة أنه لم يقدم إليه «الرفيسة المعتادة» فأخذ هذا يطالبه بدينه، فقال له، أما كفاك ما أكلت عندي من رفيسة فإن ثمنها فاق دَيْنَكَ الذّي عَلَيَّ ؟ فأجابه حمادي الحسين. ياهذا «ارْفِيسَة ما تخلص الدَّين» فذهب هذا مثلا في أن المحاباة والتملق لا يردان الدَّين عن صاحبه.

---

(99) مفردها «نَادَرْ» وهو الركام.

(100) عن والدتي سنة 1970 تغمدها الله برحمته.

ثانيا ــ العــادات

* الخطبة والزواج
* عادة النفاس
* عادة الختان
* العادة عند الوفاة
* عيشور والشَّعَّالة
* حاكُوزة.
* عادة حلق الشعر
* المعتقدات عند أفراد القبيلة
* من أهازيج الأطفال

الخطبة والزواج

من تقاليد الخطبة قبل الزواج، قيام والدة الخاطب وأهله من النساء بالبحث عن زوجة المستقبل التي ستنضم إلى عضوية الأسرة والعائلة. وغالبا ما تكون شروط موضوعة مسبقا سواء تعلق الأمر بمواصفات الجمال من بياض البشرة، وسواد الشعر وطوله، وطول القامة إلى غير ذلك، أو تعلق الأمر بذماثة الخلق وحسن الطاعة والمعاشرة، إذ أن زوجة المستقبل عليها أن تعرف مسبقا بأن الآمر والناهي في البيت هو شيخها أب زوجها وحماتها أمه، وأن عليها فقط أن تقوم برعاية شؤون البيت تحت سلطة ومراقبة الحماة، وإعطاء نسل جديد للأسرة وأن الحماة هي التي ستقوم بتربية أولاد ابنها....

من أجل ذلك كانت عملية التنقيب عن الزوجة المقترحة تتم بواسطة والدة الخاطب أو من يقوم مقامها، كما أن صعوبة تَعَرف الخاطب على فتيات القبيلة يساهم في اكساب أهل الزوج من النساء هذا الحق، ويعود ذلك لأمرين :

1 – للسياج القائم بين الجنسين أعني : الحجاب وعدم الاختلاط.

2 – ولأن الاقدام على ذلك من طرف الرجل يعد في نظر المجتمع عيبا (101) ولم يكن هذا الأمر عيبا فقط في نظر المجتمع التونسي بل هو نفسه ما كان معروفا في أوساط قبيلة بني هلال حتى أن أحد الشبان عندما خالف هذه العادة لأول مرة تلقاه أهله بالغناء :

آش ِكَالُولِيكْ   أَيَا يَالْخَاطَبْ بِيدُو

بمعنى ماذا كان جوابهم أيا أيها الخاطب (بيده) لنفسه.

ومعلوم أن قيام الوالدة بالخطبة تحرم الخاطب من رؤية مخطوبته «فلا يعرفها معرفة ذاتية إلا ليلة البناء بها» (102).

والخطوبة في فلسطين «تبدأ بزيارة أم العريس أو أخته لبيت العروس لترى كنتها

---

(101) من مراسيم الزواج في تونس لأبي بكر الكافي، مجلة التراث الشعبي عدد 10 السنة 1977 ص 21.

(102) نفس المصدر السابق ص 22.

المختارة وتطلع على مفاتنها ... وتتأكد من سلامة نطقها أي تتفحصها بالتمام والكمال ثم تختبر أمها بالأمر لتتأكد من موافقتها» (103).

ولنؤكد على وثوق الصلة في التقاليد والعادات في قبيلة بني ملال وبين مثيلاتها في الشرق العربي أورد هذا النص عن يوم الحنة في مدينة فلسطينية «يوم الحنة : هو اليوم الذي يسبق ليلة الزفاف حيث يدعو أهل العريس جميع النساء المحبات من الأقارب والأصدقاء على عجن الحناء.. إذ تقوم كبراهن بعجنها والأخريات مغنيات أغاني الفرح وتتردد هذه الأغاني في بيت العروس حيث يخضبون يديها ورجليها في نقوش بديعة تزان بها الأصابع والكفوف...

بعد هذا يرجعون إلى بيت العريس ليتموا بقية السهرة» (104).

وهو نفس الشيء الذي كان يحدث في بني ملال مع إضافة بسيطة هي أن أهل العروس يستقبلون في مساء هذا اليوم «يوم الحنة» هدايا الأخوة والأحبة والأهل والأصدقاء والجيران والمعارف وتختلف هذه الهدايا باختلاف المستوى الاقتصادي لأهل العروس ومدى مساهماتها السابقة في الأفراح السابقة لأعضاء القبيلة.

وكما أن عملية التحميم والحلاقة – عندنا – تكون بواسطة جماعة الأصدقاء والأهل والأقارب، إمَّا في عين تامگنونت أو عين داي حسب مكان السكنى، وتستغرق اليوم بكامله وهو يوم مليء بالبهجة والفرح والغناء والسرور، فإنها نفس العملية التي يتحدث عنها النص الآتي ولكن باختلافٍ بسيط هو كون العملية في النص تحدث داخل البيوت والحمامات ... وعندنا في عيون طبيعية خلابة «الحلاقة : وتكون بحدود الساعة الثالثة بعد الظهر حيث يجتمع في بيت العريس المدعوون من الأخلة والأحباب، لِيُجْلسوا العريس على كرسي الحلاقة. أثناء ذلك يقوم الحاضرون من الرجال والنساء بالغناء والتصفيق .. والتحميم ويكون بعد الحلاقة حيث يأخذه أحد الأصدقاء أو الأقارب إلى بيته لِيُعِدَّ له الحمام هناك، وخلال السباحة يغني الخلان أغاني الفرح» (105).

---

(103) من مراسيم الزواج في مدينة فلسطين. أحمد جاسم حسين. مجلة التراث الشعبي عدد 5 سنة 1977.

(104) مراسيم الزواج في مدينة فلسطينية أحمد جاسم حسين، مجلة التراث الشعبي العراقية عدد 5 سنة 1977 ص 177.

(105) أحمد جاسم حسين.
من مراسيم الزواج في مدينة فلسطينية المصدر السابق ص 118.



صورة تعكس الاحتفال بوضع الحناء على يدي العريس اللابس الجلباب الأبيض، وقد غطى رأسه بجيب (قُبْ) الجلباب وفي الصورة تظهر الأعلام والكنابيش التي تتدلى على رؤوس الفتيات. وكذا بعض ظفائر «البرايم» صورة عائلية عام 1968 من عرس أخي أحمد.

وفيما يلي استعراض لعملية «إسلان» العرس في قبيلة بني ملال كما سبق لى أن كتبته في سنة 1977 (102).

من العادات الأصيلة في بني ملال الاحتفال بالزواج ونسميه (إسلان) وهو احتفال عظيم يشارك فيه جميع أقرباء العريس والعروس وأهلهما وأصدقائهما ... أما مكان الاحتفال فإنه كان يقام عادة في الساحة الموجودة بجانب ساقية (فوغال) أو تحت ظلال الأشجار المحيطة بعين سيد العربي .... ونظرا لوجود الماء بكثرة فإن جميع الذين يحضرون هذا الحفل يستحمون بالماء ليكونوا طاهرين ... أما الزينة فلا تسأل عنها ... فالعيون مكحلة نساء ورجالا أطفالا وكبارا، والشفاه مسوكة جميلة ... وعادة ما تبنى الخيام وتظل منصوبة من الصباح إلى مسائه حيث يهيئون للعريس جميع أنواع التسلية من رقص وغناء ومرح أما لباس (إسلان) أو العريس كما نسميه فإنه يتركب من جلباب أبيض رقيق تحته (الفرجية واتشامير) والسروال العربي الواسع في لون أبيض وفوق الجميع سلهام رقيق أبيض كذلك ... وعند عودة (إسلان) في المساء إلى بيته تأخذ جماعة من الفتيات بتلابيب سلهامه ويبايعن إياه بإحناء رؤوسهن ..... أما وراءه فتكون جماعة (الرّما) يغنون ويلعبون.

وفي السهرة قبل موعد الزفاف تقوم أم العريس بوضع الحناء في اليد اليمنى من يدي العريس وفوق الحناء توضع بيضة ... ويبدأ أصدقاء (إسلان) وأقرباؤه يهدونه هداياهم علانية ويكون هناك المنادى (الْبَرَّاحْ) الذي يعلن ذلك بكلمات موسيقية مألوفة «أفينكم آهله وأصحابه ...
ويتساهل سيدي أحمد بن المعطي ..... ويتساهلوا لحباب ... ويتساهلوا لصحاب».

(106) مجلة الشبيبة والرياضة لاقليم بني ملال بمناسبة عيد الشباب سنة 1977.

عادة النفاس

عندما يدخل الشهر التاسع للمرأة الحامل ويقترب موعد الولادة يقوم أهل المرأة الحامل بصنع «لَفْسِيسَة» وهو مايسمى «بُومَسُّوسْ» ويُسَمَّى «سَلُّو».

يكون صنع «لَفْسِيسَة» على الشكل التالي : يُكلى القمح «يقلى من غير زيت» ثم يطحن وتنزع منه النخالة، بحيث تؤخذ نواة القمح فقط، ثم يضاف إليه السكر المدقوق - كلاصي - والتْقَاوَتْ، وهي حبة حلاوة والنافع والكروية والزنجلان وغيره. ثم يعجن الخليط بالزيت البلدي «زيت الزيتون» ثم يحتفظ به إلى حين الولادة فيقدم منه للوالدة والزائرين.

إذا ازدادت بنت «انثى» ذبحوا لها ديكا، وإذا ازداد ولد «ذكر» ذبحوا له دجاجة، يقولون : يزوجون البنت بالذكر من الدجاج ويزوجون الولد بالأنثى - ربما ليكون سعيدا وموفقا في حياته الزوجية المقبلة.

ثم تنام الأم بعد عملية الولادة ستة أيام لا تغادر الفراش إلا لقضاء حاجاتها الانسانية اليومية، وفي اليوم السابع تذهب إلى الحمام وتلبس الثياب الجديدة التي يكون زوجها قد أعدها لها. وتضع على رأسها «الْكَنْبُوشْ» (107) يتدلى على جانبي رأسها، وإذا كان المولود بنتا انثى تكتفي بوضع الكنبوش فقط على رأسها، وأما إذا كان المولود ذكرا فإنها ترسل شعرها (بْرَايَم) أي ظفائر صغيرة جدا يختلط فيها الشعر الأسود بالخيوط الحمراء وتتعدد «البرائم» الظفائر الصغيرة من ثمانية : أربعة في كل جهة إلى مايقرب من عشرين حسب جودة الشعر ووفرته عند المرأة النفساء. وتفعل الأخوات البنات نفس الشيء من البرائم.

وفي اليوم السابع يقوم الأب بذبح الكبش أو الشاة أو عتروسا - ذكر الماعز - ويستدعي الأب بعض اصدقائه و «الطُّلْبَة» قارئي القرآن الذين يقومون بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم بصفة جماعية المرة تلو المرة بينما يقوم أحد المدعوين بتحضير الشاي وتوزيعه على المدعوين.

---

(107) الكنبوش : منديل طويل للرأس ألوانه، صفوف بين الأبيض والوردي وغالبا ما تكون أكثر صفوفه من الحرير. وينتهي من الجانبين بخيوط مرسلة.

وتقوم الأم باستدعاء صديقاتها، إلى حجرتها. فتقدم لهن وسائل زينتها من كحل وغيره فيقمن بمشاركتها في عملية التزيين.

عند انتهاء عملية التزيين تقوم والدة المرأة النفساء وأختها الكبرى بإحضار مجمر النار وإلقاء بعض أنواع البخور فيه، بينما تقوم القابلة بوضع المولود على ظهر والدته وتضع قطع السكر بينه وبين ظهر أمه وتخرج أمه ثديها وتعصر الحليب في أركان البيت حتى لايصاب الصبي بسوء من «أهل المكان» نظرا لاشتراكهم معه في الحليب الذي يرضعه من أمه.

ثم ترفع القابلة الصبي من ظهر أمه فتقدمه لها بين يديها ثم يبدأ الغناء بإحدى الأزجال الموروثة عن الزاوية الشرقاوية في أبي الجعد.

أسِيدِي صَالَحْ (108)
والصُّلَّاحْ اللِّي فَاتُوا
أبَرْكَةْ مَوْلَاي بُوعْبِيدْ (109)
والعْبَّادْ اللِّي فَاتُوا

أمُلَاتْ لُولِيدْ
اِعْطِيكْ أولِيدْ فِي وْلِيدْ

هَاكَّ نَبْغِيكْ أيَا أُمْ الرَّجَالْ
تَبْقَايْ دِيمَا غْزَالْ

وترفع الزغاريد وهن يضعن الحزام في وسط المرأة النفساء إعلانا بانتهاء فترة نومها في الفراش وإيذانا ببداية عملها المعتاد في بيتها. ولكن عليها ألا تغادر البيت بطفلها إلا بعد انقضاء أربعين يوما على ولادته.

---

(108) محمد الصالح حفيد بوعبيد الشرقي.

(109) مولاي بوعبيد، هو سيدي محمد الشرقي مؤسسة زاوية أبي الجعد الشرقاوي.

عادة الختان *

هذه العادة تسمى في بني ملال ب «حَجَّامْ» ولعل التسمية آتية من اسم صانع العملية وهو الحَجَّامْ أي ما نسميه اليوم بالحلاق وتسمى العملية أيضا ب «اطهَارة» وهي معروفة.

تبتدئ «اطهارة» أو «حجام» عادة بتحديد يوم إجراء العملية، وتبدأ الاستعدادات لها قبل الموعد المضروب بأيام وذلك باتباع الخطوات التالية :

1 – إخراج القمح من «الطارمة» (110) أو «المطمورة» (111) حيث تخزن الحبوب لوقت الحاجة.

2 – يحمل القمح إلى الوادي للغسيل «وادي تامكنونت» (112) حيث يصحب حملَه للوادي الغناء والتصفيق وغيره. ويتم غسله وارجاعه للبيت بنفس الجو المغمور بالفرح والغناء والسرور.

3 – تفرش الحُصُر في الساحة القريبة من البيت لينشف ويجفف عليها.

4 – ثم يؤتى بلوح مكتوب بالقرآن الكريم من «سِيدْنَا جَبْرَايَنْ» (المسجد)

---

(110) الطارمة : اصطلاح مغربي يعني حجرة صغيرة قد تكون بين منتصف الجدار إلى السقف. وتخزن فيها ربة البيت القمح أو الشعير – حسب ما تأكل منه العائلة خلال السنة – وبعض أواني خزن السمن والعسل والزيت وغيره. أي بمعنى آخر مستودع المواد الغذائية اللازمة لوقت معين من السنة أو السنة كلها.

(111) المطمورة : ج. مطامير : الحفيرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب ونحوها (المنجد في اللغة ص 471) مادة طمر.

(112) وادي تامكنونت : هو الوادي الذي تغذيه عين تامكّنونت وقد كان شاعريا بمناظره الخلابة الجميلة وكان مليئا بالمياه المتدفقة من عين تامكنونت التي تنبع من الناحية الشرقية الجنوبية لبني ملال على خط مستقيم أسفل عين أسردون.

* عن والدتي تغمدها الله برحمته، ثم أخواتي :
رحمة، الزهرة، ونعيمة
في سنة 1975

وتوضع فوق القمح وتوضع فوقها كتفيات (113) من النقرة «لِلْبْيَاضْ» أي للفأل الحسن والاستبشار والتيمن باللون «الأبيض».

5 – يخلط القمح بالتّمر.

6 – تبدأ عملية تنقية القمح من الأحجار وما يشوبه من الشوائب، وكلما صادفت المرأة أو الفتاة حجرة رمتها، وكلما صادفت تمرة أكلتها.

7 – بعد هذه العملية يطحن القمح ويصنع من دقيقه الكسكس والخبز.

8 – تشترى الحناء و«الكنابيش» (114) و«الشُّقَّة» (115) و«الدفينة» (116) وتدق الحناء وتهيأ للاستعمال.

9 – تقام «الحناء» في الليلة قبل يوم الختان وفي هذه الليلة تقدم المأكولات للمدعوين والمدعوات والمقصود بالحناء هنا هي حفلة الحناء حيث تكون أم الطفل قد اغتسلت جيدا ولبست ثيابها الجديدة الدفينة والشقة ووضعت على رأسها الكنبوش فتحني يديها ورجليها وتتزين بزينتها وترسل شعرها في شكل برائم (117) وتجلس وسط حلقة النساء آخذة بيديها الأعلام – وهي أقصاب في رأسها قطع من ثوب الْكَنَابَشْ وقطع أخرى ملونة. لعلها بقيت رمزا لأعلام القبيلة التي كانت تتخذها

---

(113) كتفيات : خيوط ترتب فيها قطع مَعْدِنِ النقرة الأبيض وتضعها المرأة على كتفيها.

(114) الكنابيش : مفردها كنبوش : يطلق على ثوب رقيق خيوطه تشبه خيوط الحرير، وترتب خيوطه على شكل صفوف طويلة لمسافة أصبعين في عرضها إلى ثلاثة أصابيع مرة باللون الأحمر الباهت ومرة بلون الحرير الأبيض المائل قليلا إلى الصفرة. وتستعمل الكنابيش عادة في الاحتفالات إما لوضعها فوق الحناء تخضب بها اليدان أو فوق الرأس من أجل الزينة وحين وضعها فوق الرأس فإنها توضع مرسلة دون طي يوضع وسطها فوق الرأس وتتدلى الأطراف من جانبي الرأس.

(115) الشقة : لباس أبيض يكون نصفه الثاني على شكل طويل فضفاض بحيث ترفع أطرافه السفلى إلى الحزام لتشد فيه ويبقى الثوب طويلا إلى القدمين وتكون مشقوقة من الأمام، ولذلك تسمى بالشقة.

(116) الدفينة : لباس نسائي طويل يكون من ثوب لين، ناعم الملمس مزين بالألوان والتزاويق. وتلبس تحتها عادة مايسمى «بالتحتية» وهي اللباس الذي يكون تحت الدفينة. وتختلف التحتية عَنْهَا بكونها تكون عادة من لون واحد تكون تحت الدفينة فلا تظهر تزاويقها ولا غيرها. والغالب أن المرأة تهتم بالدفينة ولونها وزركشتها أكثر من اهتمامها بالتحتية.

(117) برائم : ظفائر صغيرة من شعر المرأة تختلط بخيوط حمراء فتصل برائمها إلى 10 أو 15 أو عشرين بريمة.

شعارا لها – وأمامها المرآة تنظر فيها ويبدأ الأهل والأقارب والجيران والمعارف في إعطاء «الزْرُورَة» (118) لأم الطفل.

10 – في الغد يحمل الطفل على ظهر الحصان تقوده فتاة، وتأخذ بتلابيبه فتيات عن اليمين والشمال والخلف، والحصان مزين ومغطى بغطائه الخاص بهذه المناسبة. أما الطفل فلابس الجبة والسلهام (119) وَوُضِعَ القُبُّ (120) على رأسه وعادة ما يكون الطفل صغيرا غير قادر على الركوب وحده فوق الحصان، في هذه الحالة يركب خلفه خاله (121) ليمسك به. والفتيات ينشدن : مَانْطَهَّرْ وَلْدِي حَتَّى يْجِي خَالُو يِرَكْبُو قُدَّامُو وِيْعطِيهِ مَنْ مَالُو. ويتوجه الجميع في حفل بهيج لزيارة المسجد حيث يدخل الصبي ويقدم هدية للمسجد ويصلي ثم يعود الجميع بالصبي إلى بيت أمه.

11 – عند العودة إلى البيت يكون الرجال جالسين متحلقين من مكان العملية. يجلس «لَمْعَلَّمْ الْحَجَّام» في صدر البيت أمامه قصعة من «الْبَرِّيْوْ» (122) ليستعمل بعض حبات الْبَرِّيْوْ المناسبة – (والتي يختارها بنفسه من حبات القصعة) – في عزل ثمرة العضو عن الجزء المراد قطعه ، ويجلس إلى جانب «لمعلم» فَتَيَانِ قويان ليمسكا بالصبي جيدا.

12 – وبعد عملية التَّمْسِيدِ اللَّازم وإدخال حبة «البريو» في مكانها المناسب يقول «لمعلم» للطفل انظر إلى ذلك الفرخ (123) في السماء وعندما يرفع الطفل رأسه للسماء يكون المقص الحاد قد فعل فعلته.

13 – في هذه الأثناء تكون الأم جالسة وسط صُوَيِّحِبَاتِهَا وزميلاتها وبناتها وغيرهن يملأن أذنَها ضجيجا بالغناء والتطبيل لكي لا يصل أذنها صراخ أو بكاء آبنها.

14 – يوضع الطفل فوق ظهر أمه لتذهب به إلى الخيمة المقابلة لخيمتها :

---

(118) الزرورة : هي الحلاوة أو الاعانة بقوالب السكر أو النقود أو الذهب كل على قدر استطاعته.

(119) الجبة والسلهام : علامة على أن الطفل لم يعد طفلا وأنه أصبح ينظر إليه كرجل من الرجال.

(120) إشارة للحياء من العملية التي هو بصددها.

(121) خاله : أخو أمه.

(122) البريو : هو نفاية الغنم.

(123) الفرخ : المقصود به العصفور أو الطائر بصفة عامة.

ولعلها كانت في الأول خيمة أخيها خال الصبي. وهي تغني مع زميلاتها : فِينْ خَيْمَةْ خَيِّ فِين هِيَ نَمْشي لِيهَا.

وفي الخيمة التي تدخلها يُحَنُّون لطفلها ويقدمون لها السكر الأبيض رمزاً لبياض السعد وحلاوته.

15 - ثم تُرْجعه إلى خيمتها بالغناء والتطبيل فتضعه وتغطيه بشقتها. وتقدم له رأس بصل (124) يعضه ثم يقدموا له لحمة بوعكّاف (125) ليعضها أيضا. بينما يقوم أحد أصدقائه بخطفها من يده.

16 - تبدأ عملية ازْرُورَةْ أي تقديم الهدايا للطفل وتهنئة أهل البيت على نجاح الحفل والعملية. فالوداع.

---

(124) البصل : يقدموا له البصل لغرضين :
1 – كون مذاق البصل غير مستساغ الشيء الذي يجعله يغفل عن ألم قطع جلدة العضو.
2 – لكون البصل دواء من «نَقّريزْ» وهو مرض التهاب الجروح بالتقيح وغيره.
3 – ربما أيضا لفتح شهية الطفل للأكل.

(125) بوعكّاف : هو عظمة الفخذ المملوءة لحما بعد انضاجها جيدا.
يخطفه له أحد أصدقائه بعد أن تكون شهيته قد تفتحت لقطعة اللحم اللذيذة وبذلك يتحول اهتمامه من تفكيره في آلامه إلى تفكيره في بكائه عن حقه المغصوب في قطعة اللحم.
فتبدأ عملية الترضية وهي تقديم «الزّرُورَةْ» في محاولة اسكاته من بكائه وذلك بإعطائه بعض قطع النقود.

الوفاة

إذا كان الميت حاجًا يغسل بالزغاريد ويحمل إلى المقبرة ويدفن بالزغاريد. وإذاكانت المرأة نفساء يزينون شعرها بالبرائم. وكذلك إذا كانت المرأة فتاة عذراء أو توفيت وهي عروس.

أما إذا كان الميت عاديا فإن الجميع يبكي عليه وكل واحد يرثيه بعلاقته به .. ثم يحمله الرجال على المحمل إلى المسجد للغسيل حيث يغسله فقيه الجامع ... ثم يكفن بالكفن الأبيض، وتوضع عليه الحُنوط.. وفي هذا الوقت يكون الناس رجالا ونساء في انتظار إخراجه من المسجد. فيحمله الرجال في محمله على الأكتاف متوجهين به إلى المسجد بكلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ترددها الجماعة الأمامية ثم ترد عليها جماعة الخلف بنفس الكلمة، ووراء الجماعة الخلفية توجد النساء تتبع الجنازة مرة في صمت وأحيانا بالعويل والنواح حسب وعي أهل الميت.

عند الوصول إلى المقبرة يدخل الرجال وتتأخر النساء خارج المقبرة ثم يشرع الناس في عملية الدفن، بعد إقامة صلاة الجنازة على الميت وذلك بحفر حفرة على قياس الميت طولا، وشبرا عرضا. وقبل إتمام عملية الدفن تعود النساء أدراجهن إلى البيت. وأثناء عملية الدفن يقرأ المقرئون ماتيسر من القرآن الكريم وعادة ما يقرئون سورة «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير» ويُنْهُوهَا بسورة «قل أعوذ برب الناس .....». ويختمون بالدعاء للميت بالرحمة والمغفرة.

ويعود الناس كل إلى حال سبيله بعد أن يجددوا العزاء – في المقبرة – لأهل الميت الذين يعودون إلى البيت وينشغلون بتلقي العزاء من المعزين، بينما ينشغل الجيران والمعارف والأصدقاء بتهييء الطعام في بيوتهم وإحضاره إلى البيت للعزاء حيث يأكل أهل الميت والمعزون الحاضرون وقت وجبة الأكل وذلك لمدة ثلاثة أيام... كل وجبة بحسب ما يكون فيها عادة من أكل.
الفطور : الخبز الرقيق «بُوشَيَّارْ» أو الحريرة، أو الرز والحليب والشاي .... وغيره. ووقت الغداء الطاجين، باللحم والخضر والخبز، والعشاء : الكسكس باللحم والخضر.

وفي اليوم الثالث تدشن الأشغال العادية لاعادة الحياة إلى طبيعتها في بيت الميت بعجن «خبز التفريق» وذلك بعجن حوالي أربعين أو خمسين خبزة وحملها إلى المقبرة مع «زكاوة» كرموس يابس «شريحة» وبعض النقود الصغيرة ويوزع الجميع على كل الحاضرات من النساء المعزيات المشاركات في الذهاب إلى المقبرة. وهذه المرة تدخل النساء إلى جوانب القبر مصحوبات بالأطفال الصغار والصغيرات وقُرَّاءِ القرآن الكريم.

وبعد تلاوة ما تيسر من الذكر الحكيم تقوم أكبر أهل الميت سنا واعقلهن واحكمهن بتقديم الخبز و «الكرموس» التين اليابس والنقود على قراء القرآن الكريم. ويكون توزيع الخبز بحسب الكمية المتوفرة وعدد الحاضرين والحاضرات نصف خبزة لكل شخص أو ربع، وكل من أخذ يدعو قائلا «اللَّهْ يِلَحَّقْهَا لِمُولَاهَا» بمعنى «الله يجعلها رحمة ومغفرة للميت» وفي المساء يقوم أهل الميت بذبح الذبيحة واستدعاء الجيران، والأصدقاء والمعارف الذين قاموا بواجب العزاء من أجل «الصدقة» وهي العشاء، وعادة ما يكون «الكسكس» فقط باللحم والخضر، مع الاستماع لآيات من الذكر الحكيم ... أما في أيامنا فقد أصبح أهل البيت يقدمون أكلتين على الأقل.

وفي اليوم الأربعين للوفاة يستدعى الطلبة، قراء القرآن الكريم والجيران والأهل للاجتماع للعشاء لتلاوة القرآن الكريم.

ومن العادة التي كانت معروفة عند إعلان الوفاة اجتماع النساء في حلقة المندبة وهي التي تُكَوِّنُها النساء للندبة، وتعداد علاقة الميت بكل واحد من الأسرة مع جر الأظافر على الخدود الشيء الذي يترك جروحا فوق الخدود، وهو ما يجعلها بشعة جدا خاصة عندما يرتفع صوتهن تارة بعد أخرى «أَوَايْحِي أَوَايْحِي» ومن طرائف هذه المناذب.

أن لاحظت العدادة – وهي المرأة التي تقوم بدور قائد الأركسترا في المندبة – لاحظت امرأة لا تحرك يديها كما ينبغي ولا تحدث الخدوش فوق خديها، وهي تقول : «أَدَارُو عَالْيَة فِينْ امْشَى مُولَاهَا». فأرادت العدادة اِخْراجها فأشارت لهن : «آوَايْلِي دِيرُوا هَاكَّا ... دِيرُوا هَاكَّا» وصارت تندب بقوة وهي تنظر إلى المرأة الغير متحمسة فأجابت هذه بقولها :
«أَوَايْلِي كُلّ ايِدِيرْ كِيفْ ابْغَى».

أي أنها لا تريد مشاركتهن في جرح الخدود.

فألحت لها العدادة بأن الأمر يتعلق بالسلف هذه المرة عندي والمرة الثانية عندك، وأنه إذا لم تندبي فلا حاجة لنا بك قالت :

آوايلي اللِّي ما تَنْدَبْ أُولَاشْ وَاقْفَة.
آوايلي الْبَكِّيَة والدَّمْعَة غِي مْسَلْفَة.

عادة حلق الشعر

من العادات التي كانت منتشرة بالمدينة، ارسال اللحية وحلق الرأس، وقد كان الاعتقاد السائد أن من السنة الاسلامية حلق شعر الرأس، وأن ارسال الشعر لم ينتشر إلا في عهد الحماية وبعده، وأن عادة ارسال الشعر هي عادة دخيلة على المجتمع، وأن الأصل فيه هو حلقه. بينما حقيقته في الاسلام هي عكس هذا الاعتقاد قال أبو عيسى محمد المهدي الفاسي في مخطوطه الممتع [126] «ثم قال فنقول وبالله التوفيق، إن حلاق الشعر جائز في الشرع للتائب ولغير التائب لقوله صلى الله عليه وسلم «من كانت له وفرة من شعر فليكرمها وإلا فلينزعها».

وقد حلق رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام «أحسنت»، وقال الصوفية «قوله عليه السلام : أحسنت دليل على أن الحِلَاقَ جائز وأفضل، ومن أراد أن ينظر فيما ذكرناه فلينظر كتاب معدن الجواهر لأبي محمد صالح، وقال أبو محمد بن عمر المغربي في كتابه أحكام الفطرة، حلق الرأس للكافر إذا اسلم جائز لقوله عليه السلام للكافر الذي أسلم بين يديه احلق عنك شعر الكفر، قال شيخ الدين العسقلاني هذا حديث حق قوي أخرجه أبو داوود وغيره» [127].

ثم قال في مكان آخر من الممتع «وفي المواهب اللدنية للشهاب القسطلاني ولم يُرْوَ أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف في غير نسك حج أو عمرة فيما علمته فتبقية الشعر في الرأس سنة» [128].

إذن فالسنة هي ابقاء شعر الرأس مع الاعتناء به بتنظيفه وتصفيفه وإلا فالأمر يتطلب حلق هذا الشعر بصفة جذرية، إذا لم يتمكن صاحبه من الاعتناء به.

---

(126) مخطوط الممتع ص 17 في ملك السيد مولاي ادريس العلمي بقصبة تادلة.

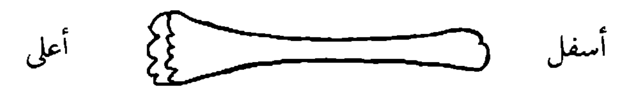
(127) الممتع ص : 17 من المخطوط الخاص.

(128) الممتع ص : 19 من المخطوط الخاص.

عَيْشُور والشَّعَّالة

يبتدئ الاحتفال في اليوم الأول لشهر عيشور : وهو شهر محرم، ويستمر الاحتفال إلى غاية يوم العاشر منه.

ويكون بأخذ عظمة ركبة من ساق الخروف وتكون على الشكل التالي :



وتقوم الفتاة بوضع الحناء على الرأس أي الجزء العلوي. وتخيط له الثياب، الدفينة والقفطان، وتخيط له «الشْكَارَة» تتدلى إلى جانبه وأحيانا تضع له «الرُّزَّة» وهي ثوب طويل كالمنديل يلفه الرجل فوق رأسه وتضعه الفتاة أحيانا في طبق تحت وسادة وفي قُبِّه : (جيب الجلباب) بعض القطع النقدية.

وتقوم الفتاة بعرضه على الرجال والشبان المارين في الطريق قائلة «فْلُوسْ عَيْشور أَخَالِي الله يِعَمَّر شْكَارْتَك» فيقدم لها الرجل ما تسخو نفسه به من قطع نقدية.

وفي ليلة العاشر من المحرم تكون ليلة الشعالة وتقوم النساء بإرسال شعورهن ويتجولن في الأزقة ويغنين :

اللِّيلَة هِي لِيلْتو يَالَالِّ حَادَّة
اللِّيلَة يْمُوت لَعْدُو يَالَالِّ حَادَّة
وَلَايَنِّي كَدِّيدَة وُمَلْوِيَة عَلْى الَعْوادْ
وَلَايَنِّي عَيْشُورْ مْشَى يْصَبَّنْ وَدَّاهْ ألْوَادْ

وفي أكلة العشاء تهيء الأم الكسكس بلحم الكديد (القديد) خاصة «اللِّيَا» هي الجزء المشحم من مؤخرة ظهر الكبش بما فيه الذيل ومعلوم أن القديد المذكور هو ماتبقى من لحم أضحية عيد الأضحى، حيث تقوم ربة البيت بتعريضه للشمس حتى ييبس ثم تخبئه في إناء من الطين «اخْدِيمة» إلى وقت الحاجة إليه.

وفي صباح العاشر من المحرم يغتسل أفراد الأسرة «يَتَزَمْزَمُونَ» [129] ثم يتوجهون إلى المقبرة حيث يقومون برش الماء على قبور موتاهم، والترحم عليهم، بينما تقوم الفتيات بتوكيل الفتيان بدفن عيشورهن مقابل بعض القطع النقدية من النقود.

وبذلك تنتهي فترة الاحتفال بعيشور ومن المعروف أنه في الوقت الذي تقوم فيه الفتيات والنساء بالجري داخل الأحياء والأزقة يتبارين في إظهار القوة على الغناء والجذب والجري يقوم الفتيان بإشعال النيران في ركام من الحطب يكونوا قد هيئوه لهذه الغاية من قبل، ثم يقومون بالقفز فوق النار واللعب حول لهبها وهذه العملية هي ماتسمى بالشعالة.

ويرد البعض الاحتفال بالشعالة إلى ذكرى أليمة هي ذكرى قتل الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء بالعراق. لذلك تعتبر من هذا الباب شيئا غير مرغوب فيه.

أما عيشور فلعله أثر من بقايا العبادات الوثنية القديمة.

---

(129) إشارة إلى الاغتسال بماء زمزم، (والمقصود من العملية «الطهارة من الذنوب»).

حاڭوزة

يقول عنها محمد البشير بن عبد الله الفاسي (130) اثناء الحديث عن عادات بني زروال : «نعم توجد بها بعض عوائد لا مستند لها في الاسلام ولكنها قليلة، ولعلها من آثار المسيحية التي كانت منتشرة في جبال غمارة زمان الفتح الاسلامي من ذلك الاحتفال برأس السنة الشمسية (الحكّوز) وهو المعروف عند الفرس بالنيروز فإنهم يحتفلون به احتفالا خاصا يعدون فيه المأكل ويعقدون الاجتماعات للتزاور بينهم ومبادلة التهاني، ومن المأكولات المخصصة عندهم لذلك اليوم السفنج محشو بحوت السردين».

ويصنف محمد العلمي «حاڭوزة» ضمن الأعياد الفلاحية ويسميها النايرة ويردها إلى أصل روماني «وهناك أيضا احتفال فلاحي يسمى النايرة، ويقام في يوم الثالث عشر من شهر (يناير) وهو من أصل روماني عتيق، ويعتبر هذا العيد في المغرب فلاحيا وخاصا بالأطفال في نفس الوقت» (131).

ويعتقد الأهالي في بني ملال أنهم يحتفلون برأس العام الفلاحي كل سنة عندما يحتفلون «بحاڭوزة» يوم 13 يناير من السنة الشمسية ويكون احتفالهم بذبح الدجاج أو «بِيبِي، الديك الرومي» يصنعون عليه الكسكس بسبع خضر فأكثر وتكون عادة من :

القرع الأحمر : (الكَّرعة الحمرا) و (بُورَاصْ) : اللفت الأبيض، «الّلفْتْ المحفور» (السَّلْجَم)، الحمص، الجزر (خِيزُّو)، الطماطم (ماطيشا)، الخرشوف، البصل، والحليب، والزبدة بالاضافة إلى بيضة لكل عضو من أعضاء الأسرة في البيت.

ومعلوم أن الطبخ كان عادة بواسطة الحطب في الكانون وتضع الأم الكسكس في قصعة (كَصْعة) كبيرة يلتف حولها كل أفراد الأسرة كبيرا وصغيرا يأخذون اللّقَيْمَات بالأيدي ... وتحضهم الوالدة على الأكل قائلة :

---

(130) في كتاب : قبيلة بني زروال ص 14.

(131) مجلة التراث الشعبي عدد : 01 سنة 78. ص : 35

اللِّيلَــة هِيَ لَيلْــةْ اللَّمَاسَــة
وَاللِّي مَا شْبَعْ نْغَطِيوَهْ بَحْلَاسة [132]

ويعتقدون أنه من لم يشبع في هذه الليلة لن يشبع في عامه كله. ولذلك تحرصُ الأم على أن يشبع كل أفراد الأسرة في هذه الليلة.

ولا تنس الأم أن تضع لقمة من الكسكس في جانب الكانون لأهل المكان من الجن.

---

(132) الحلاسة :
مصنوعة غالبا من الدوم أو المنسوجات الخشنة وتوضع عادة على ظهر الدابة.

المعتقدات عند أفراد القبيلة

1) رؤية القط الأسود ليلا تقترن بالشؤم والجن، لذلك يبسمل كلُّ من رآه : باسم الله الرحمان الرحيم، أما الفلسطيني فإنه «يرى فيه روحا شريرة يجب الابتعاد عنها وعدم النظر إليها» (133).

(2) عندما يتحلق أهل البيت حول صحن الأكل ويتحرك، فإنهم يتساءلون عمن ينقصهم في حلقة الأكل، وكأن الصحن يتساءل عنه. أما دوران الصحن فإن العائلة الفلسطينية تستنكر أن يحرك أحدهم صينية الطعام دائريا لاعتقادها أن ثمة ملائكة تحمل تلك الصينية المقدسة (134).

3) الصفير في البيت، نستنكر الصفير في البيت لأنه فأْل قبيح خوفا من أن يجلب الفراغ للبيت من أهله... ولكن الفلسطيني والعراقي يخشيان الصفير ليلاً حتى خارج البيت لظنهما «أن الصفير يجمع الملائكة النائمة» (135).

(4) الكنس في الليل : تُمْنَع الأسرة من الكنس ليلًا، وإذا اضطرت المرأة إلى الكنس لَيْلًا فإن عليها أن تحرق جزءا من طرف المكنسة قبل الكنس حتى لا يصاب البيت بأذى. «وتتحاشى المرأة الفلسطينية الكنس مساء، لاعتقادها أن الكنس في مثل هذا الوقت يعني كنس الخير من بيتها» (136).

(5) سكب الماء لَيْلًا : تتحاشى المرأة – لَيْلًا – اهراق الماء من أعلى يدها إلى الأرض، خاصة إذا كان حارا فإنها تنحني وتصبه برفق وخوف وتردد قبل العملية وأثناءها وبعدها البسملة في وجل «باسم الله الرحمان الرحيم» خشية أن يحرق ماؤها كائنا من الجن فيصيبها بأذى. أما في فلسطين فإنه «عندما تسكب المرأة الماء ليلا لا تنسى أن تبسمل، فسكب الماء ليلا يوقظ – في اعتقادها – الملائكة النائمة أما في النهار فلا تبسمل المرأة إلا إذا كان الماء ساخنا» (137).

---

(133) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167

(134) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167

(135) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167

(136) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة مجلة التراث الشعبي العراقية العدد 5 السنة 1977 ص 167

(137) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167

6) الحذاء المقلوب : إذا رأى أحد افراد الأسرة فردة حذاء مقلوبة فإنه يحتج على ذلك ويعيدها إلى وضعها الصحيح أو يأمر أحد الصبية أو من هو أقرب إليها لاعادتها إلى وضعها الصحيح، بينما يحتج صاحبها، وكأنما قلِبَ وجهه إلى الأرض. في حين إذا رأى «الفرد الفلسطيني حذاء مقلوبا لا ينسى أن يعيده إلى وضعه الصحيح، فهيأة الحذاء المقلوب تذكره بما كان يفعله قوم لوط» (138).

7) الملح والحسد : يعتقد أفراد القبيلة أن الملح يطرد الجن لذلك فهم يضعون قليلا منه تحت وسادة الطفل الذي يتخيل أشياء في منامه توقظه ليلا. كما يعتبرون أن الملح يرد عين الحساد لذلك توصي الأم ابنها بأن يحمل شيئا معه منه – أما الفلسطيني فيعتبر مادة الملح خير ما يبطل فعل العين الحاسدة، لذا فهو يرشه على نفسه، أو على من يحبه من الناس (139).

8) رش الماء : عندما يفزع الطفل ويتغير مزاجه فإن الأم تعمد إلى رش ابنها بقليل من الماء مع ذكر البسملة. وفي اعتقادها أي المرأة الفلسطينية أنه إذا خرج الابن من البيت منحرف المزاج يجب أن «تعمد إلى رش الماء وراءه خوف الأمور المكروهة الطارئة» (140).

9) الجلوس أو النوم في العتبة : يعتقدون أن الذي ينام في عتبة الباب كأنه يدعو على أمه بالموت.
وفي فلسطين «تحاذر الأم من الجلوس بوليدها على عتبة البيت والأقوال تتناقض في معرفة سبب ذلك» ،(141).

(10) عندما ينزع الصبي احدى أسنانه فإنه ينتظر شروق الشمس ليرميها في عين الشمس قائلا «أَنا اعْطِيتَكْ سَنْ الْحَمَارْ، وَاعْطِينِي سَنْ الْغَزَالْ» وذلك في اعتقادهم لجلب الأسنان الجميلة المتراصة.
ونجد نفس الاعتقاد يسود في العراق كتب كريم علكم الكعبي يقول «إذا سقطت أسنان الطفل اللبنية فإنه يأخذها ويرميها باتجاه قرص الشمس ويقول (حَلَالْ مِثْلَ دَمِ الْغَزَالْ، أَطِّيحْ سن الجهال، واطيني سن الغزال) (142).

---

(138) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167
(139) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167
(140) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167
(141) المعتقدات الشعبية الفلسطينية : محمد سمارة العدد 5 السنة 1977 ص 167
(142) عادة وتقاليد في جنوب العراق مجلة التراث الشعبي عدد 8 السنة 1978

(11) من العادات السائدة عندما يصاب الطفل بمرض الحصبة «بوحمرون» يغطونه بغطاء أحمر ويلبسونه الأحمر لاعتقادهم أن اللون الأحمر يخفف من هذا المرض وفي العراق «لذلك اطلقوا هذا الاسم على مرض الحصبة، ومن العادات أن يلبس الطفل ثوبا أحمر لتخفيق أثار المرض» (143).

ويكره الناس أن ينطقوا بهذا المرض باسمه «بوحمرون» بل يفضلون إطلاق ما يرجونه من المرض وهو السلامة والنجاة منه فسمونه «بُوسْليم».

---

(143) نفس المصدر السابق ص : 67

من أهازيج الأطفال

من الأهازيج التي كان يهزج بها الأطفال الصغار في المنطقة أهزوجة «الجزادة» وهي كالتالي :

آجْـرَادَة مَالْحَـةَ
فِينْ كُنْتِ سَارْحة
فِي جْنَان الصَّالحة
وَاشْ كَلْتِ
وَاشْ شَرَبْتِ
غِيرِ التُّفَّـــاحْ
وَالنُّفَّـــــاحْ
يَاقَاضِي يَا مَفْتَاحْ

تنتهي بالتصفيق الحار والسريع وتختم بصيحة : هيه.

أما جنان الصالحة فهو بستان في أكدال بمراكش ؛ ولعله نسب إلى إحدى زوجات عبد المومن الموحدي المدعوة «بالصَّالحة» وربما اكتسب شهرته من كثرة العناية به، ولكثرة ما به من أشجار الفواكه والثمار.

قال عنه الناصري «والصَّالحة هي بستان كبير من جملة بساتين أجدال دار الخلافة بمراكش ولازال هذا البستان مشهورا بهذا الاسم إلى الآن، وهو من انشاء عبد المومن بن علي رحمه الله، فقد ذكر الشيخ أبو عبد الله بن عذاري الاندلسي في كتاب «البيان المعرب عن أخبار المغرب» أن بستان المسرة الذي بظاهر جنان الصالحة أنشأه عبد المومن بن علي كبير الموحدين، قال : وهو بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها وفيه كل فاكهة تشتهى، وجلب إليه الماء من أغمات، واستنبط له عيونا كثيرة.

قلت ولشهرة هذا البستان وموقعه من الناس لهجت به صبيانهم وسجعوا به فيقولون : «ياجردة مالحة، أين بت سارحة، في جنان الصالحة» في اسجاع غير هذه تجري على السنة الصبيان والله أعلم» (144).

(144) الاستقصا ج : 2. ص : 249.

ثالثا ــ الألعـــاب

* لعبة نواة التمر
* لعبة هِيهْ
* لعبة سْتِيوْ طْوِيلة
* لعبة كْرَاعْتِي
* لعبة لَكْعَابْ
* لعبة طْوِيلَة
* لعبة غْصَيَّة جْمَيْلَة
* لعبة أَرَّوَاحْ
* لعبة كرة القدم

سْتِيوْ طْوِيلَة

سْتِيوْ : للجماعة، وللفرد : سْتِي، وهي أن يرفع الرِّجْلَ اليمنى إلى الخلف والجري على الرِّجْلِ اليسرى أو العكس : رفع اليسرى إلى الخلف والجري على الرِّجل اليمنى.

واللعبة تبتدىء برسم مستطيل واسع يدخله جماعة من اللاعبين حسب مساحة المستطيل 10 أو 20 أو 30 لاعبا، يتبعهم واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة لاعبين حسب مساحة المستطيل وعدد اللاعبين. وتكون اللعبة بأن يهرب اللاعبون داخل المستطيل ويتبعهم واحد أو أكثر يجري على رجل واحدة والرجل الثانية المرفوعة إلى الخلف ؛ يقذف كل من اقترب منه.

وكلما اقترب من لاعب من الهاربين قذفه بالرجل المرفوعة إلى الخلف. عند ذاك يغادر اللاعب المقذوف ساحة اللعب وهكذا إلى أن يبقى لاعب واحد.. وفي حالة اجتياز أحد اللاعبين الخط المرسوم فإنه يغادر اللعب هو أيضا.

ومن بقي هو الأخير دون أن يقصى من اللعب لأحد السببين المذكورين أعلاه فإنه يعتبر بطل اللعبة، وهو الذي يقوم بالجري خلفهم في الجولة القادمة.

وقد حدد لي والدي مساحة لهذه اللعبة في الوقت الذي كانوا يلعبونها :

من دار آيت الشيخ (أيت الوحشي فيما بعد) إلى دار أيت ناموس (صهريج آيت ناموس) حوالي 100 متر طولا و 30 عرضا.

* عن تسجيل صوتي لوالدي بتاريخ 87/05/31.

نواة التمر

يقوم أحد الأشخاص بنثر مجموعة من نواة التمر إلى الأرض ويقوم الخصم بضرب هذه النواة بنواة أخرى في ملكيته وذلك بدفع نواته بسبابته نحو النوى المنثور من مسافة محددة، وكلما لمس نواةً واحدة في ضربة واحدة، أخذها وإذا لمس أكثر من واحدة لم يأخذ شيئا وكلما أخطأ في الرمي لم يأخذ شيئا كذلك.

وهذه اللعبة تعتمد على التسديد الجيد وعلى حافز الربح والخسارة.

عن تسجيل صوتي لوالدي يوم 87/05/31.

لعبة هِيهْ

يلعبها جماعة من الرجال. ينحني أحدُهم وَيُغَطِّى بالسلاهم ويأخذ في يده حبلا يمسكه معه أحد أعضاء فريقه ويدور مع الجماعة التي تدور مع دوران الحبل كدوران عقرب الساعة – والحبل لتحديد شعاع الدائرة – وأثناء الدوارن يقوم الخصوم الموجودون في الدائرة بضرب الخصم الموجود في مركز الدائرة المغطى بالسلاهم، يضربونه بالأيدي علِى ظهره، وهم يصيحون في كل وقت هِيهْ .. هِيهْ .. هِيهْ. ومع كل كلمة هِيهْ .. يُومِئونَ إليه للضرب، وكلما اقتنص أحدُهم غفلة منه ضربه على ظهره براحة اليد.

أما الرجل المضروب وسط الدائرة فعليه أنْ يتقي الضربات وأن يكون يقظا لحركات الخصوم في محيط الدائرة ويقوم بمحاولة رَكْلِ كل من اقترب منه. فإذا ركل أحدهم، فإن الشخص المركول يدخل وسط الدائرة مكانه.

وهكذا تدور اللعبة بحماس شديد، الذين في محيط الدائرة عليهم أن يقوم بتدويخ الخصم وتوجيه الضربات إلى ظهره براحة اليد، وعلى الخصم وسط الدائرة أن يتقي الضربات، وأن يصيب أحد الخصوم ليحل محله. لذلك يجتهد أعضاء الدائرة على أن لا يصيبهم برجله ويجتهد مركز الدائرة في أن يصيب أحد الأعضاء ليتخلص من مكانه المحرج هو الآخر وفي هذه الحالة يتغير كذلك الشخص الممسك لطرف الحبل في الدائرة.

ومعلوم أن هذه اللعبة كان يلعبها الرجال فيما بينهم، وهي أيضا تعتمد على اللياقة البدنية لتحَمُّلِ الأعطاب الناجمة عن ذلك.

* **عن تسجيل صوتي لوالدي يوم 87/05/31.**

لُعْبَةْ كْرَاعْتِي

تكون في عيد الأضحى. وذلك بأن يوضع أحد الشباب في شبكة (145) ويحمله أربعة شبان، ثم يطوف به شباب المدينة حيَّهم أو بعض الأحياء المجاورة، وهو يصيح : كْرَاعْتِي كْرَاعْتِي (146) فتخرج النساء من البيوت وتصب عليه سطل الماء وتقول له «آش تَايْضَرّكْ امْرِيضْ» » فيجيبها «كْرَاعْتِي كْرَاعْتِي» فتدخل المرأة إلى بيتها، وتخرج له أرجل خروفها المذبوح... ويجيب امرأة أخرى «تَايْضَرْنِي رَاسِي» فتدخل هذه لتخرج له رأس شاتها أو خروفها ... ويجيب أخرى «تَاضَرّنِي خَنْشُوشِتِي» (147) فتدخل المرأة بيتها وتخرج له «خَنْشُوشَةَ» كبشها ... ويجيب أخرى تاضرني «أُوذِنْتِي» فتعطيه المرأة أذن اضحيتها. وهكذا كلما اشتكى المريض – وهو الشاب المحمول في الشبكة – لامرأة بعضا من أعضاء الأضحية قدمتها له... ومعلوم أن النساء يتنافسن في إرضاء شباب هذه اللعبة، ولايرضين أن يعتذرن عن عدم تقديم العضو المطلوب لأن الشاب المريض يظل يصيح بالعضو المطلوب إلى أن تقدمه له صاحبة البيت.

كما أن الزَّوْج ليس بيده أن يرفض عُرْفًا تقليديًا متعارفا عليه وكذا أبناء البيت المعني بالأمر فإنهم يخجلون أمام رفاقهم إذا لم تلب والدتهم طلبهم.

وعند انتهاء اللعبة يكونون قد ملئوا أكياسا كبيرة من حجم أكياس القمح فيدخلون أحد البيوت ويقتسمون ذلك، ويقيمون به وليمة، ويقدمون جزءا منه (عُرَّامْ) (148) لربة البيت الذي تتم فيه عملية القسمة.

---

(145) شبكة كبيرة مثينة يحمل فيها الفلاحون التبن من الحقول إلى البيت لعلف حيواناتهم.

(146) كراعتي : أي رجلي .. وهي كناية عن رجل الخروف.

(147) الخنشوشة : منطقة أنف الخروف.

(148) عرام : ركام.

لُعْبة لَكْعَابْ (*)

قبل سنة 1910 كانت اللعبة متداولة بين الناس ومعروفة جدا ومتوارثة.

وسائل اللعبة هي : الكَعْبة التي توجد في مفصل القدم الأمامية للخروف أو العجل.

يلعبها اثنان فما فوق.

وشكلها : أن يرمي كل لاعب كعبة إلى الأرض. فإذا سقطت إحداهما على ظهرها والأخرى على بطنها، فالذي سقطت كعبته على بطنها وظهرها إلى أعلى هو الذي يقوم بضرب كعبة الآخر بكعبته انطلاقا من مكان كعبته التي رمى بها إلى الأرض، حيث يضع مكانها قدمه الأمامية بينما يؤخر قدمه الأخرى عن مكانها فإذا حركها من مكانها أو لمسها بالكعبة التي ضرب بها، فإن كعبة الخصم المضروبة تتحول إلى ملكية الضارب.

وأما إذا جاءت وضعية الكعبتين الساقطتين إلى الأرض على شكل واحد، إما أن تسقطا على ظهرهما أو على بطنهما. فإن اللاعبين في هذه الحالة يقومان بإعادة رمي كعبتيهما.

وأما إذا وقعت إحداها على ظهرها، والأخرى على جانبها في مثل هذا الشكل فإنها تكون في وضعية يسمونها «فُورْسْ» ووضعية «فورْسْ» أقوى من وضعية سقوط الكعبة على بطنها، وفي هذه الحالة تُعطَى الأسبقية لصاحب «فورْسْ» لضرب كعبة الخصم. فإذا لمسها أو حركها من مكانها فإنها تصبح في ملكه، وأما إذا أخطأها فإن اللعْبة تعاد من جديد.

وفي حالة لعب أكثر من اثنين فإن صاحب الوضعية المتميزة عن الآخرين يكون أول من يضرب ويتبعه من يليه في الوضعية المختلفة عن الباقين.

مثال : ثلاث لاعبين.

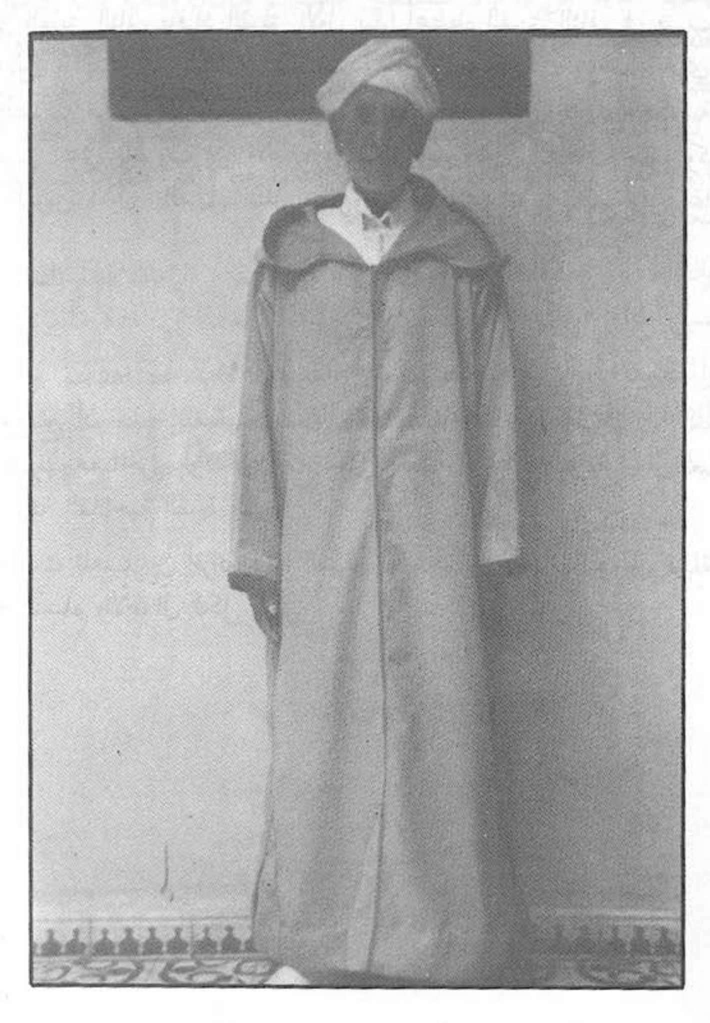
1) وضعية فُورْسْ.

2) الثاني وضعية الظهْر إلى أعْلَى.

3) وضعية البطن إلى الأعلى.

في هذا المثال يكون صاحب وضعية «فُورْسْ» هو أول من يضرب ما يشاء. فكلما لمس إحدى الكعبات أصبحت في ملكه وإذا أخطأ يضرب من يليه وهو صاحب وضعية الظهر إلى أعلى. ويمكن أن يلعبها أربعة أيضا في شكل فريقين اثنين مقابل اثنين.

* تسجيل صوتي عن والدي 87/05/31 بني ملال.



صورة والدي تغمده الله برحمته الواسعة، توفي يوم 5 يوليوز 1988.
وعنه نقلتُ كثيرًا من معلومات المجتمع في بني ملال.

لُعْبَةُ طْوِيلَة

يتقاسم اللاعبون إلى فريقين : فريق يجري إلى الأمام وفريق يتبعه في الخلف. فإن لحق الفريق الثاني بأفراد الفريق.الأول يبدأ أعضاء الفريق الثاني في ضرب أعضاء الفريق الأول بالأيدي إلى غاية مسافة محددة سابقا. عند ذلك يتوقف الجري وتتوقف عملية الضرب من طرف الفريق الثاني. ثم تبدأ اللعبة من جديد معكوسة، بحيث يقوم الفريق الثاني بالهروب إلى الأمام، ويتبعه الفريق الأول باللحاق خلفه وكلما لحق أعضاء الفريق الأول بالفريق الثاني ضربوهم بالأيدي على الظهر إلى غاية خط الوصول.

استنتاج

واضح أن هذه اللعبة تعتمد اللياقة البدنية سواء في الهروب أو اللحاق أو عملية الضرب مع الجري أو الجري مع احتمال الضرب، وهي بطبيعة الحال لعبة كانت تصلح للبيئة الفلاحية القوية البنية.

وكانت تلعب بين أفراد عائلة القبيلة الواحدة بين أحيائها أو بين قبيلة وأخرى بتشجيع النساء والأطفال لكل فريق.

* عن تسجيل صوتي لوالدي يوم 87/05/31

عْصَيَّة جْمَيْلَة

يلعبها جماعة من الأفراد متسلحين بعصيهم وتكون اللعبة بأن يقوموا بضرب الأزْلَام (ضرب العود) على من يبدأ الأول في غرس عصاه في الأرض ومن يكون الأول في رمي العصا المغروسة بعصاه على بعد مسافة يحددونها للرمي. بعد هذه الاجراءات التمهيدية تبدأ اللعبة بأن يقوم أحد أفراد الجماعة بتسديد عصاه على العصا المغروسة فإن أصابها حملها صاحب العصا إلى مكان التسديد، وإن أخطأها يقوم هو بغرس عصاه مكان العصا الأولى وهكذا.

والظاهر من هذه اللعبة ووسائلها أنها من اختراع الرعاة، فهم الذين يتوفرون على العِصِيٍّ طيلة الوقت، وهم الذين يستخدمون العصا في عدة مآرب.

والمقصود من اللعبة هو التدريب على التسديد الجيّد نحو الهدف. وأما الركوب فهو الحافز من أجل إصابة الهدف وإعطاء اللعبة نكهة المرح، بحيث يقوم الراكب باستفزاز المركوب وجعله كالدابة أثناء الركوب : أي كَالْجَمَلِ الصغير.

* عن تسجيل صوتي لوالدي يوم 87/5/31.

أَرَّاوَحْ

يلعبها جماعة من 10 أو 15 أو 30 شخصا ينقسمون إلى فريقين، فريق يجري إلى الأمام ويتبعه الفريق الثاني، كما في لعبة طويلة، ولكن في هذه اللعبة يكون الضرب والركل بقوة دون شفقة. غير أن هذه اللعبة قد انقرضت قبل فجر الاستقلال بقليل.

وقد أورد الحسن بن محمد الوزان [149] وصفا لهذه اللعبة قائلا :

«لا يوجد بين الناس المهذبين من ذوي البيئات الحسنة غير لعبة واحدة هي لعبة الشطرنج تبعا لعادة أسلافهم وهناك لعب أخرى، لكنها مستهجنة لا يمارسها إلا رعاع القوم.

يجتمع الشبان في أوقات معينة من السنة، فيحمل أهل زقاق منهم العصي ليحاربوا أهل زقاق آخر، وقد يشتد الخصام بينهم فيأخذون السلاح ويموت عدد من كل فئة. لاسيما في أيام الأعياد حيث يجتمع الشبان في ظاهر المدينة وبعد انتهاء الاشتباك يأخذون في التراشق بالأحجار حتى لقد يعجز رئيس الشرطة عن تفريقهم والحجز بينهم إلا أنه يلقي القبض على البعض منهم ويدخلهم إلى السجن ثم يجلدون ويطوفون في المدينة. وفي الليل يخرج كثير من المتنطعين مجتمعين مسلحين إلى ظاهر المدينة فيتجولون في البساتين والحقول، حتى إذا لقوا متنطعين من زقاق معاد لهم وقع شجار عنيف بينهم لأنهم يُكِنُّون لبعضهم البعض عداوة قاتلة بصفة دائمة، وكثيرا ما يتعرضون للعقاب الصارم».

---

(149) في كتابه وصف افريقيا 2 : 1 ص 202.

* **عن تسجيل صوتي لوالدي يوم 87/05/31**

كرة القدم

من الألعاب الشعبية والمشهورة اليوم لعبة كرة القدم، وقد يتخيل المرء أن هذه اللعبة هي وليدة العصر أو من اختراع الانكليز كما يدعون، ولكن عندما نعود لاستقصاء النصوص التاريخية والأدبية المتعلقة بتاريخ مجتمعاتنا المغربية نجد أن هذه اللعبة كانت معروفة في المجتمع المغربي منذ القديم، غير أنها كانت بشكل آخر غير الشكل المعروفة به اليوم، ولعلها كانت تشبه إلى حد كبير اللعبة المعروفة اليوم بلعبة «الريكبي» حيث كانت تلعب من طرف اعداد كبيرة جدا من الناس، قد تصل إلى مشاركة كل أفراد القبيلة ضد أفراد القبيلة الأخرى، ولم تكن هناك قوانين أو ضوابط تضبطها كما هو الشأن اليوم، وإنما المقصود هو الحصول على الكرة بأية طريقة أو وسيلة كانت، ولو وصلت الوسيلة إلى حد إيذاء أعضاء الفريق الخصم، وقد تحدث أكثر من مصدر عن هذه اللعبة، ولكن ليس بطريقة يقصد منها تحليل اللعبة أو تاريخها أو أهدافها، وإنما وردت في إشارة عابرة في حوار للعبرة بين أحمد بن أبي محلي عندما استولى على مراكش في أواخر العهد السعدي، وبين أحد أصدقائه السابقين من الفقراء، والحكاية هي كالتالي :

«دخل اخوانه (150) من الفقراء لتهنئته «وفيهم رجل ساكت لا يتكلم، فقال إنك لا تتكلم وألح عليه في الكلام، فقال له الرجل : أنت اليوم سلطان فإن أمّنتني على أن أقول الحق قلته، فقال له أنت آمن، فقل، فقال إن الكرة التي يُلْعَبُ بها يتبعها المئتان وأكثر من خلفها وينكسر الناس وينجرحون وقد يموتون ويكثر الصياح والهول فإذا فُتِّشَتْ لم توجد إلا شراويط ملفوفة فيها أي خرقة بالية» (151).

وقد نقل العباس بن ابراهيم هذه الحكاية عمن سبقوه، ومنهم محمد الصغير اليفرني، ذكر نفس الحكاية في نزهة الحادي قال «إن الكورة (152) التي يلعب بها يتبعها الماية والمايتان وأكثر وأقل من خلفها، ويكثر الصياح والضجيج والهول، وينكسر

---

(150) اخوان أحمد بن أبي محلي.

(151) العباس بن ابراهيم، الاعلام بمن حل مراكش ج : 2. ص : 287.

(152) لعلها كانت تنطق بوضع سكون فوق الواو وفتح الكاف.

بعض الناس وينجرحون وقد يموتون ولا يبالون وإذ فتشت فلم يوجد إلا شراويط أي خرق بالية ملفوفة، فلما سمع أبو محلي هذا المثال وفهمه بكى وقال : رُمْنَا أَنْ نُجْبِرَ الدين فأتلفناه» (153).

(153) محمد الصغير اليفراني نزهة الحادي ص : 208.

رابعا ـ المـأكـولات

* بَدَّازْ
* رَبَّازْ
* الثّرِيدْ
* شَرْشَمْ
* الطاجين
* الكسكس
* القطبان
* السْخِينَة
* الشاي

بَدَّازْ (154)

يصنع من دقيق الذرة (المزكور) يوضع في الكسكاس ثم يفور لثلاث مرات، يدهن في كل مرة منها بالزيت البلدي (زيت العود) وبعد المرة الثالثة يوضع في الاناء ويسقى على طريقة الكسكس بالخضر والحليب ومرقها... ولا يحتاج إلى اللحم. وهي أكلة شعبية تنوب عن أكلة الكسكس التي تحتاج إلى تكاليف اللحم وغيره من الخضر.

رَبَّازْ (155)

يُؤْخذ إما الجزر أو القرع الأحمر أو هما معا ويطبخان في الاناء وبعد الانضاج، يقطع الخبز الفطير غير «الخامر» إلى قطع صغيرة في إناء الأكل ويصب عليه الجزر والقرع الأحمر ومرقهما، ثم تجتمع الأسرة حوله للأكل ... وهي أكلة شعبية جدا كسابقتها، لا تحتاج فيها ربة البيت إلى لحم أو كثير من الخضر ... والسبب راجع إلى وفرة الخضر باعتبار المنطقة فلاحية، غير أن اللحم لا يتوفر إلا في حالة ذبح الدجاج أو أحد الطيور أو جلب اللحم في يوم السوق الأسبوعي، وعدا ذلك فإن سائر (عباد الله) الناس البسطاء يتناولون وجبات بدون لحم، في سائر الأيام باستثناء ذوي الكسب فإنهم يتناولون وجبات اللحم في كثير من الأيام.

---

(154) عن السيدة فطومة الركيعية من بني عمير، حماة أختي الزهرة.

(155) عن السيدة فطومة الركيعية من بني عمير، حماة أختي الزهرة.

الثْرِيدْ (156)

يكون بصنع رغائف الخبز الرقيق «بُوشَيَّارْ» وتقطيعه أطرافا صغيرة في صحن الأكل، ثم يفرغ عليه لحم الدجاج المطهي مع العدس والبصل ويؤكل باليد.

وتعتبر أكلة الثريد أكلة ممتازة – بين أفراد القبيلة – يمكن تقديمها للضيوف، نظرا لكونها تكلف صاحبها صنع الرغائف من الدقيق الأبيض الجيد والزيت أوالزبدة، بالاضافة إلى اللحم وهو المادة الأكثر قيمة.

وعن الثريد يتداول العامة المثال :

مَا يْطِيبْ الثْرِيدْ حَتَّى يَعْمَلْ مُولَانَا مَا يْرِيدْ ...

ويضرب هذا المثل إلى تغيير الحال بتغير ظروف المستقبل، ويُحْكَىٰ أن امرأة توعدها زوجها شرا بعد انهاء عملية طهي الثريد ... فكانت تقول له «ما يطيب الثريد حتى يعمل مولانا ما يريد» وما أن انهت طهي الثريد حتى أصيب الزوج بسكتة قلبية ومات، فذهب المثل شائعا بهذا المعنى.

شَرْشَمْ (157)

شرشم هي أكلة تصنعها أم الطفل أو الطفلة احتفالا بظهور الأسنان الأولى للصبي وتكون بالطريقة الآتية :

---

(156) عن السيدة فطومة الركَيعية من بني عمير، حماة أختي الزهرة.

(157) عن السيدة خدوج زوجة والدي سنة 1982.

1) ترطيب القمح اليابس في الماء
2) دقه بلطف في مهراس الخشب (158) لازالة القشرة الخارجية
3) بعد سلخه عن قشرته تُزَال القشرة ويُرْمَى في برمة الطبخ للانضاج مع الحليب بحيث تصبح حبة القمح منتفخة ومتشققة.
4) تصبه المرأة في القصعة الكبيرة ثم تأخذه من القصعة وتضعه في الصحون وتزينه بالبيض المسلوق «والْفَانِيدْ» : قطع الحلوى، وكذا قطع الزبدة ثم تقدم الصحون لجاراتها العزيزات عليها.
5) ترد جاراتها لها الصحون وفيها قطع من سكر أو نقود أو بيض مجاملة بعدم إدخال الصحن إلى بيت صاحبته فارغا حتى لا يكون فأل فراغ الصحن شؤما على أصحابه.

الطَّاجِين

يكون بقلي اللحم في الزيت والتوابل في الطاجين وبعد أن يحمر اللحم توضع الخضر فوقه حسب ذوق المرأة، مثلا البصل + البطاطا + الجلبان + الطماطم. ويكون عادة فوق نار لينة في المجمر بالفحم النباتي.

ويكون الطاجين عادة في القبيلة بأجمعها مساء يوم السوق حيث يتوفر اللحم للجميع ويعتبر الطاجين من أفخم المأكولات في القبيلة.

اَلْكُسْكُس

يعتبر الكسكس توءما للطاجين. ففي الاحتفالات الرسمية للقبيلة يقدم الطاجين أولا ثم الكسكس ثانيا، ويصنع الكسكس بخلط السميد بالدقيق الأبيض الممتاز بعد تبليله بالماء وحكه في الطبق .. حيث تصنع منه المرأة حبيبات صغيرة

(158) يسمى في الاستعمال العامي (فَرْدُو) يصنع من خشب الجوز – الْكَرْكَاعْ –.

تضعها في الكسكاس للانضاج فوق «برمة» (159) بداخلها الماء والخضر واللحم والزيت والحليب.

وعندما يتصاعد البخار من الكسكاس مخترقا حبات الكسكس تفرغ المرأة الكسكاس فتدْهن الكسكس بالزيت أو الزبدة وهي تفتت قطع الكسكس المتجمعة على بعضها حتى تنحل جميع حبوبه ... فتعيده إلى الكسكاس ثانية، وعندما يفور تفرغه في القصعة من جديد وتحله بالزيت والزبدة وتعيده للكسكاس، تقوم بالعملية ثلاث مرات.

وبعدها تضع الكسكس في الصحن في شكل بركاني مفتوح من أعلاه حيث تضع في هذه القمة اللحم أولا وفوقه الخضر، ثم تصب المرق فوق الخضر بينما تترك الجوانب ناشفة حيث يتم خلطها بواسطة اليد مع الكسكس الوسط الذي يكون مشبعا بالمرق.

ومعلوم أن ربة البيت كانت تهيء أكلة لعدد كبير من أفراد الأسرة يصل أحيانا إلى ثلاثين شخصا في البيت وأكثر، الشيء الذي يتطلب أواني كبيرة لتهيء الطعام، لذلك كانت القدور كبيرة جدا حتى أنه يحكى عن أبي عمرو بن أبي قاسم القسطلي المراكشي مثلا، أن «كل واحدة من قدور مطبخه فيها الثوران والجملان، ويذبح كل يوم البقر والغنم، والابل، وعنده بلاط يبرد فيه الكسكس بالألواح كما يفعل بصابة الزرع عند التذرية والتصفية» (160).

وجاء في ترجمة محمد بن أبي بكر الدلائي المتوفى سنة 1046 هـ (161) .. «وكان آية باهرة في إطعام الطعام للأضياف، وغيرهم وكانت له «برمة» أقل ما قيل أنها تسع من اللحم بقرة أو ثورا وكسكاسها يسع أكثر من وسق» (162).

والكسكس حسب ما وجد «الحسن اليوسي في بعض التقاييد» من اختراع البربر، وبذلك تكون قبيلة بني ملال قد تعلمته من السكان الأوائل بالمنطقة» وجدت

---

(159) «بالعربي الفصيح تنطق بضم الباء، وفي الاستعمال الشعبي اليومي، تنطق بفتح الباء، وهي القدر النحاسي، جمع البرم تستعمل عادة لطهي الطعام لجماعة كبيرة. وكبر القدر كناية على الكرم».

التقاط الدرر ص 104. هامش : 4

(160) عن كتاب الاعلام بمن حل مراكش ج : 1 ص 341.

(161) كتاب التقاط الدرر ص 104.

(162) + 30 كلغ حسب الهامش رقم : 2 من صفحة المصدر السابق

في بعض التقاييد لبعضهم ما معناه : لو رأى أرسطو قدر البرنس في اللباس والكسكسون في الطعام، والحلق بالموسى، لاعترف للبربر بحكمة التدبير الدنيوي وأن لهم قصب السبق في ذلك انتهى». وقال أحمد بلقاسم الزياني عن بربر خنيفرة «لباسهم القميص والبرنس، وشعارهم إسبال اللحي وحلق الرؤوس وطعامهم غالبا الكسكوس» (163).

ويقول اليوسي «وقد كتبت الكسكسون بالنون على ما وجدته مكتوبا خلاف ما ينطق به الناس، وبالنون حدثنا الرئيس الأجل أبو عبد الله محمد الحاج قال : ذهب رجلان فاضلان من بلاد المغرب، وأظنه قال أخوان فدخلا بلاد الشام، فمرض أحدهما وطال به المرض حتى يئسوا منه، فرأى الآخر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له : اطعموه الكسكسون بهذه العبارة، قال : «فاستصنعوه له فأكله فبرئ».

ثم يعلق الحسن اليوسي على هذا قائلا : «وهذا إما خصوصية لهذا الطعام، أو بذكره صلى الله عليه وسلم، فيثبت له الشرف ويستدرك بذلك ما فاته من كونه لم يأكله صلى الله عليه وسلم في حياته وإما من باب ما تقرر من أن دواء الجسم عادته» (164).

والحسن اليوسي يعزو شفاء المريض بأكله طعام الكسكس لأحد الأسباب الثلاثة :

1 – إما أن طعام الكسكس حقا فيه الدواء لما كان يشكو المريض منه.

2 – أو حصول الشرف لهذا الطعام بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب المريض بصنعه لمريضه.

3 – أو أن دواء الجسم هو ما اعتاد عليه سابقا. ولعله يميل إلى الاحتمال الثالث لأنه أورد الحكاية التالية عن الكسكس قائلا (165) «ومن أطرف ما وقع في هذا الأمر ما حدثني به الطبيب المذكور، وهو الفاضل أبو عبد الله محمد الدراق الفاسي قال : كنت دخلت طنجة بقصد ملاقاة الأطباء ورؤية الشخص الذي صوروه لتعليم التشريح معاينة، قال : فكان بعض الأطباء الروم هنالك يعجب من أكلنا الكسكسون المذكور ويضحك فينا ويقول : إنما تأكلون العجين في بطونكم، قال : فبينما نحن كذلك إذ دخلت عليه يوما فوجدته عند رأس مريض محموم شديد

---

(163) تاريخ بلدة خنيفرة تحقيق محمد المحزون.

(164) المحاضرات ص : 80.

(165) المحاضرات ص : 81.

الحمى وهو يسقيه الخمر، فقلت له : ما هذا الذي تصنع أنت ؟ وأي مناسبة بين الخمر والحمى ؟ والكل في غاية الحرارة، فقال : إنها لن تضره لاعتياده لها. فإنه قد كان يرضعها من ثدي أمه وهو طفل صغير، قال : فقلت له : سبحان الله ! ونحن هكذا كنا نرضع ما تنكر من الكسكسون من ثدي أمهاتنا ونحن صغار، فأي شيء يضرنا ؟ فقال : صدقت ولم يجد مايقول».

اَلْقُطْبَانْ

تقطيع اللحم إلى قطع صغيرة وخلطها بأطراف البصل المقطع قطعا صغير والمعدنوس، وبعض التوابل، وتملأ القطع في قطبان رقيقة من المعدن، ثم توضع فوق الجمر وتشوى، وتقدم للأكل مع الخبز وكؤوس الشاي.

وتُستعمل حوايا الخروف والعجل وغيرهما للشوى بدل اللحم. وتسمى «الدَّوَارةَ» بما فيها «الكرشة» وتسمى الكبد والقلب والشحم بدون كرشة في قبيلة بني ملال : «لَغْرُوطَاتْ» وفي تادلة «التّكْوِيحَة».

وتعتبر أكلة القطبان في القبيلة من أهم المأكولات وأرقاها وألذها.

السْخِينَة

وهي أكلة كانت معروفة في حي اليهود فقط وكانت لها رائحة شديدة تزكم أنوف المارة في الأزقة قال عنها الحسن اليوسي (166).

«دخل الأحنف بن قيس على معاوية، فقال له معاوية : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ قال : السخينة يا أمير المؤمنين أشار معاوية إلى قول الشاعر يهجو بني تميم بحب الطعام :

(166) في المحاضرات ص : 232.

إذا ما مات مِنْ تَمِيم   وَسَرَّكَ أن يَعيش فَجِيء بِزَادِ
بِخُبز أو بِلَحْم أو بتَمْر   أو الشَّيْءِ الملفَّفِ في البِجَادِ

وأشار الأحنف بذكر السخينة، وهي حساء رقيق كانت قريش تتخذه في الشدة ويعيرون به».

وهي بدون شك من الأطعمة المنقولة من الجزيرة العربية إلى المغرب، إما مع اليهود أو مع العرب أو كليهما معا حسب المستوى الاقتصادي للفرد وظروف العيش المستجدة عند الاغتراب عن الجزيرة العربية في المغرب.

الشـــاي

من المشروبات التي لا يخلو منها بيت من البيوت، ويسمى باللهجة الدارجة «أَتَايْ» وقد كان يسمى أيضا «بالشاهي» خارج منطقة بني ملال. و «الأتاي» وإن كان يطلق بالخصوص على حبوب الشاي التي منها يصنع شراب الشاي، فإن كلمة «الأتاي» تطلق عموما على مشروب الشاي الذي يصنع بالاضافة إلى حبوبه من أغصان «النعنع» أو كما يَنْطِقُ بها العامة «النَّعْنَاعْ» أو كما يسمى بين أفراد قبيلة بني ملال «الْوَركة» والنغنع فيه عدة أنواع :

1 – **النعنع** : الأحرش البلدي ويزدهر في الصيف كما تزداد رائحته شدة، ومفعوله لذة.

2 – **النعنع** : لَحْرش البروجية نسبة إلى قبيلة البرو ج، ويزدهر نموه في فصل الشتاء والصيف، وتشتد رائحته، كما تزداد شدة في الصيف.

3 – **النعنع** : العبدي وهو صنف بين النعنع وفليو، ويزدهر في فصل الشتاء.

4 – **النعنع** : المانتي، ويسمى – الْمَانْتِيَة – تكون أوراقه لينة في شكل أوراق النعنع البلدي ولكن رائحته أقل ذكاوة من النعنع البلدي كما أن لونه غير شديد الخضرة.

ويمكن إضافة بعض النباتات الأخرى إلى النعناع مثل : فْلِيُو،تِيمِيجَّا (تسمى

في الرباط المانتا)، كذلك أوراق العَطِرْشَاء، وأغصان مَرْدَدُّوش، وأوراق شجرة اللْويزَا، وأوراق الصُّوفْيا، ويمكن وضع كل هذه الأصناف ويسمى «لَمْخَلْطْ» أي المختلط. ويمكن الاعتماد على صنف واحد أو صنفين حسب ذوق ورغبة صاحب الشاي.

ومما قيل من الشعر في هذا المشروب ما قاله العباس بن ابراهيم التعارجي في عام 1320 هـ قال : (167).

الشاي ذاب نُضَارُه في الكأس	وَغدا كَلَوْنِي عَاطِرَ الأنفَاس
فاشْرَبه طابَ مَذَاقُه وَحَلَا وَطَبْ	مِنْ طِيبِ عَنْبره بِرَوْضِ غِرَاس
دع عنك خمرًا مُرٌّ طعم مذاقِها	وَتثيرُ حَرْب الفِتْية الجُلَّاسِ
واشربه من خود بَهاءِ جَمالها	تُسْبِي القلوب بِقدِّها المَيَّاسِ

يشبِّه العباس بن ابراهيم الشاي بالذهب «النُضَار» ذاب في الكأس فهو شديد الاصفرار، ثم يمثله بلون الشاعر – مزاحا – غير أن الشاي رغم اصفراره فهو عاطر الرائحة، محبب إلى النفوس. ثم يحث الشاعر سامعه على شرب الشاي الطيب الرائحة الحلو المذاق، بسبب ما وضع فيه من عنبر، ومن نعنع (روض غراس).

ويغتنمها الشاعر فرصة ليدعو مُجَالِسَه إلى تعويض الخمر بالشاي، لأن الخمر – في مقابل محاسن الشاي السابقة – لها طعم مر، وخاتمتها نزاع بين شاربيها لما تثيره في النفوس من رغبة للمشاكسة وعدم الانضباط. ثم في البيت الأخير يعود إلى مدح الشاي ووصف كؤوسها كأنها فتيات جميلات تتمتع بقدود رشيقة جميلة.

ثم يورد لنا العباس بن ابراهيم قطعة أخرى لمحمد بن سيدي محمد أبيج العلوي قال (168) : «وقال أيضا يصف ليلة سهرها عند بعض أفاضل أهل مراكش، ويصف ما اعتراهم فيها من السرور، وكيفية شربهم للشاهي..

ياليلةَ رَاحَ فيها عَازِبُ الوَطَرِ	باتَ الصَّفاءُ بها يسطو على الكَدَرِ
طابتْ مجالسُنا فيها وخامَرَنا	حُسْنُ السُّرور على مَوْضُونَة السُّرَرَ
إذْ بات أحمدُ يَسْقينا على مَهَل	أشْهَى من الراحِ في أبْهَى مِنْ الدُّررِ

وتختلف القطعة عن سابقتها بكون الأولى تصف الشاي، وهذه تصف المجلس جو السرور، كما تشير إلى جمال الكؤوس التي هي أجمل من الدرر.

---

(167) الاعلام ج : 6. ص : 237.
(168) الاعلام ج : 6. ص : 237.

وتحدث عبد العزيز بن عبد الله عن الشاي فقال [1] «لاحظ طوماس لوجوندر Thomas. logendre في رحلته المنشورة في مستندات دوكاستر [2] وجود الشاي في المغرب زيادة على القهوة عام 1665. وكانا حديثي عهد بالدخول إلى أوربا. وقد لاحظ القنصل الفرنسي شيني Chénier في عهد سيدي محمد بن عبد الله [3] انتشار الشاي بالمغرب في هذا العهد».

---

(1) تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة ج : 2 ص 40 من المعجم.

(2) السلسلة الأولى – السعديون ج : 3. ص 691–739.

(3) أبحاث تاريخية حول المغاربة ج : 3 ص 208.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

* أحمد بن القاضي

1 – جذوة الاقتباس

* أحمد بوكاري

2 – الزاوية الشرقاوية

* أحمد عسَّة

3 – المعجزة المغربية

* أحمد المقري

4 – روضة الآس العاطرة الأنفاس

5 – أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض

* أحمد بن خالد الناصري

6 – الاستقصا في أخبار المغرب الأقصا

* أحمد بلقاسم الزياني

7 – تاريخ بلدة خنيفرة تحقيق محمد أمحزون

* أبو العلاء المعري

8 – رسالة الغفران

* إحسان عباس

9 – مقدمة تحقيق كتاب الروض المعطار – للحميري –

* ابن حزم

10 – جمهرة أنساب العرب

* الجاحظ

11 – البيان والتبين

* الحسن اليوسي

12 – المحاضرات

* الدكتور حسين عطوان

13 – مقدمة القصيدة العربية

* الحسن بن محمد الوزان

14 - وصف افريقيا

* خير الدين الزركلي

15 - الأعْلام ـــ 8 أجزاء.

* دائرة المعارف الاسلامية

16 – مادة تادلا المجلد الرابع

* زهير بن أبي سلمى

17 – ديوان زهير

* د. سعد زغلول عبد الحميد

18 – تحقيق كتاب الاستبصار في عجائب الامصار.

* شوقي ضيف

19 – العصر الجاهلي

* عبد الحفيظ السَّطْلِي

20 – ديوان أمية بن أبي الصلت

* العباس بن ابراهيم

21 - الإعْلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ـــ 10 أجزاء.

* عمر رضا كحالة

22 – معجم قبائل العرب

* عبد الله كنون

23 – النبوغ المغربي

* عبد العزيز بن عبد الله

24 – تاريخ المغرب العصر الحديث والفترة المعاصرة

* عبد الوهاب بن منصور

25 – القبائل المغربية

26 – هوامش تحقيق كتاب الإِعْلَام للعباس بن ابراهيم

* علي بن أبي زرع

27 – الأنيس المطرب

* محمد بن عبد المنعم الحميري

28 – الروض المعطار في خبر الأقطار

* محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي

29 – تاريخ الضعيف

* محمد المهدي الفاسي
30 – ممتع الأسماع (مخطوط خاص)
* محمد بن الطيب القادري
31 – التقاط الدرر
32 – نشر المثاني الجزء 1 و 2
* محمد بن عياض
33 – كتاب التعريف بالقاضي عياض
* محمد محي الدين عبد الحميد
محمد عبد اللطيف السبكي
34 – المختار من صحاح اللغة
* محمد بن قتيبة
35 – الشعر والشعراء
* الدكتور محمد عيد
36 – الرواية والاستشهاد
* محمد الصغير اليفراني
37 – نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي
* مجلة التراث الشعبي
38 – عدد : 5 سنة 1977
* مجلة التراث الشعبي
39 – عدد : 8 سنة 1978
* مجلة التراث الشعبي
40 – عدد : 10 سنة 1977
* مجلة التراث الشعبي. عدد : 01 سنة 1978
* نجاة المريني
41 – شعر عبد العزيز الفشتالي
* هاشم العلوي (مولاي)
42 – تحقيق كتاب التقاط الدرر لمحمد بن الطيب القادري
* وزارة التعليم.
43 – كتاب الجغرافيا السنة الثانية اعدادي
* وزارة الفلاحة.

44 – مجلة الارشاد الفلاحي عدد أبريل 1983
* يوسف بن يحيى المعروف بابن الزيات
45 – التشوف إلى أهل التصوف بحقيق الأستاذ أحمد التوفيق
* الرواية الشفوية
46 – والدتي تغمدها الله برحمته
47 – والدي لطف الله به وغفر له.
48 – المعلومات العامة في المجتمع المحلي
49 – الشيخ علال بن الجيلالي السباعي رحمه الله
50 – السيد يافي الصومعي رحمه الله
51 – مشاهداتي الشخصية

خاتمة

وبعد...

مهما قلته عن بني ملال لن اسْتوفيَها حقَّها...

ومهما قلته للقارىء أجد نفسي لم أقل شيئا...

فأعتذر للقارىء الكريم...

وأعتذر للباحث المُسْتَكْشِف...

وأعتذر للدَّارِسِ المُتَفَحِّصِ هَذَا العملَ...

وأعِدُ بأنني سأعود إلى البحث مرّة أخرى...

«رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحمةً إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْوَهَّاب». صدق الله العظيم.

حُرِّر ببني ملال يوم 22 فبراير 1989

فهرس الموضوعات

الوصف الطبيعي للاقليم

المعالم الحضرية بالمنطقة

المعلومات التاريخية للمنطقة

من تاريخ المنطقة :

ملوك مرُّواْ بالمنطقة

من ولاة الاقليم

بعض المعلومات الاجتماعية للمنطقة

* الألعاب

* المأكولات

نبذة عن المؤلف



* مصطفى عربوش من مواليد عام 1949 ببني ملال من أصل ملاّلي.
* حصل على الاجازة في الأدب العربي يونيو 1980.
  هيأ رسالتها مع الأستاذ عباس الجراري في موضوع : «الجانب الاجتماعي في شعر الحبيب الفرقاني».
* شهادة الدروس المعمقة عام 1984.
  تخصص في الأدب المغربي مع الأساتذة : عباس الجراري، محمد بنشريفة، محمد مفتاح.
* يهيء حاليا دبلوم الدراسات العليا مع الأستاذ الدكتور عباس الجراري عضو أكاديمية المملكة المغربية.
* اشتغل في التعليم الابتدائي من 66/10/1 إلى 75/9/15 واشتغل في الثانوي بالتدريس والحراسة العامة والنظارة إلى 84/9/4، اشتغل مديرا لثانوية مولاي إسماعيل بقصبة تادلة سنتين.
* يشتغل حالياً مديراً لثانوية محمد الخامس التقنية ببني ملال، ابتداء من 88/9/5.

تم الجزء الأول بعون الله تعالى وحسن توفيقه وتيسيره. له الحمد.

ويليه الجزء الثاني

يطلب من مكتبة الطالب

شارع محمد الخامس ــ زنقة لكْزا ــ سابقاً

الـربـاط

مطبعة النجاح الجديدة
الـدار البيضاء

الايداع القانوني رقم 1989/279

يطلب من مكتبة الطالب
شارع محمد الخامس ــ زنقة لكزا ــ سابقاً
الـربـاط

الثمن : 42,00 درهماً

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء